روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

الأعماق

138

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .   د. نبيل فاروق

١ ـ الصدمة ..

تألَّقت مياه البحر الأبيض المتوسِّط ، على نحو بديع خلاَّب ، مع انعكاس الأضواء الأخيرة لقرص الشمس ، الذى اصطبغ بمزيج مبهر ، من اللونين الأحمر والأصفر ، وهو يغوص ويذوب فى الأفق ، معلنًا نهاية يوم آخر ، من الأيام الأخيرة للعقد الأوَّل ، من القرن الحادى والعشرين . ومن بعيد ، راحت الغيوم الداكنة تسبح فى السماء ، وقد اصطبغت أطرافها بذلك المزيج الضوئى نفسه ، حتى لقد بدا المشهد كله أشبه بلوحة مبهرة ، من صنع الخالق (عزَّ وجلَّ) .

لوحة لم يتمتع بمرآها طاقم الغوَّاصة النووية المصرية (ب . ن ـ ١٠٣) ، التى راحت تشق طريقها ، على عمق ثلاثمائة متر ، فى دورة تفقدية تقليدية ، وقبطانها يراجع خرائطه الملاحية ، ويناقش مساره مع مهندسها الأوَّل ، على نحو هادئ يوحى بأن كل شىء يسير على ما يرام ..

ومع غروب الشمس ، وانتشار ظلمة الليل ، واستعداد القمر للبزوغ ، استعدَّت (ب . ن ـ ١٠٣) للعودة إلى قاعدتها ، فشدَّ قبطانها قامته ، فى وقفة عسكرية حازمة ، وهو يقول عبر جهاز الاتصال الداخلى فى حزم :

ـ استعدوا للدوران بدرجة ثلاثين .

استعد الطاقم كله لرحلة العودة التقليدية ، بعد أن انطلقت الغوَّاصة لخمس ساعات كاملة ، على حدود المياه الإقليمية المصرية(*) ، و ..

« جسم غريب فى الجوار .. »

أطلق المراقب العبارة فى توتر شديد ، عبر جهاز الاتصال ، وعلى نحو جعل القبطان يعقد حاجبيه فى قلق ، وهو يتساءل فى حذر :

(*) المياه الإقليمية : يطلق عليها القانون الدولى العام اسم (البحر الإقليمى) ، أى الجزء من البحر ، المجاور لإقليم الدولة ، وتمتدُّ إليه سيادتها ، ولا يختلف فى وضعه عن أى جزء آخر من إقليم الدولة ، ولكن يسمح فيه بمرور السفن ، التى لا تضر بسلامة أو أمن أنظمة الدولة .

ـ جسم غريب ؟! وما الذى تقصده بعبارة (جسم غريب) هذه ؟! حدِّد هويته .

أتاه صوت المراقب ، وهو يجيب ، فى توتر أكثر :

ـ هذا غير ممكن يا سيِّدى .

هتف القبطان فى حدة :

ـ أى قول سخيف هذا ؟! كل المركبات البحرية يمكن تحديد هويتها ، على نحو أو آخر .. أهى غوَّاصة معادية ، أم طراد بحرى ، أم ....

قاطعه المراقب ، فى سابقة غير تقليدية ، ولا تتفق مع أبنى القواعد والنظم العسكرية ، وهو يقول بلهجة عجيبة ، تحوَّلت من التوتر إلى العصبية ، مع لمحة من الذعر :

ـ كلاَّ يا سيِّدى .. إنه جسم غير معروف ، ولم نر له مثيلاً قط ، فهو يتحرَّك تحت الماء ، بسرعة ثمانين عقدة بحرية(*) ، ويتجه نحونا مباشرة .

(*) العقدة البحرية : وحدة سرعة بحرية ، تساوى (ميل بحرى/ساعة) ، والميل البحرى يساوى وحدة قياس بحرية مقدارها (١٨٥٢) مترًا تقريبًا .

اتسعت عينا المهندس الأوَّل عن آخرهما ، وهو يغمغم :

ـ ثمانون عقدة بحرية ؟!! مستحيل ! لا شىء يمكنه السير بهذه السرعة تحت الماء ؟! حتى أحدث الغواصات النووية وأقواها !!

أما القبطان ، فقد انعقد حاجباه بشدة ، وهو يميل نحو جهاز الاتصال ، ويسأل المراقب فى قلق :

ـ أأنت واثق من أنه لا يوجد أى خطأ فى جهاز (السونار)(*) .

أجابه الرجل ، وقد بلغت عصبيته وانفعالاته حدًّا مخيفًا :

ـ كلاً .. لا يوجد أدنى خطأ ، وذلك الجسم ما زال يتجه نحونا مباشرة ، دون أن يخفِّف من سرعته .

استوعب القبطان الأمر هذه المرة ، وهتف فى سرعة :

(*) السونار : جهاز يشبه الرادار ، ولكنه يستخدم الموجات الصوتية بدلاً من الموجات اللاسلكية ، حيث يرسل الصوت على فترات منتظمة ، ثم يقيس الزمن الذى يستغرقه انعكاسه ، ومن هنا يتم تحديد المسافة ، وسرعة أى جسم متحرِّك ، واتجاهه .

ـ أديروا الدفة أربع درجات إلى اليسار .. أسرعوا .

وقبل حتى أن يكتمل نداءه ، كان البحارة يسرعون لتنفيذ الأمر ، وبدأت عملية تعديل الاتجاه ، ولكن المراقب هتف فى ارتياع بلغ مداه هذه المرة :

ـ الجسم يحافظ على سرعته ، ويقترب أكثر ... وأكثر ... وأكثر .. يا إلهى ! يا إلهى !

صاح المهندس الأوَّل ، وقد انتقل إليه انفعال المراقب :

ـ أسرعوا بالله عليكم .. أسرعوا .

ولكن يبدو أن ذلك الجسم المجهول كان يتحرَّك بسرعة مخيفة بالفعل .. فمع آخر حروف صيحة المهندس الأوَّل ، حدث الاصطدام ..

ودوى انفجار فى قاع البحر ..

انفجار قوى ، أرسل موجات عنيفة ، عبر مياه البحر ، لثلاثين كيلومترًا دفعة واحدة ..

ثم انتهى كل شىء دفعة واحدة ..

وراحت (ب . ن ـ ١٠٣) تغوص ..

وتغوص ..

وتغوص ..

حتى الأعماق ..

★ ★ ★

« لست أفهم هذا أبدًا .. »

نطق رئيس الجمهورية العبارة ، فى حيرة حقيقية ، وهو يرفع عينيه عن الورقة التى يمسك بها ، إلى مستشاره الأمنى الخاص ، السيّد (أمجد صبحى) ، الذى شدّ قامته ، وهو يسأل فى هدوء :

ـ وما الذى لا تفهمه بالضبط يا سيادة الرئيس ؟!

ألقى الرئيس الورقة على سطح مكتبه ، قائلاً :

ـ استقالتك هذه .

صمت (أمجد) لحظة ، قبل أن يجيب فى هدوء حازم :

ـ أعتقد أنها جاءت فى وقت مناسب تمامًا يا سيادة الرئيس .

مال الرئيس نحوه ، متسائلاً :

ـ ولماذا تعتقد هذا ؟!

صمت (أمجد) فترة أطول هذه المرة ، قبل أن يجيب فى حزم أكثر :

ـ الأحداث تؤكّد أن الحياة من حولى تتغيّر ، ولم تعد تناسب ما اعتدته من أسلوب ، ومن الضرورى أن ينزاح من هو مثلى جانبًا ، ليفسح المجال أمام الجيل الجديد ، بأساليبه ، وتكنولوجياته ، ومخاطره ، التى يبدو أنها تتطورّ مع تطورّ ما حولها أيضًا .

تطلّع إليه الرئيس بضع لحظات ، قبل أن يتراجع فى مقعده ، ويلوّح بيده ، قائلاً فى حزم مماثل :

ـ بالنسبة لى ، ولكل الخبراء هنا ، فأنت تبدو مثاليًا كمستشار أمنى ، وحتى فى تلك العمليات الأخيرة ، التى شاركت فيها فريقِ المخابرات العلمية ، أثبتت الأحداث أنك ما زلت مقاتلاً صنديدًا ، لا يشقّ لك غبار .

تردَّد (أمجد) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ولكن هذه العمليات نفسها ، أثبتت أن الجيل الجديد قادر وحده على إدارة الأمور برمتها ، دون الحاجة لتدخلنا نحن .

مرة أخرى ، تطلَّع إليه الرئيس ، قبل أن يسأله :

ـ ماذا يدور فى أعماقك بالضبط يا (أمجد) ؟!

لوَّح (أمجد) بيده ، قائلاً :

ـ بل ما الذى يمكن أن أقدِّمه بالضبط يا سيادة الرئيس ؟! هذا هتو السؤال الحقيقى .. فى العملية الأخيرة ، لم يكن لى دور يذكر .

ارتفع حاجبا الرئيس ، وهو يهتف :

ـ لم يكن لك ماذا ؟! لقد جازفت بحياتك ، وهبطت بمظلتك فى منطقة أحراش رهيبة ، يخشى الآلاف مجرَّد الاقتراب منها ، وواجهت هناك أهوالاً ، ثم تدخَّلت فى اللحظة المناسبة(*) .. ألا يبدو لك كل هذا دورًا يُذكر ؟!

(*) راجع قصة (الشر) .. المغامرة رقم ١٣٧

هزَّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

ـ عندما وصلت إلى (نور) وفريقه ، كان هو قد حلَّ اللغز بالفعل ، وربما لو ...

قاطعه الرئيس فى استنكار :

ـ ربما ؟!

ثم نهض من خلف مكتبه ، ودار حوله ، ليضع يده على كتف (أمجد) فى مودَّة ، وهو يسأله :

ـ دعك من هذه المحاولة غير المقنعة ، وأخبرنى .. ما السبب الحقيقي لطلبك الاستقالة ؟!

صمت (أمجد) بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، قائلاً :

ـ الواقع يا سيِّدى الرئيس أننى لم أعد أحتمل الاستمرار .

سأله الرئيس فى تعاطف :

ـ ولماذا ؟!

انطلقت تنهيدة ملتهبة ، من أعمق أعماق صدر (أمجد) ، وهو يجيب :

ـ الإرهاق .. كل ذرة فى كيانى تشعر بإرهاق وإجهاد لاحدود لهما .

ربَّت الرئيس على كتفه ، قائلاً :

ـ هذا أمر طبيعى يا (أمجد) ، فرجل مثلك ، قضى ما يقرب من نصف قرن فى نشاط مستمر ، وواجه كل هذه المخاطر ، وكل هؤلاء الأعداء لابد وأن يشعر يومًا بالإجهاد والإرهاق ، حتى ولو كان أقوى رجل فى العالم .. ناهيك عن الضغوط النفسية العنيفة ، التى تعرَّضت لها ، مع مصرع والدك فى شبابك ، وفقدانك لولدك ، وحبيبتك ، وأخلص وأقرب أصدقائك .. صدقنى يا (أمجد) ، أنا أشعر كثيرًا بما تعانيه ، ولكن الحل لا يكمن فى الاستقالة والاعتزال .

استدار (أمجد) يتطلَّع إليه ، فتابع الرئيس بابتسامة هادئة :

ـ بل فى إجازة .. إجازة تستعيد خلالها نشاطك ، وتريح ذهنك ، وتسترجع أحداث حياتك ، وتتخذ قرارك فى هدوء وروية ، ودون ضغوط نفسية أو جسمانية .

سأله (أمجد) فى حزم :

ـ وماذا لو عدت من الإجازة أكثر إصرارًا على الاستقالة ؟!

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ عندئذ سأوقِّعها خلال ثانية واحدة .

مع آخر حروف كلماته ، انبعث أزيز تلك الآلة الخاصة على مكتب الرئيس ، والتى تنقل إليه تقارير الأخبار العاجلة ، الواردة من كل الأجهزة الأمنية فى (مصر) ، فتحرَّك (أمجد) بحركة آلية ، ليلتقط التقرير الوارد ، ولكن الرئيس أمسك معصمه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

ـ مهلاً .. أنت فى إجازة الآن .

ثم استدار يلتقط التقرير بنفسه ، مستطردًا :

ـ هيا .. اذهب وابحث عن زى خفيف ، يناسب الاسترخاء على شاطئ البحر ، فى فيلتك فى الـ ...

بتر الرئيس عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقرأ ذلك التقرير ، مما جعل (أمجد) يتجه إليه ، قائلاً فى توتر :

ـ ماذا هناك ؟!

رفع الرئيس إليه عينيه ، وهو يقول بوجه وصوت شاحبين :

ـ كارثة يا (أمجد) .. كارثة .

وكان هذا يعنى أن فكرة الإجازة قد تبخَّرت ..

تمامًا ..

* * *

التقط المقدَّم (نور الدين محمود) ، نفسًا عميقًا ، وهو يهبط داخل تلك الأسطوانة الشفافة ، المضاءة بضوء بنفسجى هادئ ، وارتسم الحزم على كل ذرة

من ملامحه ، وهو يشدّ قامتـه ، فـى وقفـة عسكرية ثابتة ، قبل أن تبلغ به الأسطوانة ذلك الطابق تحت الأرضى ، حيث مكتب القائد الأعلـى ، الـذى استقبله فى اهتمام بالغ ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا (نور) .. أعلم أنك لم تنعم بالراحـة الكافية بعد ، منذ عودتك من عملية (إصبع الشيطان) ، ولكن يبدو أن القدر يرفض منحك وفريقك أية مهلة للراحـة ، أو التقاط الأنفاس .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا حدث هذه المرة يا سيِّدى ؟!

زفر القائد الأعلى ، وهزَّ رأسه ، مجيبًا :

ـ كارثة يا (نور) .

ردَّد (نور) فى دهشة متوترة :

ـ كارثة ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

ـ وبكل المقاييس أيها المقدَّم .

قالها ، وضغط زرًا على مكتبه ، فظهرت على الشاشة صورة للغوّاصة النووية (ب . ن ـ ١٠٣) ، وتطلّع إليها (نور) فى اهتمام ، والقائد الأعلى يقول :

ـ ما تراه أمامك هو صورة لأحدث غوّاصة نووية انضمَّت إلى أسطولنا يا (نور) ، ولقد بدأت فى القيام بالجولات التفقدية لحدود مياهنا الإقليمية ، منذ شهر واحد .. واليوم ، ومنذ أربع ساعات فحسب ، كانت تقوم بإحدى جولاتها هذه ، عندما تعرَّضت لحادث رهيب .

غمغم (نور) فى حذر :

ـ أى نوع من الحوادث ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لا أحد يدرى يا (نور) .. لقد كانت ترسل إشاراتها على نحو منتظم ، حتى بدأت الغوص إلى عمق ثلاثمائة متر ، لتفقُد الأعماق ، ثم لم نتلقَ منها أيةَ اتصالات بعدها ، ولم تعد إلى القاعدة البحرية ، أو تُرسل حتى إشارة استغاثة واحدة .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يعتصر عقله ، محاولاً البحث عن تفسير ، فى حين تابع القائد الأعلى بنفس التوتر ، الذى بدأ به حديثه :

ـ عندما مرَّت ساعة على موعد العودة المنتظر ، ووفقًا للإجراءات الأمنية ، بدأت عملية البحث عن (ب . ن ـ ١٠٣) ، بكل الوسائل الممكنة ، وأهمها القمر الصناعى الجيولوجى ، الذى يمكنه رصد وجودها تحت قاع البحر .

تساءل (نور) ، فى حذر أكثر :

ـ وهل تم العثور عليها ؟!

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ نعم .. القمر الصناعى الجيولوجى عثر عليها ، على عمق ألف ومائتى متر ، تحت سطح البحر ، ومقصورتاها ، الأولى والثانية محطمتان بعنف ، كما لو أنها قد ارتطمت بقاع صخرى صلب ، وبسرعة كبيرة للغاية .

قال (نور) فى توتر :

ـ قاع صخرى ؟! حسب معلوماتى المحدودة ، لايوجد قاع صخرى ، فى معظم مناطق البحر المتوسِّط ، وبالذات تلك التى لها هذا العمق .

تنهَّد القائد الأعلى ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

ثم لوَّح بيده ، مضيفًا :

ـ وهذا ما يثير قلق وحيرة الجميع ، خاصة وأن القمر الصناعى الجيولوجى لم يرصد أية أجسام صلبة أو صخرية ، فى منطقة نصف قطرها ثلاثة أميال بحرية(*) ، حول موقع غرق الغوَّاصة .

بدا التفكير على وجه (نور) ، وهو يشير بسبَّابته ، قائلاً :

(*) الميل البحرى = وحدة قياس بحرية ، مقدارها (١٨٥٢) مترًا تقريبًا .

ـ لو استبعدنا احتمال ارتطامها بالقاع ، فأظن أنه ليس أمامنا سوى بديلين .. إما أن انفجارًا ما قد حدث فى مقصورتيها الأماميتين ، أو ...

صمت لحظة فى تردُّد وتفكير ، فأضاف القائد الأعلى فى حزم :

ـ أو أن غوَّاصة أخرى قد ارتطمت بها .

تردَّد (نور) لحظة أخرى ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ هذا احتمال سابق لأوانه ، ثم إنه غير منطقى ، بالنسبة لغواصة نووية مثل (ب . ن ـ ١٠٣) ، فمع أجهزتها المتطوِّرة ، يمكنها رصد أية غواصة أخرى ، تحاول الاقتراب منها ، حتى مسافة ستين ميلاً بحريًا ، حتى ولو كانت تسير بسرعة أربع عقد بحرية فى الساعة ، ومن المحتم أنها كانت سترسل إشارة تحذير على الأقل .

أومأ القائد الأعلى برأسه متفهمًا ، وقال :



عرضت الشاشة صورة حادة الألوان ، بين الأخضر والأحمر والأزرق ، ترسم حدود الغوّاصة (ب : ن - ١٠٣) ، الرابضة فى الأعماق ..

- من الواضح أن معلوماتك عن الغواصات النووية معقولة يا (نور) ، ولكن معلوماتك عن الحادث ، الذى نحن بصدده هى المحدودة ، فقد دفع الخبراء القمر الصناعى الجيولوجى إلى أقصى قدراته الرصدية ، خاصة وأن الليل وعمق القاع يعوقان عملية الرصد إلى حد ما ، ولكنه ، وعلى الرغم من هذا ، استطاع أن يمنحنا بعض التفاصيل المدهشة .

وصمت لحظة ، ثم ضغط زر العرض ، مضيفًا فى توتر بالغ :

- والمخيفة أيضًا .

مع قوله ، عرضت الشاشة صورة حادة الألوان ، بين الأخضر والأحمر والأزرق ، ترسم حدود الغوّاصة (ب . ن - ١٠٣) ، الرابضة فى الأعماق ، ثم راحت الصورة تقترب من مقدّمتها المصابة ، حتى هتف (نور) :

- يا إلهى !

وهنا ، قال القائد الأعلى :

ـ من الواضح أنك قد لاحظت ما أعنيـه يا (نـور) .. فالإصابة التى رصدها القمر، فى مقدِّمة (ب.ن ـ ١٠٣)، تُبيِّن الانبعاجات فى جسمها المعدنى ، من الخارج إلـى الداخل ، وليس من الداخل إلى الخارج ، مما يستبعد تمامًا احتمالات حدوث أى انفجار داخلى ، من أى نوع ، ويرجِّح وبشدة حدوث اصطدام خارجى عنيف .

ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يتساءل :

ـ ولكن لو افترضنا أنها غوَّاصة معادية ، فكيف ..

قاطعه القائد الأعلى ، قائلاً فى صرامة :

ـ مهلاً أيها المقدِّم .. لا تتسرَّع بالنتائج ؛ فأنت لم تسمع باقى رأى الخبراء هنا .

التفت إليه (نور) ، وتضاعف قلقه وهو يسأله :

ـ وما رأيهم ؟!

أجابه القائد الأعلى فى سرعة ، وكأنما كان ينتظر سؤاله :

ـ لقد أكَّدوا أن ما أصاب مقدِّمة (ب . ن ـ ١٠٣) ، من المستحيل أن يكون طوربيدًا بحريًا .. بل هو جسم أكبر حجمًا ، وأكثر تفلطحًا ، و ...

صمت لحظة ، ثم أضاف فى توتر عنيف :

ـ وينطلق بسرعة مـا بين سبعين وثمـانين عقدة بحرية .

حدَّق (نور) فيه بذهول ، هاتفًا :

ـ مستحيل يـا سيِّدى ! معذرة ، ولكن معلومـاتى تقول : إن أقصى سرعة لجسم يسير تحت المـاء ، وهى تلك الخاصة بالغواصـات النوويـة الحديثـة ، لا تزيد على خمس وأربعين عقدة بحرية ، وهذا منذ بدايات القرن الحادى والعشرين(*).

تنهَّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ بالضبط يا (نور) .. وهذا يعنى أننا لسنا أمـام حادث غوَّاصـة ، يمكن التعامل معه ، بوسائل القوات

(★) حقيقة .

البحرية وحدها ، ولكننا أمام لغز .. لغز مخيف ، يحتاج إلى تدخل المخابرات العلمية .. وبكل ثقلها .

تساءل (نور) فى اهتمام :

ـ وما الذى ينبغى أن نفعله بالضبط ؟!

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يجيب فى حزم :

ـ منذ ساعة واحدة ، وقبل حتى أن يكتمل رأى خبرائنا ، بدأت القوات البحرية بالفعل عملية واسعة ، لانتشال الغوّاصة النووية (ب . ن ـ ١٠٣) ، وجثث ضحايا الحادث ، والبحث عن ناجين بين الحطام ، وسوف تقوم طوّافة خاصة بنقلكم إلى المدمّرة (فجر) ، مقر قيادة فريق الإنقاذ ، وهناك ، عليكم أن تستغلوا كل قدراتكم ؛ لحل لغز حادث (ب . ن ـ ١٠٣) .. فى الأعماق .

ولم ينبس (نور) ببنت شفة ..

فبالنسبة إليه ، كان الأمر غامضًا ومثيرًا ومخيفًا .. إلى أقصى حد .

* * *

٢ ـ بحر الغموض ..

انطلقت مركبة الغوص الصغيرة (شارك) ، عبر ممر خاص ، فى قاع مدمرة الإنقاذ (فجر) ، وراحت تغوص فى أعماق البحر ، وعلى متنها فريق من خمسة رجال ، من أفضل عناصر الضفادع البشرية المصرية ، وقائدهم يقول للأربعة الآخرين فى حزم :

ـ ثياب الغوص التى ترتدونها من نوع خاصٍ للغاية ؛ لاحتمال الضغط الجوى الفائق ، على عمق ألف ومائتى متر ، تحت سطح البحر ، حيث يبلغ الضغط مائة وعشرين ضعف الضغط الجوى العادى(*) ، وأسطوانات

(*) الضغط الجوى : هو مقدار الضغط ، الذى تحدثه طبقات الهواء على الأرض ، ويبلغ عند سطح البحر حوالى ٦٫٧ كيلوجرام ، لكل بوصة مربعة ، وهو الضغط الكافى لرفع عمود من الزنبق ٧٫٦ سنتيمترًا إلى أعلى ، ويتضاعف الضغط البحرى مع كل عشرة أمتار ، تحت سطح البحر ، بمقدار ضغط جوى واحد .

الهواء التى تحملونها ، مصنوعة من معدن خاص ، مقاوم للبرد والضغط .. باختصار ، ما ترتدونه أشبه بأردية رواد الفضاء ، منه بزى الضفادع البشرية التقليدى ، وهذا سيعاونكم على السباحة فى ذلك العمق ، وستستخدمون هذه المصابيح الضوئية القوية ، لفحص جسم (ب . ن ـ ١٠٣) ، والبحث عن الناجين داخلها ..

أدار عينيه فى وجوه الرجال الأربعة ؛ ليتأكَّد من أنهم قد استوعبوا كلماته ، قبل أن يتابع :

ـ بالنسبة لعنف الحادث ، والضغط الواقع على الغوَّاصة ، يعتقد الخبراء ، وبكل أسف ، أننا لن نجد أى أحياء داخلها ، خاصة وأن أحدًا لم يحاول إرسال استغاثة صوتية أو ضوئية ، منذ غوصها فى الأعماق ، على الرغم من أن الوسائل متوافرة لديهم بالفعل .

قال أحد الأربعة فى اهتمام :

ـ ربما تلفت وسائلهم ، مع عنف الصدمة ، أو ...

قاطعه قائده فى صرامة :

ـ التفسير ليس مهمتنا يا رجل .. إننا سنسعى لجمع الحقائق والمعلومات ، والبحث عن الناجين فحسب .

غمغم الرجل فى توتر :

ـ بالتأكيد .

نطقها ، ثم ساد الصمت التام داخل مركبة الغوص الصغيرة ، وهى تواصل غوصها أكثر وأكثر فى الأعماق ، متجهة نحو (ب . ن ـ ١٠٣) .

لم يكن هناك من يقودها مباشرة ، وإنما تنطلق بوساطة برنامج تحكُّم آلىّ ، مزروع فى برنامجها الإليكترونى ، ومحدَّد الهدف مسبقًا ..

لذا فقد سبحت وغاصت فى هدوء ، حتى استقرَّت بالقرب من القاع ، وراحت تدور بمصباحها الضوئى الضخم ، حول جسم الغوَّاصة النووية ، الذى يبلغ طوله ما يقرب من مائة وعشرين مترًا تقريبًا ، ويبلغ عرضه ما يزيد على عشرة أمتار عند الطرفين ، وسبعة عشر مترًا عند المنتصف ..

وأمام عيون الرجال الخمسة المبهوتة ، بدا ذلك الثقب الضخم ، فى مقدِّمة الغوَّاصة النووية ، والذى التهم مقصورتيها الأماميتين تمامًا ، فى حين بدا باقى الجسم سليمًا ، دون خدش واحد ..

وكان من الواضح أن نفق الهرب لم يُستخدم قط ، وأن أحدًا لم يحاول حتى فتحه ، منذ وقع الحادث ، حتى إن قائد الرجال غمغم فى مرارة :

ـ يا للمساكين ! يبدو أنهم قد لقوا مصرعهم جميعًا ، بعد دقيقة أو دقيقتين على الأكثر من الحادث ، وإلا لكانت أمام بعضهم فرصة للفرار .

تنهد رجل آخر ، وقال فى أسى :

ـ يا للتعساء !

عضَّ قائدهم شفتيه ؛ للسيطرة على مشاعره ، وهو يقول فى صرامة ، اصطنعها فى صعوبة بالغة :

ـ ليست هذه مهمتنا أيضًا .. هيا .. استعدوا لبدء العملية .

بدأ الرجال الخمسة يغوصون فى الأعماق ، ويسبحون حول جسم الغوَّاصة الضخم ، ومصابيحهم الضوئية تدرس كل شبر منه ، من القطاع الثالث ، وحتى القطاع التاسع ، و ...

وفجأة اتسعت عيون أحدهم فى دهشة بالغة ، ودفع جسده دفعًا ، للاقتراب من جسم الغوَّاصة أكثر وأكثر ، قبل أن يتيقَّن فجأة مما التقطته أذناه منذ لحظات ..

دقات منتظمة من داخل الغوَّاصة ..

دقات ترسل إشارة بلغة (موريس)(*) ..

وبمنتهى التوتر واللهفة ، أشار الرجل لرفاقه وقائده ، ولوَّح بمصباحه اليدوى ، فى إشارة متفق عليها ، فهرع الكل إليه ، واتبعوا إشاراته ، فى الاقتراب من جسم الغوَّاصة ..

ولم تكن دهشتهم بأقل من دهشة زميلهم ..

(*) لغة (موريس) : إشارة خاصة ، وشفرة صوتية للإرسال والاستقبال ، ابتكرها (صمويل موريس) (١٧٩١ ـ ١٨٧٢ م) ، مخترع أمريكى ، له أبحاث عديدة فى استخدامات الكهرباء .

ليس لأن هذا يعنى وجود ناجين داخل الغوّاصة النووية الغارقة .. بل لأن مضمون الرسالة الشفرية القصيرة ، كان عجيبًا ..

للغاية !

* * *

« ابتعدو ! »

نطتق قبطان المدمّرة (فجر) ، وقائد فريق الإنقاذ الكلمة بدهشة بالغة ، وهو يحدّق فى وجه قائد الضفادع البشرية ، فهزّ هذا الأخير رأسه ، قائلاً :

ـ نحن أيضًا لم نفهم معنى الرسالة ، وتصوّرنا أننا قد أخطأنا استيعاب الأمر ، ولكن الكلمة كانت واضحة للغاية ، فأيًا كان عدد أو،كانت هوية الناجين ، داخل الغوّاصة ، فهم يطالبوننا ـ وبكل إصرار ـ بالابتعاد ، والكف عن محاولة إنقاذهم .

حدّق القبطان فى وجهه بضع لحظات بدهشة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ مستحيل !

شدّ قائد الضفادع البشرية قامته ، وبدا شديد الانتباه ، وهو ينصت إلى قبطان المدمرة ، الذى تابع بنفس الصرامة :

ـ إنه الهواء الفاسد ولاشك ، لقد اشترك مع صدمة الحادث ، لتغيب عقولهم .

تساءل قائد الضفادع البشرية فى اهتمام :

ـ هل تعنى أننا سنتخذ كل الإجراءات اللازمة لإنقاذهم ، على الرغم من رسالتهم ؟!

هتف القبطان بمنتهى الحزم :

ـ بالتأكيد .

شدّ قائد الضفادع البشرية قامته أكثر ، وأدى التحية العسكرية فى قوة ، قائلاً فى حماسة :

- سأعمل على إعداد كل شىء فورًا ياسيدى .

لم يكد يهرع لتنفيذ الأمر ، حتى ظهرت طوّافة فريق (نور) ، وهى تتجه نحو المدمرة ، فغمغم مساعد القبطان فى توتر :

- إنهم فريق المخابرات العلمية .. سيدسون أنفهم فى كل شىء كالمعتاد .

غمغم القبطان فى صرامة ، لم تخل من العصبية :

- إنها أوامر الرياسة ، ونحن مضطرون لطاعتها ، وللتعاون معهم .

وراقب الطوّافة الكبيرة ، وهى تهبط فى المكان المخصّص لها ، على سطح المدمرة ، قبل أن يتابع بنفس اللهجة :

- بشرط ألا تصطدم مصالحنا .

هبط (نور) من الطوّافة ، فى نفس اللحظة التى أنهى فيها القبطان تعقيبه ، وتبعه (أكرم) ، وهو يقول فى عصبية :

- لست أشعر بالارتياح ، كلما تعلّق الأمر بتعاون مشترك ، مع سلطات الأمن .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- أراهنك على أن هذا شعورهم أيضًا .

لحقت بهما (سلوى) ، وهى تتساءل .

- (نور) .. أين سنضع معداتنا ؟!

تبعها (رمزى) ، قائلاً :

- لا ريب فى أنهم قد دبّروا مكانًا مناسبًا لهذا .

تطلّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، قبل أن يغمغم :

- بالتأكيد .

بلغهم القبطان فى هذه اللحظة ، وصافحهم ، قائلاً فى حزم :

- مرحبًا بكم على سطح المدمرة (فجر) .

ثم فحصهم ببصره فى سرعة ، قبل أن يتساءل :

- ولكن لماذا أبلغونا أن الفريق يتكوّن من خمسة أشخاص ؟!

تنحنح (رمزى) مجيبًا :

ـ معذرة ، ولكن (نشوى) لم يمكنها المجىء ؛ لأن الموقف .. أعنى أن طفلنا بحاجة إلى رعايتها .

ابتسم (نور) فى مرارة ، وخفض عينيه ، وهو يسترجع السبب الحقيقى ، الذى منع (نشوى) من خوض هذه العملية ، مع باقى الفريق ..

فالبحر ، وأعماقه ، كانا يحملان لها ذكرى قديمة ..

ذكرى لم تفارق عقلها بعد ..

وجسدها أيضًا ..

ذكرى مؤلمة مخيفة ، انتزعت منها ، وبقفزة واحدة ، أجمل سنوات عمرها(*)..

« طفلكما ؟! »

انتزع القبطان (نور) من ذكرياته بتلك الكلمة ، التى نطقها باستنكار واضح ، قبل أن يتجاهل الأمر برمته ، ويقول فى صرامة :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

ـ فليكن .. لقد أعددنا لكم خمس مقصورات ، وقاعة صغيرة لممارسة عملكم ، و ...

قاطعه صوت حاد ، جعل (أكرم) يمسك مسدسه بحركة غريزية ، هاتفًا :

ـ ما هذا ؟!

أجابه مساعد القبطان فى سرعة :

ـ رويدك يا رجل .. إنها مركبة الغوص الصغيرة (شارك) ، تسعى لإنقاذ الناجين فى الأعماق .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ (شارك) ؟! يا له من اسم لمركبة إنقاذ(*) !

أما (نور) ، فتساءل فى لهفة :

ـ أهناك ناجون ؟!

أجابه القبطان فى صرامة :

ـ نعم .. ولكنهم يرسلون رسالة عجيبة .

(*) (شارك) : كلمة انجليزية ، تعنى (سمكة القرش) .

ثم راح يشرح له ما حدث لفريق الضفادع البشرية فى الأعماق ، واستمع إليه الكل فى انتباه متوتر ، قبل أن يتساءل (نور) ، فى قلق حذر :

- ولكن ما معنى هذا ؟!

أسرع مساعد القبطان يقول :

- إنه الهواء الفاسد ، وصدمة الحادث ، و ...

قاطعه (رمزى) فى حزم :

- هراء .

انعقد حاجبا القبطان فى غضب ، فى حين ارتفع حاجبا مساعده فى دهشة مستنكرة ، إلا أن (رمزى) تابع فى هدوء حازم ، وكأنما لم ينتبه إلى هذا وذاك :

- الهواء الفاسد قد يفقدهم وعيهم ، أو يصيبهم بدرجة ما من الهذيان ، مع الضعف الذى يسبق فقدان الوعى ، ولكنه لن يدفعهم إلى القيام بعمل هستيرى عنيف كهذا ، حتى لو امتزج بصدمة الحادث .

سأله القبطان ، فى شىء من العصبية :

- ومن أدراك ؟!

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- يبدو أننى قد نسيت تقديم نفسى .. الدكتور (رمزى) ، خبير الطب النفسى ، ومستشار التحاليل النفسية وفوق النفسية ، بالمخابرات العلمية المصرية ، وعضو فى فريق المقدّم (نور) .

ازداد انعقاد حاجبى القبطان ، وهو يغمغم :

- آه .. خبير نفسى .. كان ينبغى أن نتوقَّع هذا .

تبادل (نور) نظرة صامتة مع (أكرم) ، قبل أن يتمتم الأخير :

- ونحن أيضًا .

ربَّت (نور) على ظهره ، محاولاً تهدئته ، وهو يقول للقبطان :

- لا بأس .. سنتعارف جميعًا أكثر ، عندما يبدأ

عملنا .. أرجو أن تأمر بعضهم بإرشادنا إلى قاعة العمل الخاصة بنا يا قبطان ، حتى نـ ....

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث من البحر بغتة ضوء قوى ، أحاط بالمدمرة كلها ، فى لمحة سريعة ، أشبه بوميض مصباح تصوير هائل ، سطع وخبا دفعة واحدة ، فاستلّ (أكرم) مسدسه ، هاتفًا :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

واتسعت عيون (رمزى) و (سلوى) عن آخرهما ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وتلفّت القبطان حوله ، هاتفًا فى عصبية بالغة :

ـ نعم .. ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ، وما الـ ..

قبل أن يكتمل هتافه ، ارتجّت المدمرة كلها بموجة عنيفة من الأعماق ، جعلتها تتأرجح كورقة صغيرة ، على سطح حوض ثائر ، فاتسعت عينا مساعد القبطان ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! (شارك) !!

مع آخر حروف كلمته ، اندفع ضابط الرصد نحو القبطان ، صائحًا فى ذعر واضح ملتاع :

ـ سيِّدى القبطان .. سيِّدى القبطان .. المركبة (شارك) .

صاح به القبطان :

ـ ماذا أصابها ؟! هل انفجرت ؟!

هزّ الرجل رأسه فى قوة ، قبل أن يجيب ، وهو يلهث من فرط الانفعال :

ـ بل اختفت .. اختفت تمامًا .. فى الأعماق .

وكانت مفاجأة جديدة ..

مذهلة ..

* * *

استعاد (أمجد صبحى) نشاطه وحيويته ، على نحو مدهش ، وهو يراجع الخرائط البحرية ، مع نائب قائد القوات البحرية ، فى حجرة العمليات الخاصة ، فى مقر

رياسة الجمهورية ، فى (القاهرة) الجديدة ، وبدا شديد الاهتمام بمتابعة الموقف دقيقة بدقيقة وهو يشير إلى موضع غرق (ب . ن ـ ١٠٣) ، قائلاً :

ـ الاحتمال الذى افترضه الخبراء خطير للغاية ؛ فهو يعنى أن أحد أعدائنا قد نجح فى صنع نوع من الغواصات ، صغيرة الحجم ، فائقة السرعة والقوة ، بدليل أنها قد حطَّمت غواصتنا النووية ، بجسمها الكبير القوى ، ثم لم تترك أى جزء من حطامها فى المنطقة .

هزَّ نائب قائد القوات البحرية رأسه ، قائلاً :

ـ لست أميل إلى هذا الاحتمال ، على الرغم من تأكيد الخبراء ، فلو صح ، فهذا يوحى بأن ..

قبل أن يتمَّ حديثه ، ارتفع صوت الرئيس ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

ـ سيِّد (أمجد) .. أرجو حضورك إلى مكتبى فورًا .

انفصل (أمجد) عن المجموعة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ معذرة أيها السادة .. تابعوا الموقف ، وسأعود إليكم بأسرع وقت ممكن .

تساءل ، وهو فى طريقه إلى مكتب السيِّد الرئيس ، عن السبب الذى يدعوه لطلب لقائه ، على هذا النحو العاجل ، على الرغم من أن كل التقارير العاجلة ، الخاصة بالحادث ، تصل إلى غرفة العمليات ، فى نفس اللحظة التى تصل فيها إلى مكتب الرئيس ..

ولكنه لم يكد يدلف إلى مكتب الرئيس ، حتَّى استوعب السبب ، إلى حد ما ..

فهناك ، وعلى المقعد المواجه للمكتب تمامًا ، كان يجلس رجل طويل القامة ، متين البنيان ، أشقر الشعر ، لم يكد يلمح (أمجد) ، حتى نهض واقفًا ، والرئيس يقول :

ـ ادخل يا (أمجد) ، ودعنى أقدِّم لك الملحق العسكرى الروسى .

ارتسمت ابتسامة هادئة على شفتى (أمجد) ، وهو يقول :

- آه .. الكولونيل (موريس بيرجانوف) .. رجل المخابرات السابق .. أم هل أقول : والحالى أيضًا ؟!

ابتسم الكولونيل الروسى ابتسامة صفراء ، وهو يمدّ يده لمصافحة (أمجد) ، قائلاً :

- مرحبًا يا سيّد (أمجد) .. من الواضح أنك لم تنس بعد مواجهتنا السابقة فى (سيبيريا) ، منذ عدة سنوات .

أشار (أمجد) إلى رأسه ، قائلاً :

- على الرغم من هذا الشعر الأشيب ، ما زال عقلى يعمل بكفاءة تامة يا كولونيل .

مطّ الروسى شفتيه ، وغمغم :

- بالتأكيد يا سيّد (أمجد) .. بالتأكيد .

تراجع الرئيس فى مقعده ، وهو يشير بيده إلى الكولونيل (بيرجانوف) ، قائلاً :

- الكولونيل هنا بشأن حادث الغوّاصة يا (أمجد) .

بدا (أمجد) هادئًا ، وهو يتساءل :

- أية غوّاصة ؟!

ابتسم الرئيس ، لهذه المبادرة الأمنية التلقائية من (أمجد) ، وقال :

- غواصتنا (ب . ن - ١٠٣) يا (أمجد) ، فالروس قد رصدوا الحادث بأقمارهم الصناعية .

اندفع الكولونيل يقول فى سرعة :

- بالمصادفة البحتة .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (أمجد) ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

انعقد حاجبا الروسى فى غضب ، فى حين قال الرئيس فى حزم :

- الروس يرون أنه توجد علاقة وثيقة ، بين حادث غواصتنا ، وحادث قديم ، أصاب غواصتهم (كورسيك) ، فى الثانى عشر من أغسطس ، عام ألفين .

أجاب (أمجد) فى حذر :

ـ إننى أذكر حادث غرق (كورسيك) هذا جيدًا .

حاول الكولونيل (بيرجاتوف) أن يستعير سخريته ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

تابع (أمجد) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ ففى الثانى عشر من أغسطس ، عام ألفين ، أصيبت الغوّاصة الروسية النووية (كوسيك) إصابة عنيفة فى مقدمتها ، وهى تسير على عمق خمسين مترًا ، فى بحر (بارينتس)(*) ، مما أدى إلى غرقها ، وعلى متنها مائة وثمانية عشر شخصًا ، لقى معظمهم مصرعهم ، مع الإصابة الأولى ، وبقى ثلاثة وعشرون آخرون ، انتقلوا من المقصورات السادسة والسابعة والثامنة ، إلى المقصورة التاسعة ، المحكمة ضد المياه ، بحيث تكون منفذًا للهرب ، وعلى الرغم من هذا ، فإن

(*) بحر (بارينتس) : بحر فى شمال (أوروبا) و(روسيا) ، يتصل بالمحيط المتجمّد الشمالى ، وبحر (كارا) ، ويطلّ عليه ساحل (روسيا) الشمالى ، وجزء من ساحل (النرويج) .

أحدهم لم يهرب ، بل بقى الكل ، حتى تم انتشال أربع جثث ، من المقصورة التاسعة ، بعد عدة أيام(*) .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، متسائلاً ، فى شىء من الصرامة :

ـ السؤال هو : لماذا لم يتم انتشال كل الجثث ؟!

صمت الكولونيل الروسى بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ لماذا لا نؤجّل هذا السؤال للنهاية يا سيد (أمجد) ؟!

هزّ (أمجد) شفتيه ، وقال :

ـ هذا لو عرفنا البداية .. أقصد الحقيقية ، وليست المعلنة .

التقط الكولونيل نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ هذا ما أتيت من أجله يا سيّد (أمجد) ، فالرؤساء فى (موسكو) يرون أن الضرورة الأمنية تحتم تبادل الأسرار .. الآن .

(*) واقعة حقيقية بكل التفاصيل المذكورة .

تبادل الرئيس نظرة صامتة مع (أمجد) ، قبل أن يقول :

ـ فليكن يا كولونيل .. كلنا آذان مصغية .

التقط الروسى نفسًا آخر أكثر عمقًا ، قبل أن يقول :

ـ التحليل الرسمى للحادث قال : إن خللاً أصاب الغوَّاصة ، فمالت على نحو خطير ، جعلها ترتطم بالقاع القريب فى عمق ، حيث إن عمق منطقة غرقها لم يكن يتجاوز المائة وخمسين مترًا ، ومع طولها البالغ ، وسرعتها ، حدث ما حدث ، ولقد أدى هذا ، وفقًا للتقرير الرسمى أيضًا ، إلى انطلاق صاروخ داخلها ، فنسف مقدمتها .

سأله (أمجد) :

ـ وماذا عن الحقيقة ؟!

صمت الكولونيل طويلاً ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ الحقيقة أن جسمًا غريبًا قد ارتطم بغواصتنا ، وارتطامه هو الذى أدى إلى انطلاق ذلك الصاروخ داخلها .

تبادل الرئيس نظرة أخرى مع (أمجد) ، قبل أن يتساءل الأخير فى اهتمام بالغ :

ـ أى جسم هذا ؟!

هزَّ الكولونيل رأسه فى عصبية ، وهو يجيب :

ـ جسم مجهول الهوية ، ارتطم بغواصتنا ، وهو يسير بسرعة سبعين عقدة بحرية فى الساعة .

غمغم (أمجد) :

ـ الجسم الذى أصاب غواصتنا ، كان ينطلق بسرعة ثمانين عقدة بحرية .

لوَّح الكولونيل بيده ، قائلاً :

ـ لا تنس أن غواصتنا غرقت فى آخر أعوام القرن العشرين(*) ، وغواصتكم غرقت فى آخر العقد الأوَّل ، من القرن الحادى والعشرين ، وهذا صنع فارقًا فى سرعة غواصاتنا ، فما بالك بـ ...

(★) يبدأ القرن الحادى والعشرين فعليًا ، مع بداية عام ٢٠٠١ م ، وليس مع بداية عام ٢٠٠٠ م ، كما تصوَّر البعض .

بتر عبارته دفعة واحدة ، فقال (أمجد) يستحثه فى حزم :

ـ فما بالك بماذا ؟!

تردَّد الكولونيل بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ بغواصاتهم .

التقى حاجبا الرئيس فى توتر صامت ، فى حين تساءل (أمجد) فى حزم :

ـ من تقصد بـ (هم) هذه ؟!

تضاعفت عصبية الكولونيل الروسى ، وهو يقول :

ـ أنت تفهم ما أعنيه .

ثم نقل بصره بين الرجلين ، مستطردًا :

ـ المخلوقات الفضائية طبعًا .

اعتدل الرئيس بحركة حادة ، وهو يكرِّر ، بكل دهشة الدنيا :

ـ مخلوقات فضائية ؟!

أما (أمجد) ، فقال فى صرامة مستنكرة :

ـ ومن تحدَّث الآن عن مخلوقات فضائية ؟! الحادث تم فى أعماق البحر يا رجل .

قال الكولونيل فى عنف :

ـ من الواضح أنك لم تسع خلف الملفات السرية لحادث غواصتنا (كورسيك) يا سيِّد (أمجد) ، ولم تتساءل أبدًا لماذا انتظرنا أربعة أيام ، قبل أن نطلب مساعدة أجنبية ؛ للقيام بعملية الإنقاذ ، ثم ، وهذا هو الأهم ، لماذا انتشلنا أربع جثث فحسب ، على الرغم من عمل جنازة رستمية لتوابيت خاوية ؟!

قال (أمجد) فى حذر :

ـ لقد تصوَّرنا أن هذا لتهدئة الرأى العام الغاضب فحسب .

هزَّ الكولونيل رأسه فى قوة ، وقال :

ـ ومنذ متى كان هذا يُزعج السلطات الروسية ؟!

أشار إليه (أمجد) ، قائلاً فى اهتمام :

ـ أخبرنا ما لديك إذن .

مطَّ الكولونيل شفتيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ الواقع أننا بدأنا محاولات الإنقاذ فورًا ، كما فعلتم أنتم .

سأله (أمجد) :

ـ وماذا حدث عندئذ ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ تضاعفت الخسائر ..

تساءل الرئيس فى دهشة :

ـ ولماذا ؟!

أجاب الروسى ، فى سرعة وعصبية :

ـ لأن الأمور كانت تفوق قدراتنا ، وهذا يجيب السؤال الثانى ، الخاص بطلب مساعدة أجنبية أيضًا .

سأله (أمجد) :

ـ وماذا عن السؤال الثالث ، الخاص بانتشال أربع جثث فحسب ، من مجموع ضحايا الحادث ؟!

صمت الروسى لدقيقة كاملة هذه المرة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويشدّ قامته ، قائلاً :

ـ لقد انتشلنا كل ما عثرنا عليه .

انعقد حاجبا الرئيس ، فى حين تساءل (أمجد) ، فى حذر متوتر :

ـ وماذا عن الباقين ؟!

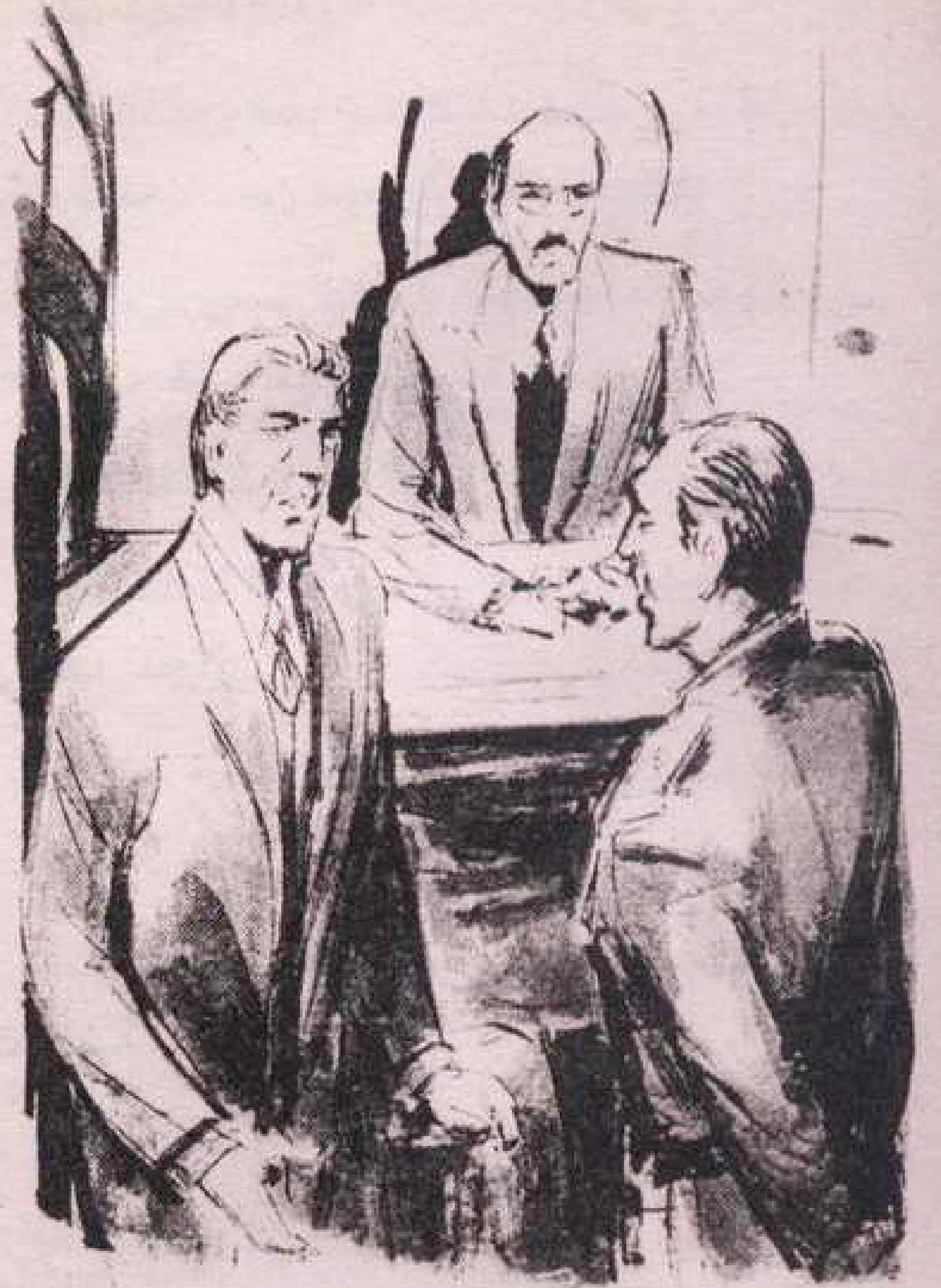
أجاب الروسى ، بكل صرامة الدنيا :

ـ لم يكن لهم أدنى أثر .. لقد اختفوا من داخل الغوّاصة .. اختفوا تمامًا .

وتفجَّر الذهول ..

بمنتهى القوة .

* * *



انعقد حاجبا الرئيس ، فى حين تساءل (أمجد) ، فى حذر متوتر :
ـ وماذا عن الباقين ؟! ..

٣ ـ الحصــار..

لم تستطع (نشوى) منع ذلك التوترٍ ، الذى سرى فى جسدها ، على الرغم منها ، وهى تتطلع إلى (مشيرة) زوجة (أكرم) ، ورئيسة تحرير (أنباء الفيديو) ، أولَ جريدة تليفزيونية فى العالم ، والذى حاولت أن تخفيه عن صوتها ، وهى ترغم نفسها على الابتسام ، قائلة :

ـ (مشيرة) ؟! يالها من مفاجأة ! لم أتوقَّع زيارتك هذه قط فى الواقع .

ابتسمت (مشيرة) بشىء من السخرية ، وهى تقول :

ـ لا داعِىَ لهذه الدبلوماسية الخبيثة ، التى ورثتها عن والدك يا (نشوى) .. كلانا يعلم أنك لا تشعرين بالارتياح لزيارتى هذه .

ثم أزاحتها عن طريقها ، على نحو يتنافى مع اللياقة ، وهى تدلف إلى المكان ، متابعة :

ـ أين الصغيران ؟!

أجابتها (نشوى) ، فى ضيق لم تحاول كتمانه هذه المرة ، وهى تغلق الباب خلفها :

ـ نائمان بالطبع .. إنها الحادية عشرة مساءً ، والأطفال لا يستيقظون ، حتى هذه الساعة المتأخرة .

جلست (مشيرة) على أول أريكة صادفتها ، وهى تقول فى خبث :

ـ من حسن الحظ أن الكبار يفعلون .

لم يكن لدى (نشوى) وقت للمناورة ، لذا فقد سألتها مباشرة :

ـ ما سر هذه الزيارة يا (مشيرة) ؟!

هزّت (مشيرة) كتفيها ، قائلة :

ـ التساؤل بالطبع يا عزيزتى ..

سألتها (نشوى) ، وقد بدأ شىء من العصبية يتسلل إلى صوتها :

ـ التساؤل عن ماذا ؟!

مالت (مشيرة) إلى الأمام بحركة حادة ، وهى تقول :

ـ عن تلك المهمة ، التى هرع إليها (أكرم) ، مع باقى أعضاء الفريق ، ثم بقيت وحدك هنا ، على غير العادة ، دون الانضمام إليهم فيها !

أجابتها (نشوى) فى عصبية واضحة :

ـ كان لابد أن يبقى أحد ؛ لرعاية الطفلين .

أطلقت (مشيرة) ضحكة قصيرة عصبية ، قبل أن تقول :

ـ حقًا ؟! ولماذا هذه المرة ؟!

مالت (نشوى) نحوها بدورها ، وقالت فى صرامة :

ـ (مشيرة) .. أنت تعلمين أنك لن تحصلى على أى جواب .

قالت (مشيرة) فى توتر :

ـ نعم .. أعلم هذا .

ثم انفجرت فجأة ، مستطردة :

ـ وهذا ما يثير أعصابى دومًا .

هتفت بها (نشوى) فى غضب :

ـ اخفضى صوتك .. الطفلان نائمان .

تراجعت (مشيرة) فى جلستها ، وبدت شديدة العصبية ، وهى تلوذ بالصمت بضع لحظات ، قبل أن تقول :

ـ ألهذا علاقة بحادثة الغوّاصة ؟!

كان القول مفاجئًا بعنف ، حتى أن صوت (نشوى) الشاحب قد أفصح عن ذهولها ، وهى تقول :

ـ أية غوّاصة ؟!

عادت (مشيرة) تميل نحوها ، قائلة بنفس العصبية :

ـ من الواضح أنكم ، وبعد كل هذا ، ما زلتم عاجزين عن إدراك ما تستطيعه الصحافة ، فى زمننا هذا .

جلست (نشوى) على مقعد قريب ، ولاذت بالصمت التام ، و(مشيرة) تتابع فى عصبية ، حملت لمحة من الزهو والغطرسة :

ـ بعد أقل من نصف الساعة ، من انصراف (أكرم) ، وصلنى خبر حادث غواصتنا النووية ، عن طريق أحد مخبرينا .. صحيح أن وزارة الدفاع ، وقيادة القوات البحرية قد أنكرتا وقوع الحادث ، وادعيتا أنه مجرَّد عطل طارئ ، يجرى إصلاحه ، إلا أننى أدرك بخبرتى ، أن الأمر يتجاوز هذا بكثير حتمًا ، وأنه هناك لغز وراء حادث الغوّاصة هذا .

هزَّت (نشوى) رأسها ، قائلة :

ـ إنه مجرَّد استنتاج .

مالت (مشيرة) نحوها أكثر ، وهى تقول :

ـ استنتاج ؟! خطأ يا عزيزتى .. إنه يقين .. (نور) وفريقه ، الذى يضمّ زوجى (أكرم) يبحثون لغز الغواصة النووية ، الغارقة حتمًا فى أعماق البحر ، وأنت بقيت هنا ، لأنك لا تستطيعين مواجهة الموقف نفسه مرتين .. أتسمين هذا استنتاجًا ؟!

نهضت (نشوى) فى حزم ، قائلة :

ـ نعم .. مجرَّد استنتاج .

رفعت (مشيرة) عينيها إليها ، متسائلة فى سخرية :

ـ هل يعنى هذا أن المقابلة قد انتهت ؟!

أجابتها (نشوى) فى تحد :

ـ هذا استنتاج عبقرى بحق .

هزّت (مشيرة) كتفيها ، قائلة فى تحد :

ـ وماذا لو أصررت على البقاء ؟!

أجابتها (نشوى) بتحد أكبر :

ـ عندئذ سأضطر للاتصال بمسئول الأمن ؛ لأننى أؤدّى اليوم عملاً للحكومة ، يستلزم السرية التامة .

بدا وكأن الزمن قد توقّف بضع لحظات ، التقت خلالها عيونهما فى تحد سافر ، قبل أن تنهض (مشيرة) ، وتهزّ رأسها ، قائلة :

ـ أنتم بالفعل لا تدركون ما تستطيعه الصحافة .

قالتها ، ورمت (نشوى) بنظرة متحدية ، قبل أن تغادر المنزل ، وتغلق الباب خلفها ، فزفرت (نشوى) ، مغمغمة فى عصبية :

ـ يا لك من عنيدة !

ثم اتجهت فى توتر إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وألقت نظرة على شاشته قبل أن تقول فى توتر :

ـ يا إلهى ! إنها رسالة من أمى .. لقد فاتتنى الأحداث الأخيرة .

أسرعت تضغط أزرار الكمبيوتر ، لتطالع رسالة (سلوى) ..

ولكن ما إن وقع بصرها على محتوياتها ، حتى اتسعت عيناها عن آخرهما ..

فالأخبار الواردة من عرض البحر كانت مذهلة ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« لابد أن نجد تفسيرًا لما حدث .. »

نطقت (سلوى) العبارة ، وهى تطالع شاشة جهاز الرصد الخاص بها ، بعد أن استقرّ بهم المقام فى تلك القاعة

الصغيرة ، التى تم إعدادها خصيصًا لهم ، ثم التفتت لمراجعة باقى أجهزتها ، وهى تواصل فى اهتمام :

ـ الرصد الشامل ، الذى قمت به ، يؤكِّد أن (شارك) قد اختفت تمامًا ، ولم يعد لها أدنى أثر ، فى دائرة مركزها الغوَّاصة الغارقة ، ونصف قطرها عشرة أميال بحرية .

سألها (نور) فى اهتمام بالغ :

ـ هل تعتقدين أنها قد انفجرت ، على نحو ما ؟!

هزَّت رأسها ، قائلة :

ـ مستحيل ! المراقبون هنا كانوا يستخدمون (السونار) ، لرصد حركتها فى الأعماق ، ولو أنها انفجرت ، أو حتى ارتطمت بأى شىء ، لرصد (السونار) الموجات الصوتية ، الناشئة عن هذا .

غمغم (أكرم) فى عصبية :

ـ لاشىء يتلاشى هكذا .. لقد علمونا قديمًا أن المادة لا تفنى ، ولا تستحدث من عدم .

أشارت (سلوى) بسبَّابتها ، قائلة :

ـ هذه نظرية قديمة ، تم تطويرها فيما بعد ، ليقال : إن الطاقة لا تفنى ، ولا تنشأ من العدم ، إذ إن المادة يمكن أن تفنى ، بتحوُّلها إلى نوع من الطاقة ، كما يحدث عند الاحتراق مثلاً .

سألها (أكرم) فى حدة :

ـ هل تعتقدين أن مركبة الغوص الصغيرة قد احترقت ، فى أعماق البحر ؟!

أجابته بصوت ، حمل لمحة من الصرامة :

ـ ليس بالمعنى المباشر ، وإن كان الاحتراق فى قاع البحر ليس بالأمر المستحيل علميًّا(*) ، ولكن ما أقصده هو أنه من المحتمل أن تكون المركبة قد تعرَّضت لشىء ما ، حوَّلها إلى طاقة .

سألها (رمزى) :

ـ وماذا عن ذلك الارتجاج ، الذى شعرنا به ؟! ألم يكن يشير إلى حدوث انفجار ما ، تحت سطح البحر ؟!

(★) قديمًا كان الغواصون يستخدمون شرائط من المغنسيوم ، لإشعالها تحت سطح البحر .

أجابته ، وهى تضبط أجهزتها :

ـ هذا ما تصوَّرته فى البداية ، حتى راجعت قراءات (السونار) ، فلقد اختفت (شارك) أولاً ، وبعدها سطع ذلك الوميض القوى ، وانبعثت موجة الارتجاج من الأعماق .

قال (أكرم) :

ـ وماذا لو ... ؟!

ولكنها قاطعته ؛ لتكمل قولها فى حزم :

ـ ولكن ليس من موضع (شارك) .

سألها (نور) :

ـ من أين إذن ؟!

أشارت بيدها إلى الخريطة البحرية أمامها ، قبل أن تجيب :

ـ من (ب . ن ـ ١٠٣) .

بدت الدهشة على ثلاثتهم ، وهتف (نور) :

ـ وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

هزَّت رأسها نفيًا ، وهى تجيب :

ـ لست أدرى .

وتنهَّدت فى عمق ، قبل أن تضيف فى حزم :

ـ ولكننا هنا لنبحث عن الأجوبة .

دلف القبطان إلى القاعة ، فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى عصبية :

ـ هل توصَّلتم إلى شىء ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ الأمور لا تسير بهذه السرعة .

صاح به فى غضب :

ـ كيف كنت تتمنَّى أن تسير إذن ، لو أنك أحد المحتجزين داخل غوَّاصة محطمة ، فى أعماق البحر ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا .

تضاعف غضب القبطان ، وهو يهتف :

ـ أى جهد هذا الذى تتحدَّث عنه ؟! إنكم تجلسون فى قاعتكم هذه دون عمل ، منذ أكثر من نصف الساعة ، وزملاؤنا يختنقون فى الأعماق .

احتقن وجه (نور) ، وبدا الموقف منذرًا بالخطر ، فاندفع (رمزى) يسأل القبطان فى هدوء :

ـ ما الذى تتوقَّع منا أن نفعله أيها القبطان ؟!

لوَّح القبطان بذراعيه على امتدادهما ، قائلاً فى غضب :

ـ أى شىء ، إلا أن تجلسوا هنا هكذا .

كاد (نور) ينطق شيئًا ما ، ولكن (رمزى) استوقفه بإشارة حازمة ، وهو يقول للقبطان بنفس الهدوء :

ـ الواقع أن عملنا هو أن نجلس هنا ، وأن ندرس الموقف من الناحية العلمية ، أما بالنسبة للحركة والنشاط ، فهو الجزء الخاص بكم ، حتى لا تتداخل الصلاحيات .

تمتم (أكرم) ، وهو يشيح بوجهه :

ـ للأسف .

أما القبطان ، فقد حدَّق فى وجه (رمزى) بضع لحظات ، قبل أن يشدَّ قامته ، ويقول فى حزم صارم :

ـ هذا صحيح .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف :

ـ ولقد اتخذنا خطوات عملية بالفعل .

أدرك (نور) من العبارة أن (رمزى) قد استغل موهبته بنجاح ، فسأل القبطان فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابه القبطان :

ـ هناك مركبة غوص أخرى ، من طراز (شارك) أيضًا ، فى طريقها إلى هنا .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ خطأ .

استدار إليها القبطان فى غضب ، مكررًا :

ـ خطأ ؟!

أسرع (نور) يقول :

ـ زوجتى تقصد أننا لم نتوصّل بعد لما أصاب المركبة الأولى ، ومن الخطر أن نجازف بإرسال أخرى ، قبل حسم أمر الأولى ، خشية أن تتكرّر المأساة .

قال القبطان فى عصبية :

ـ ومن الخطأ أيضًا أن نترك الزملاء يواجهون الموت فى الأعماق ، حتى تتوصّلوا إلى حل اللغز .

كان كلاهما على حق فى منطقه ، لذا فقد غمغم (نور) :

ـ نحتاج إلى حل وسط .

هزّ القبطان رأسه فى شدة ، قائلاً :

ـ فى مثل هذه الظروف ، لا توجد حلول وسط .

مرة أخرى ، تدخَّل (رمزى) ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

ـ فى كل الظروف والأحوال ، هناك حتمًا حل وسط .

التفت إليه القبطان ، قائلاً فى حدة :

ـ مثل ماذا ؟!

اندفع (أكرم) يقول فى عصبية :

ـ إرسال غوّاص آلى مثلاً .

لم يكد ينطقها ، حتى ساد القاعة الصغيرة فجأة صمت رهيب ، واتجهت العيون كلها إليه ، فقال فى عصبية أكثر :

ـ إنه مجرّد اقتراح .

هتفت (سلوى) فى حماسة :

ـ اقتراح رائع .

وابتسم (نور) ، وتألّقت عيناه ، وهو يقول :

ـ بل أكثر من رائع .

ثم التفت إلى القبطان ، متابعًا فى حماسة :

ـ وفقًا لمعلوماتى ، لديكم غوّاص آلى هنا ، بالمواصفات المطلوبة ، يمكننا إضافة آلة تصوير فيديو صغيرة به .

التقى حاجبا القبطان ، وهو يقول :

ـ لدينا بالفعل غوّاص آلى ، مزوَّد بآلـة تصوير ، ومصدر ضوئى قـوى ، ولكننـا لـم نختبره قط ، فى مثل هذا العمق .

قال (رمزى) فى هدوء :

ـ أظن أنه قد حان الوقت لاختباره .

رفع إليه القبطان عينين متألقتين ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

قالها ، واندفع دون إضافة حرف واحد ، لإصدار أوامره فى هذا الشأن ، ولم يكد يغادر الحجرة ، حتى شدّ (أكرم) قامته ، وتمتم فى شىء من الزهو :

ـ كان مجرَّد اقتراح .

ربَّت (نور) على ظهره ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ بل كانت لمحة عبقرية .

مع آخر حروف كلماته ، صدر أزيز مميَّز ، من جهاز الاتصال الخاص ، فألقت (سلوى) نظرة سريعة على شاشته ، وقالت :

ـ رسالة خاصة لك يا (نور) .

سألها ، وهو يتجه إليها بخطوات سريعة :

ـ ممن ؟!

أفسحت له مقعدها ، وهى تجيب :

ـ السيِّد (أمجد صبحى) .

انعقد حجبا (نور) ، وهو يجلس أمام جهاز الاتصال المؤمَّن ، ليطالع رسالة (أمجد) ، فى حين تهلَّلت أسارير (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ حقًّا ؟! كم أتفاءل بوجوده .

ثم استدار إلى (رمزى) ، مكملاً فى حماسة :

ـ فى شبابى ، كنا نعتبره أسطورة .

ابتسم (رمزى) مغمغمًا :

ـ وما زلنا .

قالها ، وعيناه تتطلّعان إلى (نور) ، الذى ازداد انعقاد حاجبيه بشدة ، وهو يطالع رسالة (أمجد) ، قبل أن يمحوها بضغطة زر ، ثم يتراجع فى مقعده ، قائلاً :

ـ يبدو أن ما نواجهه لم يولد مع غروب شمس اليوم يا رفاق .

ثم التفت إليهم ، مستطردًا فى توتر :

ـ بل منذ عشر سنوات .

حدّق (أكرم) و(سلوى) فيه بدهشة ، فى حين هتف (رمزى) فى لهفة متوترة :

ـ ماذا قالت رسالة السيِّد (أمجد) ؟!

نهض (نور) ، وتحرّك فى صمت ، حتى منتصف القاعة ، قبل أن يرفع عينيه إليهم ، قائلاً فى بطء :

ـ قالت الكثير .. والمثير .

لم تكد كلمته الأخيرة تُختتم ، حتى ارتفع أزيز مختلف ، من جهاز الرصد الخاص بـ (سلوى) ، فالتفت الكل إليه فى توتر ، وهتفت هى ، وهى تندفع نحوه :

ـ تُرى ماذا يقترب منا هذه المرة ؟!

قبل أن تبلغ الجهاز ، امتزج أزيزه بأزيز ثان ..

ثم ثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

وهنا هرع الكل نحوه ..

وفى نفس اللحظة ، التى التفّ فيها الأربعة حول الجهاز ، اندفع أحد ضباط المراقبة داخل القاعة ، وهتف بصوت حمل كل توتر الدنيا :

ـ إننا محاصرون .

وكان هتافه هذا يتفق مع ما يرونه جميعًا ، على شاشة جهاز (سلوى) ..

ومع ما أثار خوفهم ..

حتى النخاع ..

★ ★ ★

« خمس مركبات مجهولة ، تحيط بالمدمرة (فجر) .. »

نطق (أمجد) بالعبارة فى توتر ، وهو يقف أمام رئيس الجمهورية ، والكولونيل (بيرجاتوف) ، الذى سأله فى توتر :

ـ وكيف علمتم بهذا ؟!

أشار (أمجد) بسبَّابته وإبهامه مجيبًا :

ـ أعلم ما تعنيه بسؤالك هذا ، فلقد انقطعت الاتصالات المباشرة ، بيننا وبين المدمرة (فجر) فور ظهور تلك المركبات الخمس ، ولكن كانت هناك وسيلتان

أخريين .. أولهما أن (سلوى) خبيرة الاتصالات بفريق (نور) ، قد أبرقت بالخبر فورًا إلى ابنتها (نشوى) ، خبيرة الكمبيوتر لدينا ، وثانيهما أن قمرنا الصناعى الجيولوجى قد رصد الموقف فورًا .

انعقد حاجبا الروسى ، فى حين تساءل رئيس الجمهورية ، فى قلق عارم :

ـ هل تعتقد أن تلك المركبات الخمس ستسعى لتدمير (فجر) وإغراقها ، كما حدث مع (ب . ن ـ ١٠٣) يا (أمجد) ؟!

انفرجت شفتا (أمجد) ، ليدلى بدلوه فى الأمر ، ولكن الروسى اندفع يجيب بدلاً منه فى سرعة :

ـ ليس بعد .

لم يفهم الرئيس جوابه ، فتطلَّع إليه فى توتر ، فى حين تابع هو فى انفعال ، وهو يلتفت إلى (أمجد) :

ـ قل لى : كيف تمكنت خبيرتكم من إبلاغ الخبر لابنتها ، على الرغم من انقطاع الاتصالات بالمدمرة (فجر) ، فور ظهور تلك المركبات المجهولة ؟!

أشار (أمجد) بيده ، وهو يجيب فى حذر :

ـ إنها تستخدم جهازًا خاصًا ، يبث إشارات محمولة ، على شعاع من الليزر ، وتنقلها الأقمار الصناعية إلى شبكة الإنترنت اللاسلكية .

تألَّقت عينا الروسى ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا يمنحكم مزية ، لم تتوافر لنا ، خلال حادث (كورسيك) .

ثم أمسك كتفى (أمجد) فجأة، وهو يتابع فى انفعال :

ـ هيا .. أسرع ، ولاتضيع الوقت يا رجل .. اتصل بابنة خبيرتكم ، واطلب منها أن تبلغ أمها ، بضرورة مغادرة المدمرة (فجر) فورًا ، ودون إبطاء .. فورًا يا رجل .. فورًا .

هبَّ رئيس الجمهورية واقفًا ، وتطلَّع إلى (أمجد) فى توتر بالغ ، ولكن هذا الأخير منحه إشارة تهدئة خفية ، وهو يسأل (بيرجانوف) فى صرامة :

ـ لماذا يا رجل ؟! لماذا نطالب رجالنا بالتخلى عن زملائهم ، القابعين فى أعماق البحر ، فى انتظار النجدة ؟! لماذا ؟!

هزَّ الروسى رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ إنهم لا ينتظرون أية نجدة ؛ لأنهم يعلمون أنه لا أمل لهم فى النجاة ، ولهذا طالبوا الباقين بالابتعاد ، حتى لا ينالهم المصير نفسه .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يتطلَّع إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ كولونيل (بيرجانوف) من الواضح أنك لم تبلغنا كل ما لديك ، فما الذى تخفيه عنا بالضبط ؟! ولماذا رفضت أن تشرح لنا سر اختفاء بحارة (كورسيك) ، فى عام ألفين ؟!

هتف الروسى فى عصبية :

ـ لا وقت لهذا يا رجل .. مرهم أولاً بمغادرة المدمرة ، ثم ..

قاطعه (أمجد) بصرامة شديدة :

ـ المعلومات أوَّلاً .

تطلَّع الروسى إلى عينيه ، اللتين تحملان كل صرامة الدنيا ، ثم زفر فى استسلام ، وغمغم :

ـ فليكن .

ثم بدأ يروى ما لديه ..

وكانت الحقائق رهيبة ومذهلة ..

بلا حدود .

* * *



٤ ـ الأشباح ..

« تُرى ماذا يريدون بالضبط ؟!»

غمغمت (سلوى) بالعبارة فى توتر ، وهى تتطلَّع إلى شاشة راصدها ، التى تنقل صورة بالموجات الصوتية للمركبات المجهولة الخمس ، التى تحيط بالمدمرة (فجر) ، فى سكون تام ، منذ ما يقرب من نصف الساعة ، فهزَّ (أكرم) رأسه فى عصبية ، قائلاً :

ـ أظنهم يريدون تحطيم أعصابنا .

تساءل (رمزى) :

ـ ولكن لماذا ؟! إنهم إما أعداء أو أصدقاء ، وكلا الحالين يستلزم نوعًا من الاتصال !

قال القبطان فى صرامة متوترة :

ـ أظن أن ما فعلوه بالغواصة (ب . ن ـ ١٠٣) ، وبمركبة الغوص (شارك) ، يضعهم فى خانة الأعداء .

انعقد حاجبا (نور) ، دون أن يعلّق على الأمر ، وبدت على وجهه علامات التفكير العميق ، فالتفت القبطان إلى مساعده ، قائلاً :

- ماذا عن الاتصال بالقاعدة ؟!

هزّ مساعده رأسه نفيًا ، وقال :

- كل الاتصالات بالقاعدة مقطوعة .

قالت (سلوى) فى سرعة :

- فيما عدا اتصالات جهازى الخاص .

استدار إليها القبطان ، قائلاً ، بنفس الصرامة العصبية :

- هذا يجعلك وسيلة اتصالنا الوحيدة ، بالعالم الخارجى يا سيّدتى .

غمغمت فى توتر :

- أعتقد هذا .

سألها فى اهتمام :

- هل أبلغت القيادة بموقفنا الحالى ؟!

أجابته فى سرعة :

- بالتأكيد .

سألها ، وقد امتزج اهتمامه بلهفة متوترة :

- وماذا كان جوابهم ؟!

هزّت رأسها ، مجيبة :

- لم أتلق الجواب بعد .

التقى حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

- هذا يعنى أنه علينا أن نتخذ القرار بأنفسنا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

- أى قرار ؟! الموقف متجمّد تمامًا حسبما أرى .

أجابه القبطان فى صرامة عصبية :

- ولكن زملاءنا فى الأعماق لن يتجمّدوا بدورهم .. إنهم يحتاجون لكل دقيقة نهدرها هنا ، والهواء المتبقى لديهم سينفد ، خلال أقل من نصف الساعة ، كما يقول خبراء الإنقاذ معنا .

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ فلنرسل الغواص الآلى فورًا .

استدار الكل إليه بحركة واحدة ، وقال مساعد القبطان فى توتر :

ـ وهل تعتقد أنهم سيسمحون بهذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ إننا لانعرف من ، أو ماذا نواجه بالضبط ، ولكن فى كل الأحوال ، لا يمكنك حسم الأمر ، إلا بتجربة مباشرة .

همَّ مساعد القبطان بقول شىء ما ، ولكن القبطان نفسه تدخَّل ، قائلاً فى حزم :

ـ أنا أوافقك على هذا .

ثم التفت إلى مساعده ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ قل للرجال إننا سنرسل الغوَّاص الآلى فورًا ، وأريد توصيل الكاميرا المثبتة فيه بكابل طويل يكفى لأن نتابع كل ما يلتقطه فى الأعماق لحظة فلحظة (*).

(★) الإشارات اللاسلكية لا تنتقل فى الوسط المائى .

قال المساعد فى توتر :

ـ ولكن يا سيِّدى ..

قاطعه القبطان بصيحة هادرة :

ـ نفذ الأوامر .

زفر الرجل فى توتر ، وقال :

ـ كما تأمر يا قبطان .

أسرع المساعد لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت القبطان إلى (نور) وفريقه ، وسأل فى توتر :

ـ وماذا عنكم أيها السادة ؟! هل توصَّلتم إلى شىء ؟!

أجابته (سلوى) فى سرعة :

ـ الموقف ما زال يحمل الكثير من الغموض ؛ فتلك المركبات ظهرت بغتة فى نطاق الرؤية ، ولم يتم رصدها وهى تتجه نحو المدمرة ، وهذا أمر محيِّر للغاية ، إذ إنها تبدو كما لو ... كما لو ....

أكمل (نور) فى حزم :

ـ كما لو أنها قد برزت من العدم .

التقى حاجبا القبطان فى شدة ، وهو يتمتم :

ـ من العدم ؟! أى قول هذا ؟! لاشىء يبرز من العدم .

قال (رمزى) فى سرعة :

ـ لا شىء نعرفه .

استدار إليه القبطان فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ اسمع يا هذا .. إننا لن نتحدَّث هنا عن تلك الخزعبلات ، الخاصة بمخلوقات الكواكب الأخرى .

أجابه (نور) فى حزم :

ـ تلك الخزعبلات احتلَّت يومًا كوكبنا ، منذ بضعة أعوام يا سيِّدى(*).

لوَّح القبطان بذراعه ، هاتفًا :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم ٧٦

ـ هذا لا يعنى أن ننسب إليها كل ما تعجز عن فهمه أو تفسيره .

غمغم (نور) ، وهو يستعيد تفكيره العميق :

ـ بالتأكيد .

ثم أشار بسبَّابته ، مستطردًا :

ـ لذا ، فنحن بحاجة لمعرفة ما سيجده الغوَّاص الآلى ، فى الأعماق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى برز مساعد القبطان ، قائلاً فى انفعال ، جعله يلهث على نحو عجيب ، كما لو أنه قد انتهى من الركض ، حول ملعب كرة قدم :

ـ لقد أطلقنا الغوَّاص الآلى .

أسرعت (سلوى) تضغط أزرار جهازها ، قائلة فى اهتمام :

ـ أظننا نستطيع التقاط ما يبثه هنا .

التفَّ الكل حول شاشة جهازها ، التى نقلت صورة



أسرعت (سلوى) تضغط أزرار جهازها ، قائلة فى اهتمام :
ـ أظننا نستطيع التقاط ما يبثه هنا ..

البحر ، التى تنقلها تلك الكاميرا الحسَّاسة ، المثبتة فى جسم الغوَّاص الآلى فقال (أكرم) فى اهتمام ، مشوب بالعصبية كعادته :

ـ إنها لم تعترض طريقه .

قالها ، وهو يشير إلى المركبات الخمس المجهولة ، التى ظلَّت جامدة ساكنة ، على عمق مائتى متر ، تحت سطح البحر ، والغوَّاص الآلى يتجاوزها فى هدوء ، وهو يغوص فى أعماق البحر بسرعة ، حاملاً مجموعة من الأدوات اللازمة لعملية انتشال (ب . ن ـ ١٠٣)

وفى اهتمام مترقِّب ، قال القبطان :

ـ الغوَّاص الآلى لن يكتفى برصد ما يحدث فحسب ، وإنما يحمل معه ثمان بالونات خاصة ، نُطلق عليها اسم (بانتومات) ، وهى معدَّة بحيث يتم تثبيتها فى حلقات خاصة بجسم الغوَّاصة الغارقة ، ثم ملؤها بالهواء ، لتحمل الغوَّاصة إلى السطح(*).

(★) وسيلة إنقاذ فعلية للغواصات والمراكب الغارقة .

ثم زفر فى عصبية ، قليلاً :

- المهم أن نفعل هذا فى الوقت المناسب .

قال (نور) فى حزم :

- بل المهم أن يكون لهذا فائدة .

التفت إليه القبطان ومساعده بحركة مستنكرة ، ولكنه تابع بنفس الحزم :

- فنحن ما زلنا نجهل ما يحدث بأسفل .

بدا التوتر على مساعد القبطان ، الذى لم ترق له كلمات (نور) فى حين أومأ القبطان نفسه برأسه متفهمًا ، وغمغم :

- ها نحن أولاء نتابع .

أعادت عبارته الصمت إلى المكان ، والكل يتابع حركة الغوّاص الآلى ، وهو يغوص فى الأعماق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم ظهرت (ب . ن - ١٠٣) ، وهى ترقد فى الأعماق ..

واتجه الغوّاص الآلى نحوها مباشرة ..

وفى اهتمام بالغ ، راقب الكل ما تنقله آلة التصوير ، وهو يثبت (البانتومات) ، على جانبى الغوّاصة ، و ...

وفجأة ، اخترق شىء ما الغوّاصة ، من الداخل إلى الخارق ..

أو بتعبير أدق : عبرها ..

واتسعت عيون الكل فى آن واحد ، وهم يحدقون فى شاشة جهاز الرصد ، التى تنقل ما تلتقطه كاميرا الغواص الآلى فى الأعماق ..

وشهقت (سلوى) فى شىء من الذعر والذهول ..

فما نقلته الكاميرا كان مشهدًا رهيبًا بحق ..

وبكل المقاييس ..

* * *

« أشباح ؟! »

هتف رئيس الجمهورية بالكلمة فى ذهول ، وهو يحدق فى وجه الكولونيل الروسى ، الذى أومأ برأسه مؤيدًا ومؤكدًا ، قبل أن يقول :

ـ نعم يا سادة .. أشباح .. الغوّاصون الذين هبطوا لإنقاذ بحارتنا من (كورسيك) فوجئوا بأشباح مسلّحة ، تدخل وتخرج من الغوّاصة الغارقة ، عبر جدرانها القوية ، كما لو أنهم مجرّد أطياف هولوجرامية .

قال (أمجد) فى توتر :

ـ ولماذا لا تكون كذلك بالفعل ؟!

أجابه (بيرجانوف) فى سرعة :

ـ لأنها استخدمت أسلحتها .

تبادل الرئيس و (أمجد) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يتساءل الأخير فى حزم :

ـ هل حاولتم البحث عن خدعة ما ؟!

أومأ الروسى برأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ بكل الوسائل المتاحة والممكنة ، قبل أن نطلب تعاون جهات أجنبية .

عاد الرئيس يتبادل نفس النظرة مع (أمجد) ، قبل أن يسأل :

ـ وما الذى كانت تهدف إليه تلك الأشباح ، من عبورها جدران غواصتكم النووية ، على هذا النحو ؟!

هزّ الروسى رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لم يعثر خبراؤنا على التفسير أبدًا .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ ولكن أحد الخبراء فوق النفسيين وضع تفسيرًا ، لم يستسغه القادة العسكريون قط .

سأله (أمجد) :

ـ وما هو ؟!

صمت الروسى فترة أطول هذه المرة ، ثم قال فى حزم متوتر :

ـ إنها كانت تختطف أرواح البحَّارة .

ارتفع حاجبا الرئيس فى دهشة ، ثم عادا ينعقدان فى استنكار ، فى حين تسللت ابتسامة إلى شفتى (أمجد) ، وهو يقول :

ـ رأى طريف ، ولكنه لا يتفق مع دياناتنا وعقيدتنا ياكولونيل ، ثم إنه لايتفق حتى مع المنطق الطبيعى للأشياء ، فحتى لو افترضنا أن رأيه له أدنى احتمال للصحة ، فأين ذهبت أجساد البحارة ؟!

سأله الروسى بصرامة مفاجئة :

ـ وأين ذهبت مركبتكم الإنقاذية (شارك) ؟!

مطَّ الرئيس شفتيه ، وهو يتراجع فى مقعده ، فى حين أجابه (أمجد) بصرامة مماثلة :

ـ هذا أمر آخر .

هزَّ الروسى رأسه ، قائلاً :

ـ بل هو الأمر ذاته يارجل .. حادث غوَّاصة غامض ،

ثم يختفى كل شىء ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر .

أشار (أمجد) بسبَّابته ، وهو يقول فى حزم :

ـ خطأ يا كولونيل .. ففى حادثتكم لم يختف سوى البشر فحسب ، أما عندنا ، فقد اختفت مركبة غوص كاملة ، بكل ما عليها ، ومن عليها .

بدا الروسى شديد العصبية ، وهو يقول :

ـ هذا يعنى أنهم يتطوَّرون .

ثم لوَّح بيده ، مضيفًا :

ـ ففى حادثتنا ، حاصروا مدمراتنا وغوَّاصاتنا كلها بمركبتين من مراكبهم المجهولة فحسب .

شدَّ (أمجد) قامته ، وهو يقول :

ـ عندما تحتاج إلى قوة أكبر ، لمواجهة خصوم أقل ، فهذا يعنى أنك تتدهور ، لا تتطوَّر .

قال الروسى فى حدة :

ـ هذا منطق أمنى تقليدى ، ينطبق على عالمنا وحده .

قال (أمجد) فى صرامة :

ـ بل هو منطق أمنى عام ، ينطبق فى كل الأحوال .

اعتدل الرئيس ، قائلاً :

ـ هذه ليست القضية الآن .. فلنناقش النظم الأمنية فيما بعد ، أما فى هذه اللحظة ، فالسؤال الرئيسى الذى يطرح نفسه بشدة ، هو : ماذا سيحدث فى الساعات القادمة ؟!

أجابه (أمجد) فى سرعة ، وكأنما كان ينتظر هذا السؤال ويتوقّعه :

ـ لابد أوّلاً أن نرسل كل ما لدينا من معلومات إلى المقدّم (نور الدين) ؛ ليشاركنا بعبقريته وعقله الراجح ، فى مواجهة هذا الأمر الرهيب .

أشار الرئيس بيده ، قائلاً :

ـ افعل فورًا .

اتجه (أمجد) مباشرة ، إلى جهاز الاتصال الخاص

بمكتب الرئيس ، والمتصل بالأقمار الصناعية مباشرة ؛ ليبث رسالة شاملة إلى (نور) ، على المدمرة (فجر) ، عبر جهاز اتصال (سلوى) الخاص ، فى حين بدا الكولونيل (بيرجانوف) أكثر عصبية ، وهو يقول :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكننى أظنكم تضيعون الوقت دون طائل .

سأله الرئيس فى اهتمام متوتر :

ـ وما الذى ينبغى أن نفعله ، من وجهة نظرك ؟!

أجابه فى عصبية أكثر :

ـ أن تأمروا حملة الإنقاذ بالعودة فورًا .

هتف الرئيس فى استنكار :

ـ ونتخلّى عن طاقم (ب . ن ـ ١٠٣) ؟!

هزّ (بيرجانوف) رأسه نفيًا ، وقال فى حدة :

ـ لقد انتهى أمرهم .. لن يمكنكم إنقاذهم أبدًا ، مهما فعلتم .

صاح به الرئيس فى غضب :

ـ فى بلدنا ، لا نستسلم بهذه السهولة يا كولونيل .

قال (بيرجانوف) ، فى عصبية بالغة :

ـ ليس استسلامًا ، ولكنه ثقة فيما ستنتهى إليه الأمور ، بسبب تجربة سابقة ، فى المضمار نفسه .

بدا الغضب أكثر على الرئيس ، وهمَّ بقول شىء ما ، لولا أن التفت (أمجد) إلى الرجلين ، وقال بتوتر ملحوظ :

ـ هذا أمر لم يحدث حتمًا ، خلال تجربة غوَّاصتكم يا كولونيل !

التفت إليه الروسى بعينين متسائلتين ، فى حين قال الرئيس فى حذر قلق :

ـ أى أمر هذا يا (أمجد) ؟!

أشار (أمجد) إلى جهاز الاتصال ، وهو يجيب ، فى عصبية واضحة :

ـ الاتصال بالمدمرة (فجر) لم يعد متاحًا ، حتى باستخدام جهاز (سلوى) الخاص .. لقد انقطع الاتصال بها .. تمامًا .

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة ..

★ ★ ★

حدَّق (أكرم) فى شاشة الرصد ، التى تنقل صور تلك الأشباح ، التى تعبر جدار الغوَّاصة الغارقة ، دخولاً وخروجًا ، على نحو مذهل ، قبل أن يهتف ، بكل عصبية الدنيا :

ـ هذا مستحيل ! إنها مجرَّد صور هولوجرامية .. لا شىء آخر يمكن أن يعبر الجدران المعدنية الصلبة بهذا اليسر .

قال (نور) فى توتر :

ـ دعنا نتجاهل هذا الآن ، وليواصل الغوَّاص الآلى مهمته ؛ لانتشال (ب . ن ـ ١٠٣) أولاً ، وبعدها سنحاول تحليل كل ما بثَّته آلته التصويرية .

قال القبطان فى صرامة :

ـ أنت على حق .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، ليضيف بلهجة آمرة حازمة :

ـ ابدأ عملية ملء (البانتومات) فورًا ؛ لانتشال (ب . ن ـ ١٠٣) .

لم يكد مهندس الآليات بالمدمرة يتلقَّى الأمر ، حتى جرت أصابعه على لوحة أزرار الكمبيوتر ، ليمكنه نقله عبر الكابل الخاص ، المتصل بالغوَّاص الآلى ، إلى برنامجه المحدود ..

أما (سلوى) ، فقد حدَّقت مرة أخرى فى الشاشة ، متسائلة :

ـ لو أنها أشباح كما تبدو ، فلماذا تحتاج إلى أجهزة غوص فى الأعماق ؟!

كان سؤالها منطقيًا للغاية ، فتلك الأشباح ، التى تحوم حول (ب . ن ـ ١٠٣) ، وتعبر جدارها طوال

الوقت ، كانت ذات أجساد بشرية التكوين ، وترتدى ما يشبه ملابس الضفادع البشرية المتطوِّرة ، ورءوسها تختفى داخل كرة زجاجية ، ذات سطح عاكس داكن ..

وبكل اهتمامه ، غمغم (نور) :

ـ نعم .. لماذا تحتاج إليها ؟!

لم يكد ينطق عبارته ، حتى استدار أحد الأشباح إلى الغوَّاص الآلى ، وكأنه يراه لأوَّل مرة ، على الرغم من ضوء مصباحه القوى ، الذى يغمر كل شىء ..

ثم فجأة ، اتجه نحوه ..

ورفع فوهة سلاح عجيب يحمله ، إلى عدسة آلة التصوير مباشرة ..

وفى توتر بالغ ، هتف (أكرم) :

ـ يا إلهى ! هل تعتقدون أنه سيـ ....

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلق ما يشبه الفقاعة ، بلون أرجوانى داكن ، من فوهة سلاح ذلك الشبح ، واتجه بسرعة مذهلة نحو الشاشة ، و ....

وانقطع المشهد دفعة واحدة ..

وفى انزعاج شديد ، غمغم (رمزى) :

ـ لقد حطَّم آلة التصوير .

التقط مساعد القبطان جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى عصبية :

ـ ليت الأمر يقتصر على هذا .

قالها ، ثم سأل مهندس الآليات ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ قل لى يا رجل : هل أرسلت الإشارة بالفعل ؟!

مضت لحظة من الصمت ، وكأنما لا يجد المهندس ما يقوله ، قبل أن يأتى صوته مرتجفًا ، بكل ما احتشد فيه من توتر ، وهو يقول :

ـ لقد انقطع الاتصال بالغوَّاص الآلى .

تفجَّرت دهشة مذعورة فى وجوه الجميع ، فيما عدا (نور) والقبطان ، اللذين تبادلا نظرة متوترة للغاية ، قبل

أن يضغط الأخير زر جهاز الاتصال الداخلى ، وهتف :

ـ اسحب الغوَّاص الآلى فورًا .

أتاه صوت المهندس ، وهو يجيب ، بنفس التوتر :

ـ الكابل ينسحب بخفة شديدة ، توحى بأن الغوَّاص الآلى لم يعد يتصل به .

غمغم (نور) :

ـ هذا ما خشيته .

وقال (رمزى) :

ـ رباه ! لقد استولوا على الغوَّاص الآلى أيضًا .

أما مساعد القبطان ، فهتف فى عصبية :

ـ هذا يعنى أن آخر أمل ؛ لإنقاذ الزملاء فى الأعماق ، قد انتهى تمامًا .

أجابه (أكرم) فى حزم صارم :

ـ ليس بعد .

ثم التفت إلى القبطان ، يسأله :

ـ ماذا كان ينبغى أن يفعل الغوّاص الآلى ، بتلك (البانتومات) ؟!

أجابه القبطان فى حذر :

ـ كل وحدة منها تتصل بأسطوانة هواء مضغوط ، ينبغى فتح صمامها ؛ لتمتلئ بالهواء ، وترتفع بالغواصة إلى السطح .

نزع (أكرم) سترته ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أتعشّم أن تكون لديكم حلة غوص إضافية ، تصلح لهذا العمق .

لوّح (نور) بسبّابته وإبهامه ، قائلاً فى حزم :

ـ بل اثنتان .

شهقت (سلوى) ، ورفعت كفيها إلى وجهها ، هاتفة :

ـ يا إلهى .. (نور) .. (أكرم) ؟!

أشاح (نور) بوجهه ، وهو يسأل القبطان فى حزم :

ـ هل ينبغى أن نضيع دقائق ثمينة أخرى ، فى مناقشة أمر كهذا ؟!

انعقد حاجبا القبطان فى شدة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كلا .

ثم التفت إلى مساعده ، قائلاً :

ـ هيا .. ساعدهما على الغوص إلى الأعماق ، وبأسرع وسيلة ممكنة .

تردّد المساعد لحظة ، قبل أن يندفع قائلاً :

ـ سيّدى القبطان .. هذا يحتاج إلى خبرة بالغوص ، و ....

قاطعه القبطان بصيحة هادرة :

ـ نفذ الأمر يا رجل .. إنهما رجلا مخابرات ، وهذا يكفى .. هيا .

أسرع مساعد القبطان لتنفيذ الأمر ، وقال لـ (نور) و(أكرم) :

ـ اتبعانى .

انطلق (أكرم) خلفه على الفور ، فى حين هتفت (سلوى) بـ (نور) :

ـ (نور) .

استدار إليها بعينين متوترتين ، فمسحت دموعها ، مغمغمة :

ـ ارع نفسك جيدًا .

حاول أن يبتسم ، وهو يغمغم :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

تابعه القبطان ببصره ، حتى اختفى مع (أكرم) والمساعد ، ثم التفت إلى (سلوى) ، قائلاً :

ـ زوجك بطل يا سيِّدتى ، ويعرف واجبه جيدًا .

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تترك لدموعها العنان مرة أخرى ، قائلة :

ـ أعلم هذا ياسيِّدى .. أعلم هذا .. أما ما لا أعلمه ، فهو جواب ذلك السؤال ، الذى ينهش كل ذرة من كيانى بلا رحمة ، كلما خرج فى واحدة من هذه المهام الرهيبة .

ورفعت رأسها ، على الرغم من دموعها ، التى تنهمر فى غزارة ، لتكمل :

ـ هل سأراه مرة أخرى ؟!

نعم يا (سلوى) هذا هو السؤال ..

هل ؟!

* * *

كمحترفين حقيقيين ، وعلى الرغم من علمهما بما ينتظرهما فى الأعماق ، ومن حصار المدمرة (فجر) بخمسة مركبات غوص مجهولة من حولهما ، وثب



وثب (نور) و(أكرم) إلى البحر ، فى ظلام الليل ، وأشعل كل منهما المصباح الخاص بالرؤية الليلية ..

(نور) و(أكرم) إلى البحر ، فى ظلام الليل ، وأشعل كل منهما المصباح الخاص بالرؤية الليلية ، فى خوذة زى الغوص المتطوّر الذى يرتديانه ، ثم راحا يغوصان ..

ويغوصان ..

ويغوصان ..

لم تكن لديهما أجهزة تصوير ، أو وسيلة للاتصال بالسطح ، لذا فقد كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة ، لمتابعة غوصهما ، هى جهاز الرصد فى المدمرة (فجر) ، والذى راحت (سلوى) تتابع شاشته فى اهتمام ، وهى تسأل فى توتر :

ـ ترى هل ستسمح لهم بالوصول إلى الغوّاصة ؟!

سألها القبطان :

ـ من تعنين ؟!

لوّحت بيدها ، مجيبة فى عصبية :

ـ الأشباح بالطبع .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

- كنت أظنك شخصية علمية ، إلى الحد الذى يمنعك من تصديق هذه السخافات .

زفرت فى توتر ، قائلة :

- إنه مجرَّد مصطلح لتوصيفهم شكليًا ، حتى نجد تفسيرًا علميًا لماهيتهم .

اندفع مساعد القبطان يقول :

- إنهم ينتمون إلى تلك المركبات الخمس المجهولة حتمًا .

قال (رمزى) فى سرعة :

- على أى نحو ؟!

سأله الرجل فى حيرة :

- ماذا تعنى ؟!

أشار (رمزى) بيده ، قائلاً فى هدوء :

- أعنى أهم قادة تلك المركبات المجهولة ، أم أحد أسلحتها ، المسئولة عن إرهاب الخصوم ؟!

هزَّ القبطان رأسه ، قائلاً :

- أنتم يا رجال المخابرات العلمية ، تحولون كل أمر إلى ....

قاطعته شهقة من (سلوى) ، جعلتهم جميعًا يلتفتون إليها فى توتر ، وهتف بها القبطان :

- ماذا حدث ؟!

تراجعت بعينين مذعورتين ، وهى تشير إلى شاشة جهازها الخاص ، قائلة بصوت يصعب تفسير كلماته ، من شدة ارتجافه وانفعاله :

- الجهاز .. لقد توقَّف عن العمل .. كل الاتصالات انقطعت دفعة واحدة .. كلها ..

اندفع القبطان نحوها ، هاتفًا فى ارتياع :

- ماذا تعنين ؟!

حدّقت فى الجهاز ، مجيبة :

ـ أعنى أنه لم تعد هنـاك وسيلة واحدة ، لمعرفة ما يحدث هناك .

ثـم أدارت إليـه عينيـن ملؤهمـا الهلـع والرعـب واللوعة ، وهى تضيف بصوت ، حملته كل انفعال ومرارة الدنيا :

ـ فى الأعماق .

وانتقل انفعالها إلى الكل ..

بلا استثناء .

★ ★ ★



٥ ـ صراع الأعماق ..

حدّق (ياسر) ، المصوّر الأوّل لـ (أنباء الفيديو) ، فى وجه (مشيرة محفوظ) ، بكل دهشة واستنكار الدنيا ، قبل أن يهتف :

ـ تريدين التجسُّس على تحركات الأسطول المصرى ؟! هل تدركين ما الذى يعنيه هذا ؟! إننا لو سقطنا فى قبضتهم ، فسيتراوح مصيرنا بين الأشغال الشاقة المؤبَّدة والإعدام .

أجابته فى حزم وإصرار :

ـ لا يوجد إعدام .. القانون المصرى لا يوقِّع عقوبة الإعدام ، إلا فى حالات الحروب فحسب[*] .

هتف :

ـ وماذا عن الأشغال الشاقة المؤبَّدة ؟! هل تعتبرينها عقوبة هينة ؟!

(★) حقيقة .

هبّت من مقعدها ، قائلة فى عصبية :

ـ اسمع يا (ياسر) .. هذا الأمر مهم للغاية بالنسبة لى .. أعنى بالنسبة للجريدة .. لابد أن أعلم ما الذى يحدث هناك ؟! ما الذى استدعى وجود (نور) وفريقه ، ضمن طاقم إنقاذ غوّاصة غارقة ؟!

حدّق فى وجهها مرة أخرى ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلا :

ـ مستحيل !

التقى حاجباها فى غضب ، وهى تقول فى حدة :

ـ فليكن .. لقد كنت أمنحك فرصة عمرك ؛ لتصبح أشهر مصورّ صحفى ، فى العالم أجمع .

بدا التردُّد على وجهه ، فتابعت فى صرامة :

ـ سأمنح هذه الفرصة (مبارز) .

لم يكد يسمع اسم منافسه الأوّل ، فى عالم التصوير ، حتى انتفض جسده ، وهتف فى حدة :

ـ مستحيل !

تألّقت عيناها ، وقد أدركت أنها أحسنت إصابة هدفها ، ولكنه عاد يتراجع ، وهو يقول فى توتر :

ـ ولكنهم سيكشفون أمرنا حتمًا .

هزّت رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ كلاّ .. لقد اتخذت كل الاحتياطات اللازمة ، وسيقودنا بحار محترف ، فى زورق مزوّد بكاتم للصوت ، من تلك الزوارق ماسية التصميم ، التى يستحيل كشفها بأجهزة الرادار العادية ، وسننطلق إلى هناك بعد نصف ساعة من الآن ، أى فى قلب الليل .

والتقطت نفسًا عميقًا ؛ لتهدئة أعصابها وانفعالاتها ، قبل أن تتابع فى حزم :

ـ اطمئن .. لن ينكشف أمرنا أبدًا .

بدا عليه التردُّد مرة أخرى ، فصاحت به فى صرامة :

ـ أريد قرارًا حازمًا .. وفوريًا .

أطلق زفرة ملتهبة من أعمق أعماقه ، قبل أن يقول فى استسلام :

- فليكن يا سيِّدة (مشيرة) .. سآتى معك .

تضاعف تألُّق عينيها ، وسيطرت فى صعوبة على ابتسامة ، جاهدت للارتسام على شفتيها ، لتحافظ على لهجتها الصارمة الحازمة ، وهى تقول :

- استعد إذن .

ومن أعمق أعماقها ، تصاعد شعور ظافر قوى ، على الرغم من أنها تجهل ما ينتظرها هناك ،فى عرض البحر ..

تجهله تمامًا ..

* * *

الظلام كان يحيط بهما من كل جانب ، وأجهزة الرؤية الليلية تكشف الطريق أمامهما فى صعوبة ، لمائة متر على الأكثر ، و(نور) و(أكرم) يغوصان فى البحر ..

ويغوصان ..

ويغوصان ..

لم يدر أحدهما كم استغرقت عملية الغوص هذه ، ولكنها بدت لكليهما أشبه بدهر كامل ، قبل أن يظهر القاع ..

وتظهر الغوَّاصة النووية الغارقة ..

لم يكن الغوَّاص الآلى هناك ..

أو حتى الأشباح ..

أو أى شىء آخر يتحرَّك ..

فقط غوَّاصة رابضة فى الأعماق ، وسط ظلام وسكون تامين ، فيما عدا بعض الأسماك الكبيرة ، التى تسبح هنا وهناك ..

ولدقيقة أو يزيد ، راح الاثنان يتطلعان حولهما ، فى توتر حذر ، قبل أن يشير (نور) إلى (ب . ن - ١٠٣) ، ويومئ برأسه ، فى إشارة فهمها (أكرم) على الفور ، فاتجه معه نحو الغوَّاصة الغارقة ..

كانت (البانتومات) كلها مثبتة فى مواضعها ، وأسطوانات الهواء المضغوط ما زالت مرتبطة بها ، فاتجه نحوها الاثنان ، ثم افترقا فى اتجاهين معاكسين ، توفيرًا للوقت والجهد ..

كانا يعلمان أن كل دقيقة لها ثمنها ، فى موقف عسير كهذا ، وأن انتشال الغوَّاصة بسرعة أكبر ، قد يعنى إنقاذ حياة جديدة ؛ لذا فقد تحركًا بأقصى سرعة ممكنة ، وهما يفتحان صمامات أسطوانات الهواء المضغوط ، واحدة بعد الأخرى ..

وبالفعل ، بدأت (ب . ن ـ ١٠٣) ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

فى البداية ، تصاعد جسمها الضخم فى بطء ، ثم راحت سرعة صعوده تتزايد ..

وتتزايد ..

وتتزايد ..

و ...

وفجأة ، سطع فى الأعماق ضوء قوى ..

ضوء غمر جسم الغوَّاصة ، وجسدى (نور) و(أكرم) ، وأغشى عيونهما ، التى تبصر عبر أجهزة رؤية ليلية متقدِّمة ..

ضوء ، بلغ من سطوعه أن عبر ما يزيد على ألف متر من مياه البحر ، ليضىء كل المنطقة المحيطة بالمدمرة (فجر) ، على نحو جعل (سلوى) تهتف ، بكل رعب وارتياع الدنيا :

ـ يا إلهى ! (نور) .. (أكرم) !

تلفَّت القبطان حوله ، فى توتر بالغ ، وهو يهتف :

ـ رباه ! ماذا يحدث هنا ؟! ماذا يحدث هنا ؟!

كان يشعر بعجز هائل ، بعدما انقطعت كل الاتصالات فى المدمرة ، وزوارق الإنقاذ التابعة لها ، ولم تعد هناك وسيلة واحدة لسبر الأعماق ، ومعرفة ورصد ما يدور بها ، ولكنه ـ وعلى الرغم من هذا ـ انطلق يعدو نحو سطح المدمرة ، حيث احتشد بحارتها ، يحدقون فى خوف مرتجف ، فى سطح البحر ، على الرغم من تلاشى ذلك الوميض القوى ..

وما إن صعد القبطان إلى السطح ، حتى هتف فى صرامة :

ـ كل فى موقعه .

أجابه أحد الضباط ، فى توتر بلا حدود :

ـ سيِّدى .. إننا نجهل حتى ما نواجهه .

صاح به القبطان ، فى صرامة أكثر :

ـ هذا أكثر مدعاة ، لأن ننتظم ونتخذ مواقعنا .

شدّ الضابط قامته ، وأدى التحية العسكرية فى قوة واحترام ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .

ثم استدار يهتف بالبحارة :

ـ كل فى موقعه .. أسرعوا .

انطلق البحارة إلى موقعهم ، فى حزم صارم ، وقد انتقل إليهم حسم قبطانهم وضباطهم ، و ...

وفجأة ، أصدرت المركبات الخمس المجهولة ، التى تحيط بالمدمرة (فجر) ، والزوارق المحيطة بها هديرًا قويًّا ، استغرق لحظة واحدة ، ثم تحوّل إلى صوت خافت منتظم ، فتجمّد الجميع فى أماكنهم ، وقال مساعد القبطان فى توتر :

ـ إنها تتحرّك .

انعقد حاجبا القبطان ، وهو يقول فى صرامة :

ـ أو تتأهَّب .

ثم اتجه فى حزم إلى كابينة القيادة ، واستخدم مكبرًا صوتيًّا بدلاً من أجهزة الاتصال الداخلية ، وهو يقول :

ـ كل زوارق الطوربيدات تستعد .. استخدموا مناظير الأعماق المباشرة ، المزوَّدة بوسائل الرؤية الليلية ، عند مقدِّمة المدمرة ، ومؤخرتها ، وجانبيها .. أريد تقريرًا بصريًّا كل دقيقتين .

قال مساعده فى قلق :

ـ سيِّدى .. هل تعتقد أنه من الحكمة أن نقاتل خصمًا نجهله ، ونجهل استعداداته القتالية ؟!

أجابه القبطان فى حزم صارم :

ـ كلا ، ولكن من العار أن نستسلم أيضًا لخصم ، نجهل ماهيته ، واستعداداته القتالية .

غمغم المساعد ، فى صوت خافت :

ـ ولكن ..

ولكنه بتر حديثه عند هذا الحد ، ولم يكمل عبارته أبدًا ، فى حين راح البحارة ينفذون أوامر القبطان ، وبدأت عمليات المراقبة البصرية للأعماق ، عبر المناظير الخاصة ، التى لا يمتدّ تأثيرها لأكثر من مائة متر فى الأعماق ، و ...

« المركبات الخمس تتحرّك .. »

هتف أحد مراقبى السطح بالعبارة فى توتر ، ولم تكد تبلغ مسامع القبطان ، حتى صاح عبر مكبِّر الصوت القوى :

ـ زوارق الطوربيدات تستعد للإطلاق .

غمغم المساعد ، فى عصبية شديدة :

ـ سيِّدى القبطان !

ولكن القبطان تابع بنفس اللهجة الآمرة الحازمة :

ـ حدِّد الأهداف .

كانت الخطوة التالية هى إطلاق الطوربيدات نحو أهدافها مباشرة ، ولكن أحد المراقبين صاح ، قبل أن يصدر القبطان هذا الأمر الأخير :

ـ إنها تبتعد .

التقى حاجبا القبطان ، وهو يردِّد فى دهشة :

ـ تبتعد ؟!

كان هذا الانسحاب المباغت يدهشه بالفعل ؛ إذ إنه لم يجد له تفسيرًا منطقيًّا ، أو ..

« الغوّاصة ترتفع إلى السطح .. »

هتف أحد مراقبى مناظير الأعماق بالعبارة ، ليقتحم أفكار القبطان مباشرة ، قبل أن يضيف فى عصبية :

- إنها ترتفع نحونا .

اتسعت عينا المساعد عن آخرهما ، وهو يهتف :

- نحونا .. يا إلهى !

أما القبطان ، فقد راوده شعور بالتوتر والعجز ، مع غياب وسائل الرصد والتوجيه ، وعلى الرغم من هذا فقد تماسكت كل ذرة من كيانه ، وهو يهتف بمراقبى المناظير :

- حدد السرعة والاتجاه والمسافة .

هتف أحدهم على الفور :

- سبعون مترًا .. ثمان عقد بحرية فى الساعة .. يسار الدفة .

صاح القبطان على الفور :

- مقدّمة المدمرة .. عشر درجات إلى اليسار .. بأقصى سرعة .

كانت مناورة بارعة سريعة ، فدوران المقدّمة إلى

اليسار يدفع الدفة إلى اليمين ، مع مؤخرة المدمرة ، ليبعدها عن جسم الغوّاصة الصاعدة ..

ولكنه صراع مع الوقت ..

الوقت الذى تستغرقه المدمرة ، للدوران إلى اليسار ..

وسرعة صعود الغوّاصة ، التى تحملها (الباتنومات) الممتلئة بالهواء من الأعماق ..

ولقد سرى التوتر فى كيان كل شخص ، على سطح المدمرة (فجر) ، والمقدّمة تميل ..

وتميل ..

وتميل ..

والغوّاصة (ب . ن - ١٠٣) ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ومراقبو مناظير الأعماق يتابعون ارتفاعها ، هاتفين ، بأكبر قدر ممكن من التوتر :

- عشرون مترًا .. خمسة عشر مترًا .. عشرة أمتار .

وانعقد حاجبا القبطان أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وتوترت كل ذرة فى كيانه ..

ولكن المدمرة تجاوزت مسار الغوّاصة الصاعدة ..

أو هكذا خُيّل للجميع ، قبل أن يهتف مراقب المؤخرة ، وهو يتراجع فى ذعر :

- لم ننجح .

مع آخر حروف كلماته ، برز برج الغوّاصة النووية (ب . ن - ١٠٣) فوق سطح الماء ، على مسافة قصيرة من جانب المدمرة الأيسر ..

ثم ارتطمت مقدمتها بالدفة ..

وبمنتهى العنف ..

* * *

« لابد أن تذهب بنفسك يا (أمجد) .. »

قالها رئيس الجمهورية فى حزم ، جعل (أمجد) يعقد حاجبيه ، قائلاً فى توتر ملحوظ :

- (نور) وفريقه هناك يا سيادة الرئيس ، ويمكنهم أن يتولوا الأمر بأنفسهم ، كما فعلوا عشرات المرات من قبل ، ولست أجد داعيًا لتدخلى مباشرة .

قال الرئيس فى صرامة :

- إننا لا ندرى حتى ما إذا كانوا هناك أم لا .. لقد رصدت أقمارنا الصناعية وميضًا آخر ، يشبه ذلك الذى تم رصده ، قبل اختفاء مركبة الغوص (شارك) ، والاتصالات كلها انقطعت بالمدمرة ، على الرغم من وجود أفراد فريق المخابرات العلمية ، وأجهزتهم الخاصة ، التى تعتبر أكثر الأجهزة الإليكترونية تطورًا ، وهذا أمر شديد الخطورة ، وخاصة إذا ما ارتبط بمدمرة ، وزوارق طوربيد ، وغوّاصة نووية متطوّرة ، تعدّ درة أسطولنا البحرى .

ثم وضع يده على كتفه ، مضيفًا بصرامة أكثر :

ـ (أمجد) .. إننا أمام خطر مجهول ، يهدِّد أمن وسلامة (مصر) ، وربما العالم أجمع ، وعندما يصبح الأمر كذلك ، لا تعود هناك حواجز ، أو حساسيات .. هناك فقط (مصر) .. (مصر) أوَّلاً ، وقبل كل شىء .. (مصر) التى أنجبتك ، والتى أقسمنا أن نبذل أرواحنا جميعًا من أجلها .

التقط (أمجد) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ لقد أقسمنا أن نحمى الحق والعدل ، وأن نبذل أرواحنا من أجلهما ، فى أى مكان من الدنيا .

تراجع الرئيس ، وقال فى حزم صارم :

ـ وها هو ذا الواجب يناديك يا (أمجد) .

عضَ (أمجد) شفتيه ، عاجزًا عن مواجهة منطق الرئيس الصائب ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ إنهم قادرون وحدهم ، على مواجهة ذلك الأمر هناك .

قال الرئيس فى سرعة :

ـ عظيم .. ماذا يضيرهم إذن ، لو انضمَ إليهم مقاتل جديد صنديد ، لايشق له غبار .

صمت (أمجد) تمامًا هذه المرة ، فابتسم الرئيس ، وربَّت على كتفه ، قائلاً :

ـ هيا .. اذهب لتعدَ ما تحتاج إليه ، وستحملك طوَّافة الرياسة فور استعدادك ، إلى حيث غرقت (ب . ن ـ ١٠٣) ، وعندما تعود سالمًا ، بإذن اللَّه (العلى القدير) سأعمل على أن تبدأ إجازتك فورًا ، وعلى أفضل وجه ممكن .

غمغم (أمجد) :

ـ أشكرك يا سيادة الرئيس .. أشكرك كثيرًا .

طوال الطريق إلى منزله ، استرخى (أمجد) فى المقعد الخلفى للسيارة الكبيرة، التى يقودها سائق الرئيس ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه أكثر من مرة ..

كل ذرة فى كيانه كانت ترغب فى اقتحام تلك القضية ؛ لأن غريزته أنبأته أنه أمام خطر داهم ، يهدّد وطنه ..

وربما العالم كله ..

ولأنه رجل مخابرات قديم محنَّك ، فقد كان يثق كثيرًا بغريزة الشعور بالخطر ، التى تتكوَّن وتكمن فى أعماق أى رجل أمن خبير ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه كان يشعر بالقلق ، من الذهاب إلى هناك ..

شىء لم يدر كنهه بالضبط ..

ولكنه ليس الخوف بالتأكيد ..

إنه شىء غامض مجهول ..

شىء يجعله يشعر بأن هذه العملية ستغيّر مسار حياته بأكمله ..

أو أنها ستضع نهاية لها ..

كل هذا منعه من الاسترخاء فى مقعده ، وسيارة الرياسة تتجه به نحو منزله ، مما جعل عقله المتوتر يستعيد ذكريات مؤلمة قديمة ..

ذكريات زواجه الأوَّل ..

وفقده لابنه الوحيد ..

وزواجه الثانى ، من المخلوقة الوحيدة التى أحبها ، فى عمره كله ..

ثم فقده إياها أيضًا ، و ...

« وصلنا يا سيِّد (أمجد) .. »

انتزعه حديث السائق من ذكرياته ، فاعتدل فى مقعده ، وتمتم فى آلية :

ـ عظيم .

وغادر السيارة ، وهو يضيف فى خفوت :

ـ انتظرنى .. سأجمع أشيائى الضرورية ، وأعود على الفور .

كان شارد الذهن إلى حد ما ، وهو يدلف إلى منزله ، وعلى الرغم من هذا فقد انطلق إنذار داخلى فى أعماقه ، جعله يستدير بحركة حادة نحو ركن الصالة ، وهو يسحب مسدسه بتلك السرعة المدهشة ، التى اشتهر بها فى حياته ..

ثم انعقد حاجباه فى شدة ..

فهناك ، فى ركن الصالة ، كان يقف شخص ما ..

أو شىء ما ..

جسم أشبه بالشبح ، يقف ممسكًا سلاحًا عجيبًا ، يصوِّبه إليه ، وهو يتطلَّع إلى وجهه ببرود ، يحمل لمحة من الصرامة والمقت ..

وعلى الرغم من أن المشهد كله يتجاوز حدود إدراك البشر ، إلا أن (أمجد) لم يشعر بالخوف والتوتر ..

وإنما بالدهشة ..

دهشة بلغت حدًّا رهيبًا ، وهو يحدِّق فى وجه ذلك الشبح ، قبل أن تمتزج الدهشة بشىء من اللهفة فى صوته ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!

أجابه ذلك الشبح ، بصوت حمل مقتًا بلا حدود ، وهو يرفع نحوه فوهة سلاحه العجيب الغريب :

ـ نعم .. هو أنا .

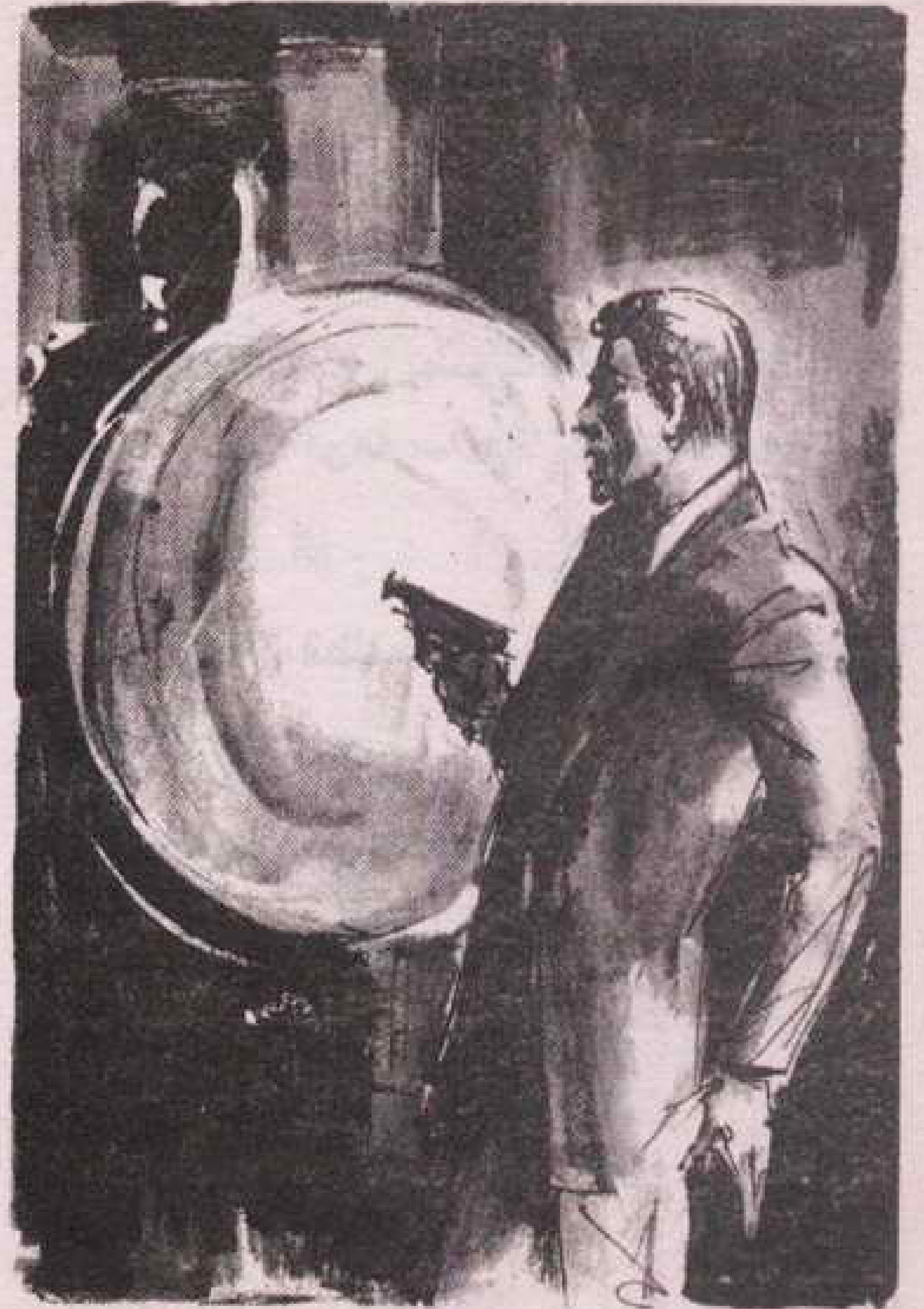
ومع قوله ، انطلقت من فوهة سلاحه فقاعة أرجوانية عجيبة ..

ولم يطلق (أمجد) رصاصة واحدة من مسدسه ..

وخارج المبنى ، فوجئ السائق بوميض قوى ، يسطع من نوافذ شقة (أمجد) ، فهتف فى ذعر ، وهو يشير إلى الحارس المرافق له :

ـ رباه ! ماذا يحدث ؟!

لم يكن الحارس بحاجة إلى هذا الهتاف ، فما إن



ومع قوله ، انطلقت من فوهة سلاحه فقاعة ارجوانية عجيبة ....
ولم يطلق (امجد) رصاصة واحدة من مسدسه ..

سطع الضوء ، حتى سحب مسدسه ، وانطلق يعدو نحو منزل (أمجد) ، واقتحمه فى قوة ..

ولكن المنزل كان خاليًا تمامًا ..

ولم يكن هناك أثر لـ (أمجد صبحى) ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

حمل صوت مساعد القبطان كل توتر الدنيا ، وهو يقول :

ـ الدفة تحطَّمت تمامًا ، وهناك إصابة كبيرة فى مؤخرة المدمرة ، والرجال يقومون بفصل القطاع المصاب فى قاع المدمرة ، حتى يتم إصلاحه ؛ خشية انهياره المفاجئ .

مطَّ القبطان شفتيه ، مغمغمًا :

ـ وماذا عن (ب . ن ـ ١٠٣) ؟!

أجابه المساعد بتوتر أكثر :

ـ لقد حاولنا الاتصال بطاقمها ، عن طريق الطرقات المنتظمة على جدرانها الخارجية ، ولكننا لم نتلقَ أية استجابة ، وقطاعاتها كلها مغلقة من الداخل بإحكام ، وهى مصمَّمة بحيث يستحيل اختراقها عنوة ، من قبل أى خصم ، لذا فالرجال يثقبون جسمها الآن ، بوساطة أشعة الليزر المطوَّرة ، لتوصيل الأكسجين إليها ، كمحاولة لإنقاذ من يمكن إنقاذه .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى عصبية :

ـ هذا لو أنه ما زال بداخلها أحياء .

عقد القبطان حاجبيه ، وقال :

ـ فلنأمل هذا .

سأله (رمزى) فى قلق عارم :

ـ وماذا عن (نور) و(أكرم) ؟! إنهما لم يصعدا مع الغوَّاصة ، ولا أثر لهما فى المنطقة ..

ثم اكتسب صوته رنة عصبية ، وهو يضيف :

ـ ولايبدو لى أن أحدًا يهتمّ بالأمر ، أو يبالى بغيابهما .

استدار إليه القبطان ، قائلاً فى صرامة :

ـ سيِّد (رمزى) .. منذ بدأت هذه العملية الغامضة ، فقدنا عددًا كبيرًا من الرجال ، وعددهم يفوق رفيقيكما عشرين مرة على الأقل ، وربما ليست لهم نفس الشهرة ، ولكنهم أيضًا بشر ، ولهم عندى نفس الأهمية .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ لا أحد يعترض على هذا ، ولكن لاتنس أن (نور) و(أكرم) قد جازفا بحياتيهما ؛ لإنقاذ طاقم الغوَّاصة الغارقة ، قبل أن ينفد مخزونهم من الهواء .

انتقلت عصبيته إلى القبطان ، وهو يلوِّح بيده ، صائحًا :

ـ وما الذى يمكننى أن أفعله من أجلهما ؟! كل شىء هنا متوقِّف ، على نحو مستفز .. أجهزة (السونار) ، والكمبيوتر ، والاتصالات ، حتىَ الجهاز المتطوِّر ، الذى أحضرتموه معكم .. اتصالنا بالأقمار الصناعية أيضًا انقطع ، فما الذى يمكن أن أفعله من أجلهما باللّه عليك ؟!

حدَّق فيه (رمزى) بشىء من الارتياع ، وقد أدرك أن الرجل محق تمامًا فيما يقول ..

فحتى هم ، بكل طاقة وإمكانيات المخابرات العلمية ، ليست لديهم وسيلة واحدة ، لمعرفة مصير (نور) و(أكرم) ، اللذين اختفيا ، وتلاشيا بلا أثر ..

فى الأعماق ..

وفى مرارة ، عاد (رمزى) إلى تلك القاعة الصغيرة ، التى تضمّ أجهزة (سلوى) ، التى بدت شاحبة ممتقعة ، وهى تدقّ أزرار الكمبيوتر ، فى محاولة لتشغيل جهاز رصد الأعماق ، وهى تردّد :

ـ اعمل باللّه عليك .. اعمل ..

سألها (رمزى) :

ـ ألم تجدى وسيلة بعد ؟!

هزّت رأسها فى مرارة بلا حدود ، وهى تهتف :

ـ لا يوجد تفسير لما يحدث هنا !! إننى أجهل حتى

كيف ولماذا انقطعت الاتصالات على هذا النحو ! إننى استخدم شعاعًا مركّزًا من الليزر ؛ لنقل الصوت والمعلومات ، إلى الأقمار الصناعية مباشرة ، وهذا لا يمكن اعتراضه أو احتجازه ، وفقًا للقواعد العلمية المعروفة ، ومن المستحيل أن ....

قاطعها أزيز مفاجئ ، انبعث من جهازها ، الذى أضيئت شاشته دفعة واحدة ، فاتسعت عيناها ، وهى تثب من مقعدها ، هاتفة :

ـ رباه ! لقد عاد للعمل .

هتف بها (رمزى) فى دهشة :

ـ كيف ؟!

اندفعت أصابعها بسرعة ولهفة إلى أزرار جهازها ، وهى تهتف :

ـ هذا لا يهم الآن ..

وتعلّقت عيناها بشاشة الجهاز ، مع إضافتها وانفعالها :

- المهم أن نعثر على أى أثر لـ ....

فجأة ، وقبل أن تتمَ عبارتها ، سطعت شاشة جهازها فى قوة ، ثم انبعث منه أزيز ارتجاجى قوى ، قبل أن ترتسم عليه بقعة حمراء كبيرة ، اتضحت ملامحها بسرعة ، و(رمزى) يهتف :

- ماذا حدث ؟!

حدَّقت (سلوى) فى شاشة الجهاز لحظة ، قبل أن تدير عينيها الذاهلتين إليه ، مجيبة بصوت منفعل مرتجف :

- لقد عادت .

سألها فى دهشة قلقة حذرة :

- ما هى ؟!

ارتجف صوتها أكثر ، وهى تشير إلى الشاشة ، قائلة :

- (شارك) .

واتسعت عينا (رمزى) عن آخرهما ..

فقد كانت المفاجأة مذهلة ؛ لأن الحدث لم يكن متوقَّعًا أو منتظرًا ..

على الإطلاق ..

ثم إن ما حدث كان يعنى الكثير ..

والكثير جدًّا ..

جدًّا ..

* * *



٦ ـ بلا أثر..

ارتفع حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فى دهشة بالغة ، وهو يتطلّع إلى شاشة هاتف الفيديو الخاص أمامه ، قائلاً لمدير أمن المبنى ، الذى ظهرت صورته عليها :

ـ من يطلب مقابلتى فورًا ؟!

أجابه مدير أمن المبنى :

ـ السيِّدة (نشوى) يا سيِّدى .. ابنة المقدّم (نور الدين) .. تقول :

إن الأمر عاجل وخطير للغاية .

انخفض حاجبا القائد الأعلى ، ثم انعقدا فى توتر ، وهو يغمغم :

ـ عاجل وخطير ؟! أكثر مما نواجهه بالفعل ؟!

لم يكن من المعتاد ، أو حتى من المتبع ، أن يلتقى

أفراد أى فريق علمى ، بالقائد الأعلى مباشرة ؛ إذ إن التسلسل القيادى الطبيعى يضع بينه وبينهم ثلاث قيادات فرعية على الأقل ، قبل بلوغ هذا المستوى ..

لذا فقد بدا من الواضح أن ما لدى (نشوى) ، ابنة (نور) و(سلوى) ، وخبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى مركز الأبحاث العلمية ، التابع للمخابرات ، أمر بالغ الخطورة بالفعل ، وإلا ما لجأت إلى كسر قواعد القيادة ، على هذا النحو المباشر ..

ولم يستغرق تفكير القائد الأعلى طويلاً ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ تأكّدوا من هويتها ، بكل الوسائل المتاحة ، وسألتقى بها فى مكتب الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث .

كان يضع فى اعتباره كل الاحتمالات ، حتى الضئيلة منها ؛ لتأمين الموقف تمامًا ، ولقد أيَّده فى هذا الدكتور (جلال) نفسه ، وهو يقول فى حزم :

ـ الموقف كله يجبرنا على اتخاذ كل الحذر الممكن ؛

فحادث (ب . ن - ١٠٣) ، وتوقُّف الاتصالات على نحو غامض ، ما زال خبراؤنا يدرسونه ، فى محاولة لفهمه ، والاختفاء الغامض المثير للسيِّد (أمجد) ، المستشار الأمنى الخاص بالسيِّد الرئيس ، والذى عجزت كل إدارات الأمن عن تفسيره ، كلها عوامل تفرض علينا الشك فى كل شخص ، وكل أمر يخالف المعتاد .

علَّق القائد الأعلى ، فى اقتضاب حازم :

- بالتأكيد .

مع آخر كلمته ، برز مدير أمن المبنى عند باب حجرة مكتب الدكتور (جلال) ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- السيِّدة (نشوى نور الدين) .

نهض القائد الأعلى ، قائلاً :

- دعها تتفضَّل .

تراجع مدير أمن المبنى ؛ ليفسح الطريق لـ (نشوى) ، التى عبرت إلى الحجرة فى حذر متوتر ، وهى تفرك كفيها ، قائلة :

- معذرة ياسادة .. أعلم أنه ليس من اللياقة أن ....

قاطعها القائد الأعلى بابتسامة هادئة ، وهو يدعوها للجلوس ، قائلاً :

- لا عليك يا بنيتى .. إنه حتمًا أمر مهم ، ذلك الذى دعاك إلى هذا .. تفضلى بالجلوس ، وسنستمع إليك جيِّدًا .

بدا عليها توتر ملحوظ ، وهى تتخذ مجلسها ، ولاذت بالصمت بضع لحظات ، وكأنها تبحث عن مدخل مناسب للحديث ، فقال الدكتور (جلال) :

- كلنا آذان مصغية يا بنيتى .

تردَّدت لحظة أخرى ، قبل أن تندفع قائلة :

- لقد انقطعت اتصالاتى بأمى فجأة .

تبادل الرجلان نظرة سريعة ، قبل أن يقول الدكتور (جلال) فى بطء :

ـ نحن نعلم هذا ، ولقد عادت الاتصالات منذ قليل ، و ....

قاطعته هى ، قائلة فى انفعال :

ـ المشكلة ليست فى انقطاع الاتصالات أو عودتها .. المشكلة تكمن فى أنه ، من الناحية العلمية ، لاتوجد أية وسيلة معروفة ، لقطع أسلوب الاتصالات ، الذى نستخدمه أنا وأمى .

قال الدكتور (جلال) ، محاولاً تهدئة انفعالها :

ـ خبراؤنا يدرسون هذا الأمر ، ويحاولون إيجاد تفسير علمى له .

تضاعف انفعالها ، وهى تقول :

ـ أنا وجدت التفسير .

حدّق الدكتور (جلال) فيها بدهشة ، فى حين اعتدل القائد الأعلى على مقعده بحركة حادة ، هاتفًا :

ـ وجدت التفسير ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة :

ـ ربما أخطأت اللفظ ، ولكننى لم أقصد أننى أعرف التفسير بالضبط ، ولكننى أعرف كيف يمكن أن يحدث هذا .

سألها الدكتور (جلال) ، بلهفة علمية شديدة :

ـ كيف ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ هناك عالم فرنسى ، يجرى أبحاثًا وتجارب ، حول إيقاف واعتراض الأصوات والمعلومات المحمولة على أشعة الليزر ، ولقد عثرت على موقع أنشأه على شبكة الإنترنت الجديدة المتطوّرة ، يعرض فيه ما توصلّ إليه من نتائج .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، فى حين غمغم الدكتور (جلال) فى توتر :

ـ ولكن هذه مجرّد تجارب ، لايتوقّع لها أحد النجاح ، قبل ثلاثة أو أربعة أعوام على الأقل .

قالت فى حماسة :

- هذا صحيح .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى صرامة :

- سيِّدة (نشوى) .. لقد طلبت مقابلتى شخصيًا ، ولست أعتقد أن ..

قاطعته فى انفعال ، دون أن تنتبه إلى ما يجافيه هذا لأصول اللياقة وقواعد التسلسل القيادى :

- هذا دفعنى للبحث عن مواقع أخرى ، على شبكة الإنترنت الجديدة ، حول الأمور الغامضة ، فى هذا الحادث .

سألها الدكتور (جلال) فى سرعة ولهفة :

- وماذا وجدت ؟!

التفتت إليه ، وهى تشير بيدها ، قائلة فى انفعال :

- هناك تجارب ألمانية ، حول مراكب غوص جديدة ،

تتميَّز بصلابة شديدة ، وسرعة فائقة ، تحت سطح الماء باستخدام الوقود الأمينى الحديث ، والمشاركون فى هذه التجارب يتوقعون إنتاج مثل تلك المركبات ، مع بدايات العقد الثالث ، من القرن الحادى والعشرين .. وتلك المركبات المنتظرة يمكن أن تبلغ سرعتها ، وفقًا للتقديرات الحالية ، حوالى السبعين عقدة بحرية فى الساعة .. الأمريكيون أيضًا يواصلون تجاربهم ، حول وسيلة مبتكرة لنقل الأجسام والأشياء ، عبر الزمكان(*) ، دون التقيُّد بالحواجز أو المسافات ، بحيث يحدث النقل آنيًا ، فى نفس اللحظة ، بغضّ النظر عن طبيعة المنقولات ، وتجاربهم الأوَّلية فى هذا الشأن تستخدم معجِّلاً خاصًا ، يصدر ضوءًا ساطعًا ، كأضواء مصابيح التصوير ، عندما يبدأ عمله ..

تبادل الرجلان نظرة ثالثة متوترة ، قبل أن يقول القائد الأعلى فى حزم ،لم يخل مما يتفاعل فى أعماقه من انفعالات :

(*) الزمكان : مصطلح استخدمته نظرية النسبية لـ (ألبرت أينشتين) ، للتدليل على حدوث تغيير يتعلَّق بالزمان والمكان فى آن واحد .

- سيّدة (نشوى) .. كل ما تتحدثين عنه مجرّد تجارب ، لأشياء لم تر النور بعد .

أشارت بسبّابتها ، وهى تقول له فى حسم :

- هذا ما قصدته بالضبط .. كل ما نواجهه ، فى حادث الغوّاصة (ب . ن - ١٠٣) أمور متطوّرة ، من أشياء تجرى عليها التجارب بالفعل ، فى زمننا هذا .

هم القائد الأعلى بقول شىء ما ، ولكن الدكتور (جلال) لم ينتبه إلى هذا ، مما جعله يقول فى عصبية :

- (نشوى) .. هل تدركين ما تعنيه استنتاجاتك هذه ؟!

أدارت إليه عينيها بحركة حادة ، مجيبة :

- بالتأكيد .. فما يعنيه هو أن خصومنا ليسوا من زمننا هذا .

والتقى حاجباها ، وهى تضيف ، بكل حزم الدنيا :

- بل من المستقبل .

اتسعت عيون الرجلين عن آخرهما ، وهى تكمل :

- مستقبلنا .

وكانت أكبر مفاجأة ، منذ بدأ هذا الأمر كله ..

أكبرها على الإطلاق ..

* * *

« لا يمكننا أن نقترب ، أكثر من هذا .. »

قال البحار عبارته ، فى مزيج من الصرامة والعصبية ، وهو يوقف زورقه ، الماسى الشكل ، فى عرض البحر ، على مسافة كيلومتر واحد من المدمرة (فجر) ، ثم أضاف فى عصبية خالصة :

- هيا .. حاولوا الانتهاء من عملكم بسرعة ، قبل أن تكشفنا دورية بحرية ، ويكون مصيرنا السجن .

انتقلت عصبيته وتوتره إلى (ياسر) ، وهو يغمغم :

- هذا ما أخشاه .. هذا ما أخشاه .

لوّحت (مشيرة) بيدها ، قائلة فى صرامة :

ـ دعك من هذا الخوف الأحمق ، ولُخبرنى : هل يمكنك التقاط الصور ، من هذه المسافة ؟!

حاول أن يخترق حجب الظلام ببصره ، قبل أن يضع منظار الرؤية الليلية على عينيه ، ويغمغم :

ـ لن تكون شديدة الوضوح ، ولكن ....

قاطعته فى صرامة :

ـ ابدأ عملك إذن .

بدأ (ياسر) يعدّ أدواته ، فى عصبية واضحة ، فى حين قال البحار ، مستعيدًا ذلك المزيج ، من الصرامة والعصبية :

ـ أمامكما ربع الساعة فحسب ، ثم نعود أدراجنا .

أجابته (مشيرة) فى قسوة :

ـ لن نتحرَّك سنتيمترًا واحدًا من هنا ، قبل أن نتمَّ عملنا .

صاح بها فى حدَّة :

ـ سيِّدتى .. إننا لسنا فى ملاه للتسلية هنا .. إننا نتجسَّس على ما يقوم به الأسطول ، فى عرض البحر ، وعندما يتعلَّق الأمر بعملية إنقاذ مهمة ، كما تؤكدين ، تجوب المنطقة دوريات عديدة ، ومن المحتمل أن تكشف إحداها أمرنا ، ويكون مصيرنا السجن .

غمغم (ياسر) فى عصبية :

ـ أو الإعدام .

قالت (مشيرة) فى شراسة :

ـ لا يوجد إعدام .

هتف بها البحار :

ـ من قال هذا ؟!

أجابته فى حدة :

ـ القانون .

سألها فى غضب :

ـ وماذا عن رد الفعل ؟!

ارتبكت ، وهى تغمغم :

ـ رد الفعل ؟! ماذا تعنى ؟!

أجاب فى غضب :

ـ أعنى ماذا لو رصدتنا دورية بحرية ، وتصوَّرت أننا جواسيس ، نظرًا لموقعنا ، وما تحملانه من آلات ، فبادرت بإطلاق النار علينا مباشرة ؟

انتفض جسد (ياسر) فى ارتياع ، وهو يهتف مذعورًا :

ـ أمن الممكن أن يحدث هذا ؟!

هتف به :

ـ ولِمَ لا ؟!

تخلَّى (ياسر) عن آلاته وأدواته ، ونهض يقول فى عصبية :

ـ إننا لم نتحدَّث عن هذا .

لكزته (مشيرة) فى كتفه ، قائلة :

ـ واصل عملك ، وإلا قمت أنا به ، و ...

قبل أن تتمّ عبارتها ، انبعث أزيز خافت من أجهزة الزورق ، مع ضوء متقطِّع ، جعل البحار يتمتم فى عصبية بالغة :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

سألته (مشيرة) فى خوف :

ـ ماذا حدث ؟!

استدار إلى آلات الزورق ، وهو يقول فى توتر :

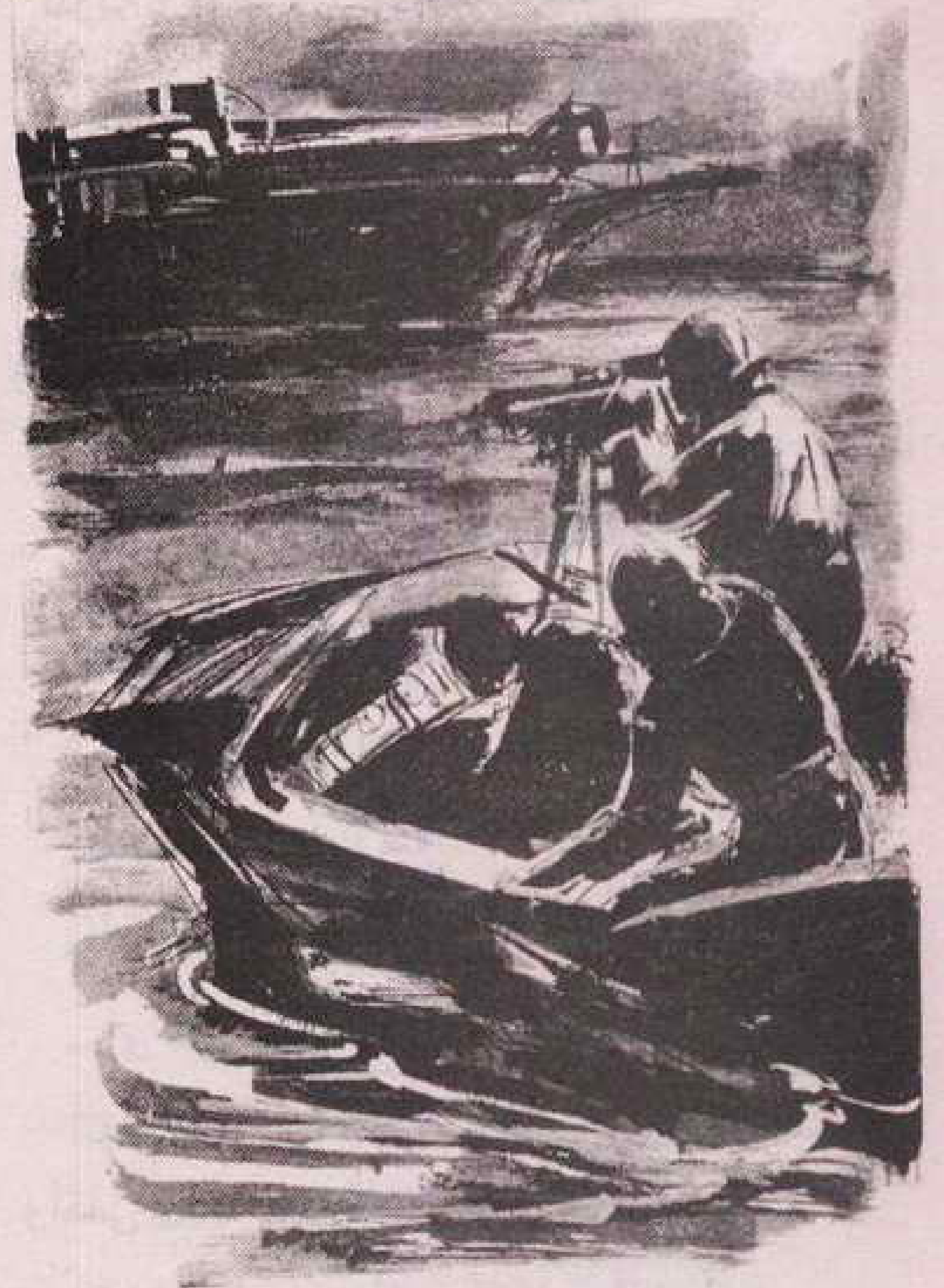
ـ شىء ما يقترب منا .

سألته فى ذعر :

ـ أى شىء ؟!

انهار (ياسر) تمامًا ، وجلس فى قاع الزروق ، وأخفى وجهه بين كفيه ، وهو يردِّد :

ـ كنتِ أعلم أن هذا سيحدث .. كنت أعلم .



استدار إلى آلات الزورق ، وهو يقول فى توتر :
ـ شىء ما يقترب منا ؟! ..

حدقت فيه (مشيرة) فى ذعر ، قبل أن تلتفت إلى البحار ، ويختنق صوتها ، وهى تكرر :

ـ أى شىء هذا ؟!

اتسعت عيناه ، فى خوف مبهم ، وهو يراقب شاشة جهاز الرصد فى زورقه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. إنه شىء يقترب فى بطء .

ثم أدار عينيه إليها ، مضيفًا :

ـ تحت سطح البحر .

انتقل إليها هلعه ، وهى تهتف :

ـ غوّاصة ؟!

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ لاتبدو كذلك .. إنها مركبة صغيرة الحجم ، و ....

بتر عبارته بغتة ، وانتفض جسده كله مرة أخرى ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى الشاشة ، فهتفت به :

ـ ماذا هناك بالله عليك ؟! ماذا هناك ؟!

ارتجف صوته ، على نحو يوحى بأنه لم يواجه موقفًا كهذا من قبل قط ، وهو يهتف :

ـ لقد .. لقد توقّفت تحتنا .. تحتنا مباشرة .

ترك (ياسر) جسده كله يسقط داخل الزورق ، وهو يغمغم فى انهيار :

ـ إنها النهاية .. إنها النهاية .

صرخت فيه (مشيرة) :

ـ اصمت بالله عليك .. اصمت .

ولكنه ظلّ يردّد كلماته بلا انقطاع ، فى حين ارتجفت كل ذرة فى كيان البحار ، وهو يقول :

ـ لم يكن ينبغى أن أفعل هذا .

حاول فى استماتة ، إعادة تشغيل الزورق ، ولكن شيئًا ما كان يوقف محركاته كلها ، فصاحت به (مشيرة) ، وقد انهارت أعصابها أيضًا ، مع وطأة الموقف :

ـ أسرع بالله عليك .. أسرع ..

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماتها ، سطع ضوء مبهر من أسفل الزورق الماسى ، فانطلقت من حلقها صرخة رعب هائلة ، وشهق البحار ، وانهار (ياسر) حتى فقد الوعى ..

ثم خبا الضوء فجأة ، وانسحب من المساحة الواسعة ، التى انتشر فيها ، وعاد الظلام يغلّف كل شىء ..

كل شىء بلا استثناء ..

وبقى الزورق ، الماسى التصميم ، يتمايل فى رفق ، على سطح البحر .

ولكن كل من عليه اختفوا تمامًا ، دون أن يتركوا خلفهم أثرًا ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

« مستحيل !! »

غمغم قبطـان المدمـرة (فجـر) بالكلمـة فـى ذهـول ، وهـو يحـدّق فى المركبـة (شارك) ، التى تم رفعهـا إلـى قلب المدمرة ، والتـى بدت سليمة تمامًا ..

وخالية تمامًا ..

كل شىء فيها كان سليمًا ، لم تمسسـه يد ، حتـى بمحاولة للفحص أو الاختبار ..

ولكن لم يكن هنـاك أثر لطـاقم الضفادع البشرية ، الذى كان داخلها ، عندما اختفت ..

أدنى أثر ..

وبكل توتر الدنيا ، قالت (سلوى) :

ـ الكمبيوتر يؤكّد أنها قد ظهرت فى نفس النقطـة ، التى اختفت عندها ، وكأنها لم تتحرّك من مكانها قيد أنملة .

قال القبطان فى صرامة متوترة :

ـ أين طاقمها إذن ؟!

قال مسـاعده ، وهو يميل برأسـه ؛ ليتطلّـع داخل المركبة فى حذر :

ـ ربما ابتلعهم وحش غامض ، أو ...

قاطعه القبطان فى غضب :

ـ كف عن هذه السخافات .

اعتدل المساعد ، وبدت لهجته عصبية ، وهو يقول :

- ولماذا سخافات ؟! منذ بدأت هذه العملية ، وكل شيء يحدث على نحو غير طبيعي ، فلماذا لانفترض أيضًا وجود وحوش ما ، في أعماق البحر ؟!

أجابته (سلوى) في سرعة :

- لأن الأجهزة لم تُسجّل شيئًا كهذا .

قال بنفس السرعة :

- ولم تُسجّل وجود تلك الأشباح في الأعماق أيضًا .

التقى حاجباها في توتر ، في حين شدّ القبطان قامته ، وأشاح بوجهه ، وكأنما ينأى بنفسه عن الدخول في هذه المناظرة السخيفة ، ومن وجهة نظره ، وقال في صرامة آمرة :

- الآن وقد عادت الاتصالات ، أبلغوا (القاهرة) بانتهاء المهمة ، وانتشال (ب . ن - ١٠٣) ، واستعدادنا للعودة ، فور تحديد النتائج .

انطلق ضابط الاتصالات لتنفيذ الأمر ، في حين قال (رمزي) في توتر :

- وماذا عن (نور) و (أكرم) ؟!

استدار إليه القبطان في بطء ، وبملامح توحي بأنه يبذل جهدًا حقيقيًا ، للسيطرة على مشاعره ، وهو يقول :

- ماذا عنهما ؟!

أجابته (سلوى) في انفعال :

- عودة (شارك) تمنحنا الأمل في عودتهما أيضًا .

قال القبطان في صرامة :

- (شارك) عادت بدون طاقمها .

قالت (سلوى) فى إصرار :

ـ لا أحد يدرى لماذا حدث هذا ، ولا ما الذى يمكن أن يحدث فيما بعد .

أشاح القبطان بوجهه مرة أخرى ، وقال :

ـ نحـن هنـا فى مهمـة محـدودة ؛ لإنقـاذ (ب . ن ـ ١٠٣) ، ولقد نفذنا المهمة .

هتف (رمزى) فى غضب :

ـ بمبادرة (نور) و(أكرم) .

أجابه القبطان فى صرامة :

ـ بتضحيات عشرات الرجال ، أيها الخبير النفسى .

قال (رمزى) فى حدة :

ـ فليكن .. ألا ينبغى أن تبذل بعض الجهد ، لاستعادة هؤلاء الرجال ، الذين تتحدَّث عنهم ؟!

قال القبطان ، فى صرامة أكثر :

ـ مهمتنا الرسمية انتهت ياسيِّد (رمـزى) ، والقواعد العسكرية تحتم العودة إلى القاعدة ، ما لم نتلق أوامـر جديدة .

التقى حاجبا (سلوى) فى شدة ، وتراجعت بضع خطوات ، وهى تقول فى صرامة شديدة :

ـ لن أتحرَّك خطوة واحدة من هنـا ، قبل استعادة (نور) و(أكرم) .

تبادل معها القبطان نظرة عصبية ، متحدية ، غاضبـة ، قبل أن يقول ، فى صرامة بلا حدود :

ـ فليكن .. سأضعك مع أجهزتك فى زورق من زوارق النجاة ، وافعلى ما شئت .. وحدك .

هتف (رمزى) :

ـ هذا تصرُّف غير أخلاقى .

صاح به القبطان فى غضب :

ـ ما أفعله تصرُّف قانونى وعسكرى مائة فى المائة يا رجل ، ولقد تحدثت إلى القيادة بنفسى ، وهم يؤيدون فكرة العودة إلى القاعدة ؛ خشية وقوع خسائر جديدة ، فى الأرواح والمعدات ، قبل أن ينجلى اللغز ، ولن أجازف بحياة عشرات الرجال ، من أجل رجلين ، حتى ولو كانا (نور) و(أكرم) هذين .. هل فهمتما ؟!

احتقن وجه (سلوى) بشدة ، وشعرت بمزيج من الغضب والعجز والمرارة يتصاعد إلى حلقها ، ويملأ نفسها بغثيان عجيب ، تكاد معه تفرغ ما يجوفها ..

ولكن فجأة ، اندفع أحد الضباط إلى ميناء القاع ، وهو يهتف :

سيِّدى القبطان .

التفت إليه الكل فى توتر قلق ، وسأله القبطان :

ماذا هناك يا رجل ؟!

ازدرد الضابط لعابه ، فى محاولة لترطيب حلقه الجاف ، والسيطرة على مشاعره وانفعالاته ، قبل أن يقول :

ـ لقد أوصلنا الأكسجين للغوّاصة (ب . ن ـ ١٠٣) ، ثم أدخل الخبراء مصدرًا ضوئيًا ، عبر أنبوب من الألياف الضوئية ، مع منظار خاص ، للبحث عن الطاقم المفقود ، حيًّا أو ميتًا .

حمل صوت القبطان قلقه العارم ، المختبئ فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ لا تقل لى : إنكم قد عثرتم على جثثهم .

هزَّ الضابط رأسه نفيًا ، وأجاب بكل انفعاله :

ـ كلاَّ يا سيِّدى .. لم نعثر على جثثهم .

وازدرد لعابه مرة أخرى ، قبل أن يضيف بانفعال أكثر :

ـ لم نعثر على أى شىء على الإطلاق .

حدَّق القبطان فى وجهه ، بكل دهشة وقلق الدنيا ، متسائلاً :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

هزَّ الضابط رأسه فى قوة ، وكأنما يعجز عقله نفسه عن تصديق ما سينطق به لسانه ، قبل أن يقول :

ـ كل مداخل الغوَّاصة كانت مغلقة من الداخل بإحكام ، وعلى الرغم من هذا فقد كانت خالية .

ردَّد القبطان فى ذهول :

ـ خالية ؟!

هزَّ الضابط رأسه مرة أخرى ، قبل أن ينخفض صوته إلى حد عجيب ، وهو يقول :

ـ نعم يا سيِّدى .. (ب . ن ـ ١٠٣) كانت خالية ، ولم يكن بداخلها أثر لفرد واحد من طاقمها .. أدنى أثر .

اتسعت عيون الكل ، فى دهشة وارتياع ، فيما عدا (سلوى) ، التى قالت فى عصبية :

ـ كنت أتوقَّع هذا .

لم تكد تنطقها ، حتى ارتفع من ساعة معصمها أزيز قوى ، وراحت تتألَّق على نحو متقطِّع ، فاستدار إليها القبطان فى عصبية ، هاتفًا :

ـ ما هذا أيضًا ؟!

اندفعت نحو الباب ، هاتفة :

ـ الجهاز فى ساعتى يتصل لاسلكيًا بجهاز رصد الأعماق ، الخاص بى ، وهذه الإشارة تعنى أن الأخير قد رصد شيئًا جديدًا .

ردَّد القبطان فى توتر بالغ :

ـ رصد شيئًا جديدًا ؟!

وبحركة غريزية ، انطلق يعدو خلفها ، ولحق بهما مساعده ، و(رمزى) ، وضابط الاتصال أيضًا ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان الكل فى تلك القاعة الصغيرة ، المخصصة لفريق المخابرات العلمية ..

وفى سرعة ، جلست (سلوى) أمام جهازها ، وضغطت أزراره ، و ....

وتألّقت الشاشة ..

ولثوان ، حدّق الجميع فى الشاشة ، بعيون اتسعت حتى آخرها ..

وران على القاعة صمت عجيب ..

صمت ثقيل ..

مهيب ..

رهيب ..

صمت قطعه قبطان المدمرة (فجر) ، وهو يغمغم :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

حملت غمغمته كل ما استعر فى أعماقه ، من دهشة ، وحيرة ، وقلق ، وخوف ، ورهبة ..

فما يرصده جهاز (سلوى) ، وما يدور فى أعماق البحر ، كان أمرًا عجيبًا رهيبًا ..

للغاية .

★ ★ ★



٧ـ الخــوف ..

التقى حاجبا رئيس الجمهورية ، فى توتر لم يشعر به فى حياته أبدًا ، وهو يطالع التقارير الخاصة باختفاء مستشاره الأمنى الخاص (أمجد صبحى) ، قبل أن يسأل مدير المخابرات فى غضب :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟! كيف لم يعثر الخبراء على أدنى أثر لـ (أمجد) .. إنه لم يتلاش بالتأكيد .

التقط مدير المخابرات نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ الواقع أن حادثة اختفاء السيِّد (أمجد) محاطة بقدر هائل من الغموض خاصة وأنها قد تمت خلال دقائق معدودة ، وعلى نحو لم يحدث من قبل قط .

اعتدل الرئيس ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كان ينبغى أن يحاط دومًا بحراسة مكثفة .

أشار مدير المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ سيادتك تعلم أن السيِّد (أمجد) ظلّ يرفض هذا الأمر بإصرار شديد ، وأن كل محاولاتنا لإقناعه بأمر طاقم الحراسة هذا ، قد قوبلت منه بالمزيد من العناد والصرامة .

قال الرئيس فى حدة :

ـ كان ينبغى إجباره على هذا .

رفع مدير المخابرات حاجبيه وخفضهما ، وهو يقول :

ـ من المستحيل إجبار السيِّد (أمجد) ، على شىء يرفضه .

زفر الرئيس ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا .

ثم استعاد صرامته وعصبيته ، وهو يضيف :

ـ ولكن من المستحيل أن نقف عاجزين ، أمام اختفاء شخص مثله .

هزّ مدير المخابرات رأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد ، ولكننا نبحث عن طرف خيط ، يمكن أن ننطلق من عنده ؛ فمنزل السيِّد (أمجد) من طابق واحد ، محاط بحديقة كبيرة ، وله مدخل أمامى ، وآخر خلفى .. والخبراء وجدوا المدخل الخلفى مغلقًا ، ولم يتمّ فتحه منذ فترة طويلة ، تقترب من ثلاثة أشهر ، وهم واثقون تمامًا من رأيهم هذا ، بعد كل ما أجروه من فحوص ، ثم إن النوافذ كلها مغلقة من الداخل أيضًا ، ومتصلة بأجهزة إنذار إليكترونية ، لم تسجّل أية محاولة اقتحام خارجية ، أما الباب الأمامى ، فلم يعبره أى مخلوق ، منذ غادره السيِّد (أمجد) فى الصباح ، وحتى عاد إليه ، قبيل اختفائه بدقائق .

بدت الحيرة على وجه الرئيس ، وهو يتساءل :

- ماذا حدث إذن ؟!

ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وزفر فى حرارة ، قبل أن يتابع فى توتر :

- وأين ذهب (أمجد) ؟!

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

- ولماذا ؟!

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، وقال :

- إننا نبذل قصارى جهدنا .

اعتدل الرئيس فى مجلسه ، وهو يقول فى صرامة :

- هذا لا يكفى .

بدت الدهشة على وجه مدير المخابرات ، وهو يكرّر :

- لا يكفى ؟!

التقط الرئيس أحد هواتفه الساخنة الخاصة(*) ، وهو يقول فى صرامة :

- نعم .. بحثكم وحده لايكفى .. إننا أمام لغز غامض ، يتعلّق بأمر يتجاوز حدود عقولنا ، وعندما يصل الأمر إلى هذا الحد ، يبدأ دور المخابرات العلمية .

(*) الهاتف الساخن : خط يصل مباشرة بين هاتفين ، بحيث يتم الاتصال الهاتفى ، فور رفع سمّاعة أحدهما ، ولقد ابتكر المصطلح عالم أمريكى ، للتدليل على سرعة الاتصال وأهميته ، فى هذه الحالة .

انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ كل ما نحتاج إليه هو الوقت فحسب .

قال الرئيس فى صرامة :

ـ ولسنا نمتلكه للأسف .

بدا الضيق على وجه مدير المخابرات ، والرئيس يخاطب القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، عبر الهاتف الساخن ، قائلاً :

ـ أريدك فى مكتبى فورًا ، أيها القائد الأعلى .

أجابه القائد الأعلى على الفور :

ـ فورًا يا سيادة الرئيس .

لم يكد الرئيس ينهى الاتصال ، حتى ارتفع أزيز الجهاز الخاص أمامه ، والذى ينقل إليه تقارير الأحداث أوّلاً فأوّل ، فالتفت إليه الرئيس ، والتقط التقرير الوارد منه ، والتقى حاجباه ، وهو يلقى نظرة عليه ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ، وأمسك مسند مقعده بحركة غريزية ، تشفّ عن توتر عنيف ، على نحو أدرك معه مدير المخابرات الواقف أمامه ، أن ذلك التقرير يحوى أخبارًا خطيرة ورهيبة ..

جدًا ..

* * *

« نظريتك عجيبة بحق يا سيِّدة (نشوى) .. »

نطق رئيس فريق العلماء العبارة ، فى حجرة الاجتماعات الرئيسية ، داخل مبنى إدارة الأبحاث العلمية ، قبل أن يتحرّك فى المكان فى توتر ، متابعًا :

ـ ولكن من العسير اعتمادها ، أو الموافقة عليها ، دون أدلة قوية تؤيِّدها .

هزّت (نشوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ لست هنا للبحث عن اعتماد قانونى ، أو تأييد علمى لنظرية جديدة ، أحلم بأن تضعنى على القمة .. إننى

أسعى فقط لمواجهة ذلك الخطر ، الذى يهدّد أمن وسلامة الجميع ، ولإنقاذ كل من يمكن إنقاذه ، من أية مخاطر محتملة .

تبادل فريق العلماء نظرة صامتة ، قبل أن يقول رئيسهم فى حذر :

ـ أعطينا سببًا واحدًا إذن ، يدفع أهل المستقبل إلى الهجوم على زمننا هذا .

أجابت فى سرعة ، وكأنها كانت تنتظر السؤال وتتوقّعه :

ـ السيطرة على مستقبلهم .

حدّق العلماء فى وجهها لحظة ، قبل أن يتراجعوا فى مقاعدهم ، وتتألّق فى عيونهم نظرة ساخرة ، انتقلت إلى ابتسامة رئيس الفريق ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، ويسألها :

ـ وما الذى يمكن أن يفعلوه فى زمننا ، للسيطرة على مستقبلهم ؟!

أجابته فى حزم عنيد :

ـ من المؤكَّد أننا لن نعلم هذا ، إلا لو كنا من زمنهم .

اكتسب صوته سخرية أكبر ، وهو يقول :

ـ حقًّا ؟!

امتلأت نفسها بالغضب ، الذى أطل فى وضوح على وجهها ، وإن سيطرت على أعصابها تمامًا ، وهى تقول :

ـ قل لى يا سيّدى : هل لى أن أسألك سؤالاً واحدًا ؟!

لم تخل لهجته من السخرية نفسها ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

نهضت بحركة حادة ، ورفعت سبّابتها ، قائلة :

ـ لو افترضنا أننا قد امتلكنا آلة زمن الآن ، واستخدمناها للعودة إلى زمن ماض .. قبل كارثة (نيويورك) مثلاً ، وسعينا لقتل ذلك الصهيونى ، الذى خطّط للعملية ، وتسبّب فى كل ما أريق بسببها من دماء ، وكل

ما أزهق من أرواح .. هل تعتقد أن أحدًا ، فى الزمن الذى ذهبنا إليه ، يمكنه أن يعرف ، أو حتى يستنتج السبب ، الذى يدفعنا للسعى خلف ذلك الرجل ؟!

انعقد حاجبا رئيس فريق العلماء ، فى حين استعارت هى سخريته ، وهى تتابع :

ـ تُرى كيف يكون شعور أى شخص من ذلك الزمن ، لو أصرَّ أحدهم على أن يعلم منه أوَّلاً ما نسعى إليه ، قبل أن يصدِّق نظريته ، فى أننا قد أتينا من المستقبل ؟!

ابتسم العلماء ، وكأنما راقت لهم دعابتها ، فانعقد حاجبا رئيسهم ، وهو يقول فى عصبية غاضبة :

ـ مجرَّد سفسطة ، بلا أى دليل علمى .

سألته فى حدة :

ـ وما الدليل الذى تنشده ؟! جريدة من المستقبل ، تحمل خبرًا مازلنا نجهله ، أم نبوءة عرَّاف من الماضى ، حول حادثة خطيرة ، مازلنا لا ندرى كيف ستحدث ؟

ومالت تستند بكفيها إلى مائدة الاجتماعات ، وتطلَّعت إلى وجوه العلماء الجالسين أمامها ، وهى تتابع فى صرامة :

ـ أنا عضو فى أهم فريق ، من فرق المخابرات العلمية أيها السادة .. فريق المقدَّم (نور الدين) .. الذى تعرفونه جميعًا ، وأهم ما تعلَّمته ، فى هذا الفريق ، هو قاعدة يؤمن بها والدى تمامًا ، وتقول : « لو استبعدنا المستحيلات ، فى كل لغز نواجهه ، فما يتبقى أمامنا هو الحقائق ، مهما بلغت غرابتها .. » .. وبهذه القاعدة ، توصَّل أبى إلى حل عشرات الغوامض والألغاز ، التى جعلته أشهر ضابط مخابرات علمية ، فى العالم أجمع .. وفى هذا اللغز ، قمت بتطبيق مبدأ والدى هذا ، والذى استقاه بدوره من شخصية روائية شهيرة(*) ، ووجدت أمامى مجموعة من الحقائق ، التى تمنحنا تفسيرًا ، قد لايريح معظمكم ، ولكنه يجعل الوقائع كلها مقبولة ، مهما بلغت غرابتها .

(*) (شيرلوك هولمز) ، لمبتكرها سير (آرثر كونان دويل) ..

صمتت لحظة ، التقطت خلالها أنفاسها ، قبل أن تعتدل واقفة ، وتضيف بكل حزم وصرامة :

ـ وأنا أؤمن بما توصّلت إليه تمامًا ، سواء أقنعكم أم لم يقنعكم .

قالتها ، واستدارت لتغادر القاعة فى غضب ، لولا أن استوقفها صوت الدكتور (جلال) الحازم ، وهو يقول :

ـ لقد أقنعنى أنا .

استدار العلماء كلهم إليه ، فى دهشة مذعورة ، فنهض من مقعده ، مواصلاً بنفس الحزم :

ـ ربما يبدو ما توصّلت إليه مخيفًا ، وربما يخشى معظمنا تصديقه ، أو الاعتراف بصحته ؛ لأنه يضعنا أمام موقف رهيب ، لا قبل لنا به ؛ إذ إن خصومًا من مستقبلنا سيمتلكون سلاحين لايمكننا التصدّى لهما ، مهما بلغت قوتنا .

ثم أشار بسبّابته وإبهامه ، مضيفًا :

ـ تكنولوجيا تفوقنا بعدة مراحل .. ومعرفة تامة بكل ما فعلناه ، وما سنفعله لمواجهتهم ، و ...

رفعت (نشوى) يدها ، قائلة فى حزم :

ـ خطأ .

استدار إليها بدهشة ، فخفضت يدها ، واكتسى وجهها بحمرة الخجل ، وهى تتابع :

ـ معذرة يا دكتور (جلال) .. أعلم أننى قد خالفت كل قواعد الذوق واللياقة بمقاطعتى إياك ، ولكن ما أردت قوله هو أن الأمر يخضع الآن لقواعد أخرى ، لاتتفق والمنطق الطبيعى للأمور .

سألها فى اهتمام :

ـ ماذا تعنين ؟!

أجابت فى سرعة :

ـ أعنى أنه لو كان خصومنا قد أتوا من مستقبلنا بالفعل ؛ لمنع شىء ما ، يمكن أن يؤثّر فى حاضرهم ،

أو ربما فى مستقبلهم ، فعودتهم إلى زمننا ، وتدخُّلهم فى الأمور ، سيغيِّر حتمًا مجرى الأحداث كلها ، أى أن ما سنفعله للتصدّى لهم ، لم يكن مسجَّلاً حتمًا فى زمنهم ، وإلا لكان هذا يعنى أن عودتهم بلا طائل أو معنى.

بدت الحيرة على بعض العلماء ، وهم يحاولون استيعاب ما تعنيه ، فى حين تألَّقت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! أنت عبقرية يابنيتى .. (نور) أنجب بحق .

اندفع أحد العلماء ، يقول فى عصبية :

ـ حتى لو كانت كذلك ، ومهما بلغت صحة نظريتها ، فهى لم تضف جديدًا إلى الأمور .. مازلنا عاجزين عن التصدّى لما يفعله بنا هؤلاء المستقبليون .. لو صحَ وجودهم .

أجابته (نشوى) فى حزم :

ـ مهمتنا أن نبحث عن وسيلة لذلك إذن .

ثم شدّت قامتها ، مستطردة :

ـ وبأى ثمن .

ومرة أخرى ، تألَّقت عينا الدكتور (جلال) ، وهو يتطلَّع إليها فى إعجاب بلغ حد الانبهار ، فقد بدت ، فى تلك اللحظة ، أكثر شبها بأبيها المقدَّم (نور) ، الذى اختفى مع زميله (أكرم) هناك ..

فى الأعماق ..

* * *

بقعة من ضوء مبهر ، ظهرت فى أعماق البحر ، أسفل المدمرة (فجر) تمامًا ..

بقعة راحت تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

ومع اتساعها ، راح ضوؤها يزداد سطوعًا ، وينتشر

فى أعماق البحر ، فى نفس الموقع الذى كانت تحتله الغوّاصة النووية (ب . ن ـ ١٠٣) ..

وينتشر ..

وينتشر ..

وفى حيرة عصبية ، تساءل القبطان :

ـ ما مصدر هذا الضوء بالضبط ؟!

هزّت (سلوى) رأسها ، قائلة :

ـ لست أدرى .. الجهاز لا يسجّل وجود أى جسم مادى فى الأعماق ، ولكنه يرصد الضوء شديد السطوع ، والذى تتزايد شدته فى كل لحظة .

عاد مساعد القبطان من السطح ، وهو يقول فى توتر :

ـ الضوء ملحوظ عند سطح البحر ، ويحيط بالمدمرة وما حولها من زوارق ويتسع بسرعة تثير خوف وقلق الجميع .

غمغم القبطان :

ـ يا إلهى ! وفقًا لجهازك ، ينبع ذلك الضوء المبهر ، من عمق تسعمائة متر ، تحت سطح البحر ، وعبوره هذه المسافة ، حتى يبدو واضحًا للأعين هنا ، يعنى أنه أشبه بشمس صغيرة فى الأعماق .

قالت ، وهى تطالع شاشتها ، فى قلق عارم :

ـ بالضبط .

تساءل (رمزى) فى عصبية :

ـ إلى متى سيستمرّ فى الشدة والاتساع ؟!

قال القبطان :

ـ بل قل : ما الذى يهدف إليه بالضبط ؟!

جرت أصابع (سلوى) على أزرار جهازها ، قبل أن تقول :

ـ إنه يتحرّك .



جرت أصابع (سلوى) على أزرار جهازها ، قبل أن تقول :
ـ إنه يتحرك !! ..

انعقد حاجبا القبطان فى شدة ، وهو يقول :

ـ يتحرك ؟! لماذا ؟!

أما (رمزى) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتراجع خطوة إلى الخلف ، متمتمًا :

ـ رباه ! هل .. هل ..

سأله القبطان فى عصبية :

ـ لماذا لا تكمل ما تريد قوله ؟!

استدار إليه (رمزى) ، قائلاً فى ذعر :

ـ ماذا لو أنه .. أعنى لو أن هدفه هو .. يا إلهى ! يا إلهى !

صاح به القبطان فى حدة :

ـ ماذا تريد أن تقول باللّه عليك ؟!

قبل أن ينبس (رمزى) ببنت شفة ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! إنه ....

لم تستطع إكمال هتافها ، فالتفت الكل إلى شاشة جهازها ، واتسعت عيونهم عن آخرها ..

ففى تسارع مطرد ، كان ذلك الضوء المبهر يدور حول نفسه ..

ويدور ..

ويدور ..

ومع دورانه ، تحوّل إلى دوّامة من الضوء ، واصلت اتساعها فى سرعة ، لينتقل دورانها عبر مياه البحر إلى أعلى ..

وأعلى ..

وأعلى ..

ومع اقترابه من السطح ، بدأ تأثيره يمتدّ إلى الزوارق المحيطة بالمدمرة (فجر) ، كما لو أنها قد سقطت فجأة فى دوامة بحرية رهيبة ..

وكرد فعل طبيعى ، سادت موجة من الاضطراب ، بين

أطقم زوارق الطوربيد ، وبحارة المدمرة (فجر) ، وانطلق الكل يقاتل فى استماتة ؛ للسيطرة على توازن المركبات ، فى محاولة للخروج من مجال الدوّامة ، التى راحت تشتدّ أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع تزايد شدتها ، سطع الضوء المحيط بمجموعة الإنقاذ أكثر ، واتسعت مساحته ، وهتف قبطان (فجر) :

ـ أديروا المحركات .. بأقصى سرعة ..

كانت زوارق الطوربيد قد أدارت محركاتها بالفعل ، فانطلقت تزأر بشدة ، وشدة الدوّامة تتسع وتتعاظم ، والضوء المبهر يشتدّ ..

ويشتدّ ..

ويشتدّ ..

وكانت معركة رهيبة عنيفة ..

معركة بين أبطال الأسطول المصرى ، وخطر غامض رهيب ..

وقاتل ..

وفى موقعها ، هتفت (سلوى) :

ـ رباه ! الجهاز يُسجِّل قوة جذب رهيبة ، عند مركز ذلك الضوء المبهر .

كانت سرعة دوران الضوء قد بلغت حدًّا رهيبًا ، وراح يشفط كميات هائلة من مياه البحر ، على شكل دوامة هائلة ، جعلت (سلوى) تهتف :

ـ يا إلهى ! لقد تحوَّل ذلك الضوء المبهر إلى مايشبه تلك الثقوب السوداء فى السماء .. إنه يجذب إليه كل ما حوله بقوة رهيبة .

تساءل مساعد القبطان ، فى توتر بالغ :

ـ وأين يذهب ما يبتلعه ؟!

هزَّت رأسها فى قوة ، مجيبة :

ـ لست أدرى .. إنه يلتهم كل ما حوله بلا هوادة .. الصخور ، والأسماك ، وأطنان من المياه .. كل شىء .

اندفع أحد الضباط إلى القاعة ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول فى انفعال :

ـ سيِّدى القبطان .. زوارق الطوربيد عاجزة عن الخروج من تلك الدوَّامة الرهيبة .. محركاتها تعمل بأقصى قوتها ، ولكن قوة الجذب تفوقها عشرات المرات .

ثم ازدرد لعابه ، ولوَّح بيده ، مستطردًا :

ـ لا بد أن نبتعد بالمدمرة فورًا يا سيِّدى ؛ وإلا سقطنا أسرى لها أيضًا .

غمغم مساعد القبطان فى ارتياع :

ـ هـذا يعنى أن نتخلَى عـن الغوَّاصـة ، وزوارق الطوربيد .

التقى حاجبا القبطان بشدة ، وهو يتطلَّع إلى شاشة جهاز رصد (سلوى) الخاص ، وعقله يصارع إعصارًا من الأفكار ، فى محاولة لاتخاذ قرار حازم حاسم ، بشأن ما يحدث ..

قرار يعلم مسبقًا ، أنه سيحتم عليه التضحية بالرجال ..

عشرات الرجال ..

★ ★ ★

اتسعت عينـا الكولونيل (بيرجـاتوف) ، الملحق العسكرى الروسى ، وهو يحدِّق فى وجـه الرئيس ، مغمغمًا :

ـ دوَّامة ضوئية ؟! هذا لم يحدث فى حالتنا قط .

بدا الرئيس صارمًا متوترًا ، وهو يسأله :

ـ أأنت واثق يا جنرال ؟!

هزَّ الروسى رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. لايمكن للمرء أن ينسى أو يتجاهل أمرًا كهذا .

تدخَّل القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قائلاً :

ـ تلك الدوَّامـة الضـوئيـة توشـك علـى ابتـلاع زوارق الطـوربيد ، التى تصحب المدمـرة (فجر) ، بعـد أن نجحـت فى انتشـال (ب . ن ـ ١٠٣) بالفعـل .

استدار إليه الكولونيل (بيرجاتوف) ، وسأل فى توتر بالغ :

ـ كانت خالية .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا الرئيس ، فى حين شدَّ القائد الأعلى للمخابرات العلمية قامته ، وقال :

ـ أتقصد (ب . ن ـ ١٠٣) ؟!

أجابه فى لهفة :

ـ بالتأكيد .. لقد وجدتموها خالية ، ولم يكن هناك أى أثر لطاقمها .. أليس كذلك ؟! هذا ما حدث معنا ، فى حادثة غواصتنا (كورسيك) .

ثم لهث على نحو عجيب ، وكأنما يغالب انفعالاً كامنًا فى أعماقه ، وهو يقول :

ـ إنهم يتطورون .

سأله الرئيس فى صرامة :

ـ من تقصد بقولك هذا يا كولونيل ؟!

أجابه الروسى فى توتر بالغ :

ـ الأشباح .. الأشباح الذين عجزنا عن مواجهتهم ، والذين ستعجزون أنتم أيضًا عن مواجهتهم .

قال الرئيس فى حدة :

ـ لاتتحدَّث عما لايخصك يا كولونيل .

وأضاف القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى حزم :

ـ ظروفنا تختلف عنكم يا كولونيل (بيرجانوف) ، فتلك الأشباح ، كما تدعوها ، تهاجمنا فى عصر ، تطوَّرت فيه تكنولوجيتنا ووسائلنا كثيرًا .

قال الكولونيل فى إصرار :

ـ هم أيضًا تطوَّروا .. ففى حادثتنا لم نواجه تلك الدوَّامة الضوئية الرهيبة ، التى قالت رسالة مدمرتكم عنها : إنها تتسع وتزداد شدة فى كل لحظة ، حتى لتكاد تبتلع كل شىء .. لقد تطوَّروا على نحو أكثر قوة ، مما يعنى أن المواجهة لن تكون لصالحكم قط ، مهما فعلتم .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، واعتدل فى وقفته ، مضيفًا :

ـ لو أردتما نصيحتى أيها السادة ، فالأفضل أن تتخذوا القرار ، الذى لم تتخذه قيادتنا فى حينه ،

والذى أثبتت كل الدراسات فيما بعد ، أنه كان أفضل قرار ينبغى اتخاذه ، فى هذا الشأن .

تبادل الرئيس نظرة صامتة متوترة ، مع القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قبل أن يسأل الروسى فى حذر :

ـ أى قرار هذا ؟!

التقط الروسى نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن يقول بكل الحزم والصرامة :

ـ استخدموا قنبلة نووية محدودة ، وانسفوا المنطقة التى غرقت فيها غواصتكم ، بكل ما عليها ، ومن عليها .. وفورًا .

وازداد انعقاد حاجبى الرئيس فى شدة ، وقد بدا له أن حديث الروسى مخيف رهيب ، ولكن يبدو أنه صادق ومحق تمامًا ..

فالوسيلة الوحيدة ، لإنقاذ (مصر) والعالم ، من ذلك الخطر الغامض الرهيب ، قد تحتم سحق المنطقة كلها ..

وبلا رحمة .

* * *



٨ ـ المفاجآت ..

شدّ الرائد (هيثم)، قائد فريق المخابرات العلمية الجديد، الذى أسند إليه القائد الأعلى مهمة التحقيق الفورى، فى حادثة الاختفاء الغامض للسيِّد (أمجد صبحى) ، قامته ، وأدار عينيه فِي منزل هذا الأخير ، قبل أن يشير إلى فريقه ، قائلاً :

ـ سنبدأ عملنا على الفور .. سنفحص المكان بكل الوسائل المتطوِّرة ، التى نحملها معنا .. أريد معرفة ما حدث هنا بأى ثمن .

بدأ أفراد الفريق الثلاثة فى تثبيت أجهزتهم ، فى أماكن متفرقة من المنزل ، وقال خبير الأشعة :

ـ سنستخدم الموجات تحت الحمراء الفائقة ، مع جهاز فصل الموجات بالغ الدقة والحساسية ، بأعلى درجة ممكنة ، حتى نعلم ما حدث ، منذ دلف السيِّد (أمجد) إلى المكان ، وحتى لحظة اختفائه .

ألقى (هيثم) نظرة على ساعته ، وقال :

ـ لقد مرَّ وقت طويل على هذا .. هل تعتقد أنه مازالت هناك آثار حرارية متبقية لحركته .

أومأ الخبير برأسه ، قائلاً :

ـ الآثار الحرارية لا تنمحى بسهولة ، كل ما فى الأمر أنها تخفت إلى درجة يستحيل رصدها فى المعتاد ، ولكن الدقة والحساسية الشديدتين لهذا الجهاز ، الذى يُستخدم عمليًا لأوَّل مرة ، ستمكناته من رصد تلك الآثارِ الحرارية ، مهما بلغت درجة خفوتها .

سألته خبيرة الصوتيات :

ـ ولكنها امتزجت بعشرات الآثار والانبعاثات الحرارية الأخرى ، لكل من دخل المكان بعدها ، من رجال البحث الجنائى ، والتحقيقات ، ورجال المخابرات العامة ، وغيرهم .

تنهَّد ، قائلاً :

ـ سنبذل قصارى جهدنا لتنقيتها وفصلها .

انهمك كل منهم فى عمله ، فـى حين وقف الرائد (هيثم) صامتًا فى الركن ، حتى لايفسد ما يحدث ، فى حين راح عقله يحاول رصد ماحدث ، باستنتاج الموقف بأكمله ..

ولكن عقله لم يجد تفسيرًا منطقيًا واحدًا لهذا ..

كيف يمكن أن يختفى شخص ما ، داخل منزله المغلق من الداخل ، خلال دقائق معدودة ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

استمرّ فى بحثه الذهنى ، حتى قال خبير الأشعة :

ـ مستعد للتنفيذ .

اعتدلت خبيرة الصوتيات بدورها ، وغمغمت :

ـ وأنا أيضًا .

اتجه (هيثم) نحوهما ، وهو يقول بلهجة آمرة :

ـ ابدآ عملكما فورًا .

ضغط خبير الأشعة أزرار جهازه ، فراحت ترتسم على شاشته ظلالٌ حمراء شبه بشرية ، تتحركَ هنا وهناك ، فسأله (هيثم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابه الخبير ، وهو يضبط حساسية وذبذبة جهازه :

ـ إنها الانبعاثات الحرارية لرجال البحث الجنائى .. آخر من ترك المكان .

وعادت أصابعه تضغط أزرار الجهاز ، وهو يقول :

ـ سنزيد من حساسية الجهاز ، ونفصل الآثار الحرارية الأكثر قدمًا . تغيرَت الصورة على الشاشة ، وظهرت ظلال حمراء أخرى ، أقل وضوحًا ، تفحص كل شبر من المنزل ، فقال الخبير ، وهو يعدّل درجة الحساسية والفصل مرة أخرى :

ـ إنهم رجال الشرطة والمخابرات ، الذين أتوا ، فور حدوث الاختفاء .

قالت خبيرة الصوتيات فى اهتمام :

- يمكننى التقاط أصواتهم وأحاديثهم المختلطة هنا .

غمغم (هيثم) :

- الأصوات أيضًا تبقى ؟!

أجابه خبير الأشعة :

- كل صور الطاقة لا تفنى ، ولا تستحدث من عدم .. هذه قاعدة علمية صحيحة تمامًا(*) :

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تألّقت الشاشة بضوء أحمر مباغت قوى ، جعل خبير الأشعة يتراجع بحركة غريزية ، هاتفًا :

- يا إلهى !

هتف به الرائد (هيثم) :

- ما هذا ؟!

أجابته خبيرة الصوتيات فى حماسة :

(*) حقيقة ..

- إنه ذلك الضوء المبهر ، الذى رآه السائق والحارس الخاص من خارج المنزل .. لقد وصلنا إلى لحظة الاختفاء .. زد حساسية الجهاز قليلاً ، وضاعف قدرته على فصل الآثار الحرارية الضئيلة ، وسنصل إلى بداية الحدث .

نفذت أصابع خبير الأشعة اقتراحها بحركة آلية ، ثم تراجع ، وتطلّع مع الباقين فى اهتمام إلى شاشة جهازه ، فى حين راحت خبيرة الصوتيات تعدّل جهازها بدورها ، لتتوافق مع اللحظة نفسها ..

وعلى شاشة جهاز خبير الأشعة ، رأى الكل ظلّ السيّد (أمجد) ، وهو يلف إلى منزله ، ويتجه إلى زر الإضاءة ، ثم يستدير فى سرعة ، ويسحب مسدسه ، فهتفت خبيرة الصوتيات :

- انظروا .. لقد رأى شخصًا ما .

انعقد حاجبا خبير الأشعة ، وهو يقول :

- أى شخص .. الجهاز لايعكس أية انبعاثات حرارية أخرى سواه .

أشار (هيثم) بسَّبابته إلى البقعة ، التى يصوِّب إليها ظل (أمجد) مسدسه ، وقال :

ـ وماذا عن هذا المكان .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، انبعث من جهاز خبيرة الصوتيات صوت (أمجد) ، وهو يقول :

ـ أنت ؟!

ثم أعقبه صوت آخر يجيب :

ـ نعم .. هو أنا .

وغمر الشاشة ذلك الانبعاث الحرارى الفائق مرة أخرى ، فهتفت خبيرة الصوتيات فى انفعال :

ـ هل سمعتم ؟! هناك شخص آخر فى الحجرة .

بدا خبير الأشعة شديد التوتر ، وهو يراقب الشاشة ، التى لم يعد عليها أدنى أثر لانبعاث حرارى ، عقب ذلك الفائق ، وغمغم فى عصبية :

ـ شخص لايبعث جسده أى نوع من الأشعة ، وتسبَّب فى اختفاء السيِّد (أمجد) بغتة .

قال (هيثم) فى توتر :

ـ أى شخص هذا ؟!

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ شخص آلى .

صاح بها خبير الأشعة فى صرامة :

ـ لا تتسرَّعى .

ثم أشار بيده إلى البقعة ، التى كان (أمجد) يصوِّب إليها مسدسه ، مستطردًا فى توتر شديد :

ـ مازالت هناك وسائل أخرى للتحقُّق .

بدأ يتعامل مع جهازه مرة أخرى ، فى حين قال (هيثم) :

ـ إنه على حق .. افتراض أن خصمنا شخص آلى لايتفق مع ما لدينا بالفعل ؛ فمن الواضح أن السيِّد

(أمجد) قد شاهد شخصًا ما .. شخصًا يعرفـه .. بـل ويدهشه أن يراه فى ذلك الوقت ، أو ذلك المكان.

سألته فى حيرة :

- شخص مثل من ؟!

هزَّ كتفيه ، وتنهَّد ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

التقى حاجبا خبير الأشعة ، وهو يقول :

- هناك ظل باهت للغاية .

التفت الكل إليه فى اهتمام ، وتساءل (هيثم) فـى لهفة :

- أين ؟!

ضغط أزرار الجهاز ، لتكبير الجزء المـراد على الشاشة ، وهو يقول :

- هنا .

بدأ يضاعف قوة ووضوح الصورة ، فرأى الجميع ظلاً واضحًا ، يبرز من الركن ، ويواجه السيِّد (أمجد) ، ويصوِّب إليه شيئًا ما ..

وبكل انفعاله ، تساءل الرائد (هيثم) :

- ألا يمكنك توضيحه أكثر ؟!

ضغط خبير الأشعة أزرار جهازه مرة أخرى ، فامتلأت الشاشة بالانبعاث الحرارى الضنيل ، الناشئ من وجه ذلك الشخص ، وبدت أشبه بصورة معكوسة ، من صور الفن التجريدى ، مما جعل خبيرة الصوتيات تتساءل :

- ألا توجد وسيلة لتحديد ملامحه الحقيقية ؟!

صمت خبير الأشعة بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- الانبعاث الحرارى منه ضئيل للغاية ، كما لو أنه كائن بارد ، أو ...

بتر عبارته فى تردُّد ، فسأله (هيثم) :

- أو ماذا ؟!

تردَّد الشاب بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى خفوت ، وكأنما يخشى التصريح بما لديه :

- أو شبح .

اعتدل الكل فى دهشة ، وتساءلت خبيرة الأصوات فى حيرة :

- وهل تنبعث الحرارة من الأشباح ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- بعض الدارسين أمكنهم تصوير ما وصفوه بالأشباح ، وهذا يعنى أنه تنبعث منها حرارة ما(*) .

سألته مبهورة :

- أتعنى أن هذا شبح ؟!

(*) هناك باحثون جادون ، يدرسون كل حالة من حالات ظهور الأشباح ، فى أى مكان فى العالم ، ولديهم بعض البحوث والصور بالفعل ، وهذا يعتبر واحداً من علوم ما فوق الطبيعيات ، بغض النظر عن إيماننا به من عدمه .

أشار الرائد (هيثم) بسبَّابته فى صرامة ، قائلاً :

- هذه ليست قضيتنا الآن .. إننا نتساءل : هل توجد وسيلة لمعرفة الملامح الحقيقية لهذا الوجه ، من خلال الانبعاث الحرارى الناجم عنه ؟!

صمت خبير الأشعة لحظة أخرى ، ثم أومأ برأسه ، مجيبًا :

- نعم .. يوجد برنامج خاص ، لإعادة بناء ملامح الوجه ، بناء على درجات الانبعاث الحرارى المختلفة عليه ، ولكنه يعطينا صورة تقريبية ، وليست دقيقة .

قال (هيثم) فى حزم :

- لو أنه لديك ، استخدمه فورًا .. أريد أن أرى كيف يبدو هذا الـ .. الشىء .

جرت أصابع خبير الأشعة على أزرار جهازه فى سرعة ، ثم تراجع ليراقب ، مع الآخرين ، تطوَّر الصورة على الشاشة ..

وفى بطء ، راح البرنامج يعيد بناء ملامح وجه المعتدى ، الذى فأجأ السيِّد (أمجد صبحى) فى منزله ، وأطلق فى وجهه تلك الطاقة ، التى أخفته من الوجود ..

ورويدًا رويدًا ، راحت ملامح الوجه تتضح ..

وتتضح ..

وتتضح ..

ثم ظهرت ملامحه التقريبية أخيرًا تملأ الشاشة ..

ومع ظهورها ، اتسعت عيون الكل فى ذهول ..

فالملامح ، التى حملتها شاشة الجهاز ، كانت لآخر شخص يمكن أن يتوقَّعه مخلوق ، فى هذا المكان ..

آخر شخص .. على الإطلاق ..

* * *

تحركت (نشوى) بكل الهمة والنشاط ، لجمع أدواتها الخاصة ،وجهاز الكمبيوتر ، الذى طوَّرته بنفسها ، استعدادًا للانتقال إلى مقر الفريق ، فى مبنى المخابرات العلمية ..

مشكلتها الوحيدة كانت فى البحث عمن يتولَّى أمر الصغيرين .. (طارق) و(محمود) ، خلال انشغالها فى التعامل مع لغز أشباح المستقبل هذا .

ولقد احتاج هذا منها لنصف ساعة من الاتصالات ، قبل أن تقبل زميلة لها القيام بالمهمة ، حتى يتمَّ استدعاء مربية محترفة ، فى الصباح التالى ..

وفى توتر ، غمغمت (نشوى) ، وهى تدسَّ كل ما جمعته فى حقيبتها الخاصة :

ـ تُرى أين ذهبت (مشيرة) .. المرء لا يجدها أبدًا ، عندما يحتاج إليها .. كل هواتفها لا تجيب ، حتى هاتفها المحمول الخاص .

زفرت فى عصبية ، وألقت نظرة أخرى على الصغيرين ، اللذين غرقا فى نوم عميق ، قبل أن تلقى نظرة على ساعتها ، مغمغمة :

ـ لماذا تأخَّرت (هناء) أيضًا ؟! لقد أخبرتها أن الأمر عاجل للغاية .

زفرت مرة أخرى ، وراحت تتحرك فى المكان فى توتر ..

ثم رن جرس الباب ، فهتفت فى لهفة :

ـ أخيرًا .

وبكل لهفتها ، حملت حقيبتها ، واندفعت نحو الباب ، مستطردة :

ـ أنا قادمة .

فتحت الباب فى سرعة ،ثم تجمَّدت كل ذرة فى كيانها ، وهى تحدِّق فى وجه ذلك الشاب المألوف ، الذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا .. هل فاجأتك رؤيتى مرة أخرى .

ولم تنبس (نشوى) ببنت شفة ..

فقط اتسعت عيناها عن آخرهما ، ولم تصدِّق ما تراه ، وهى تحدِّق فى وجه الشاب بكل ذهول الدنيا ..

فظهوره الآن ، وفى هذه الظروف بالذات ، كان مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة وقوية ..

بكل المقاييس ..

* * *

« زوارق الطوربيد تنهار .. »

هتف مساعد القبطان بالعبارة ، بصوت منفعل مرتجف ، جعل القبطان يسأله فى توتر بالغ :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟!

أجابه بنفس المشاعر :

ـ الدوَّامة الرهيبة ابتلعت زورقين ، بكل بحارتهما ، والزوارق الأخرى تنهار ، وتنسحب إلى مركزها ، على الرغم من أن محركاتها تعمل بأقصى طاقتها ..

غمغم (رمزى) فى انفعال :

ـ رباه ! دوَّامة الضوء هذه ستبتلع كل شىء ، إن عاجلاً أو آجلاً .

استدار إليه القبطان ، ورمقه بنظرة حادة ، قبل أن يعود ببصره إلى مساعده ، قائلاً فى صرامة آمرة :

ـ فليتعاون بحَارة (فجر) ، لنقل أطقم زوارق الطوربيد إلى سطحنا ، وليتخلَ الكل عن الزوارق نفسها للدوّامة ، وبعدها سندير محركاتنا بأقصى سرعة ، فى محاولة للخروج من هنا .

تحرك المساعد لتنفيذ الأمر ، ولكن القبطان استوقفه ، مضيفًا :

ـ وأرسل إشارة استغاثة إلى القاعدة .. نريد أكبر عدد ممكن من طوافات الإنقاذ .. أسرع باللّه عليك .

انطلق المساعد لتنفيذ الأمر ، فى حين تساءل (رمزى) فى قلق شديد :

ـ هل تعتقد أن هذا سيفلح ؟!

أجابه القبطان فى صرامة متوترة :

ـ نتعشّم هذا .. فما نفعله هو كل ما لدينا .

كانت دوّامة الضوء تزداد سرعة وشدة ، وتتسع أكثر وأكثر ، حتى أضاءت المنطقة كلها بضوء بث الرعب فى القلوب ، وعلى الرغم من هذا ، راح بحارة المدمرة (فجر) يقاتلون فى استماتة ، لإنقاذ أطقم زوارق الطوربيد ، فى حين راحت الدوّامة تبتلع الزوارق نفسها بلا رحمة ..

ومع انتقال آخر بحارة زوارق الطوربيد إلى المدمرة ، هتف مساعد القبطان ، عبر جهاز الاتصال الداخلى :

ـ تم إنقاذ الجميع .

هتف القبطان عندئذ :

ـ المحركات بأقصى سرعة .

لم يكد يطلق هتافه ، حتى خبا الضوء بغتة ، وتوقّفت الدوّامة دفعة واحدة ، وراحت المياه تدور حول (فجر) ، التى غرقت فجأة فى ظلام الليل ..

وبكل ذهول ، غمغمت (سلوى) :

لقد اختفى الضوء .

انعقد حاجبا القبطان فى شدة ، وتطلَّع إلى شاشة جهازها بضع لحظات ، قبل أن يغمغم فى عصبية :

- ما يحدث ليس له معنى .. إنه نوع من العبث ..

واعتدل فى وقفته ، مضيفًا :

- العبث الشيطانى .

ارتفع صوت مساعده ، فى تلك اللحظة ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول فى توتر ، عكس مشاعر الجميع :

- المحركات تعمل ياقبطان ، ولكن الرجال لايفهمون ما يحدث حولهم .

قال القبطان فى صرامة :

- لن ننتظر حتى نفهم .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف بمنتهى الحزم :

- سنعود إلى القاعدة فورًا .

امتقع وجه (سلوى) ، وهى تقول فى ارتياع :

- وماذا عن (نور) و(أكرم) ؟!

صاح القبطان فى صرامة :

إلى القاعدة .

لم تكن صيحته قد اكتملت بعد ، أو بلغت مسامع طاقم التشغيل ، عندما سطع ذلك الضوء بغتة ..

ضوء قوى ، حتى إنه قد تم رصده من كل الدول ، التى تطلّ على البحر الأبيض المتوسِّط بلا استثناء ..

ضوء خاطف سريع ، أشبه بضوء مصباح تصوير ، فى حجم ناطحة سحاب هائلة ..

ضوء سطع لحظة واحدة ، ثم خبا ، وعاد الظلام بعده يطبق على المنطقة كلها ..

ووسط الظلام ، كانت تقف المدمرة (فجر) شامخة قوية ، فى عرض البحر ، وإلى جوارها الغوَّاصة النووية المنتشلة (ب . ن - ١٠٣) ..

ولكن طوافات الإنقاذ ، التى كانت فى طريقها إلى المكان ، بأقصى سرعة ممكنة ، كانت تنتظرها مفاجأة أخرى ..

أقوى مفاجأة ، منذ بدأ هذا الأمر كله ..

أقواها على الإطلاق .



انتهى الجزء الأوّل بحمد اللّه .

ويليه الجزء الثانى بإذن اللّه .

(حرب الأشباح)

الأعماق

- ما سر الحادث الغامض ، الذى أغرق الغواصة النووية ، فى أعماق البحر ؟!
- كيف يواجه الفريق العلمى أشباحا قاتلة ، فى عرض البحر ؟!
- تُرى هل ينجح (نور) وفريقه فى حل اللغز ، أم ينتظرهم المصير نفسه ، فى (الأعماق) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم

(حرب الأشباح)



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

138

الثمن فى مصر ٢٥٠

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

139 حرب الأشباح

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ العـودة ..

انبعث شعاع رفيع من الليزر ، من ثقب دقيق ، أعلى باب حجرة مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، يفحص وجه الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، قبل أن يتركز لحظة عند قزحية عينيه ؛ لفحص بصماتها بدقة ، تبلغ نسبة الخطأ فيها واحد إلى مليار ، قبل أن يقول صوت آلىّ هادئ :

ـ مرحبًا يا دكتور (جلال) .. القائد الأعلى فى انتظارك .

مع نهاية الكلمات المسجَّلة ، انفتح باب حجرة القائد الأعلى فى هدوء ، وجاء من خلفه صوت يقول :

ـ تفضَّل يا دكتور (جلال) .. نحن فى انتظارك .

اتسعت عينا الدكتور (جلال) عن آخرهما ، فى دهشة مبهورة ، وهو يدلف إلى حجرة القائد الأعلى ، هاتفًا :

ـ سيادة الرئيس ؟! يا إلهى ! لم أتوقَّع رؤيتك هنا قط ، بكل المقاييس ، فالقواعد ....

قاطعه رئيس الجمهورية بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى حزم ، حمل قدرًا كبيرًا من التوتر :

ـ أعلم هذا يا دكتور (جلال) .. أعلم أن القواعد تنصّ على انتقال القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ومدير المخابرات العامة ، إلى رياسة الجمهورية وليس العكس ، ولكن الأمر مهم وخطير هذه المرة ، حتى ليستحق كسر كل النظم والقواعد ؛ لضمان السرية ، ومضاعفة فرص النجاح .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه متفهمًا ، وهو يدير بصره بين مدير المخابرات العامة ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ورئيس الجمهورية ، وعقله يسترجع تلك الأحداث الجسام ، التى تطوَّرت بسرعة ، لتجمع أخطر ثلاثة رجال فى الدولة معًا ..

فالأمر كله بدأ بحادثة الغوَّاصة النووية المصرية (ب . ن ـ ١٠٣) ، التى فوجئت بمركبة مجهولة

تتجه نحوها ، بسرعة لم تتحقَّق لأية مركبة أرضية قط ، على عمق ثلاثمائة متر من سطح البحر ، ثم ترتطم بمقدمتها بمنتهى العنف ..

وغاصت الغوَّاصة المصرية المصابة ..

حتى أعماق البحر ..

ورصدت الأقمار الصناعية الجيولوجية ما حدث ..

رصدت الغوَّاصة القابعة ، على عمق ألف ومائتى متر ، تحت سطح البحر ..

وبدأت عملية الإنقاذ ..

المدمرة (فجر) ، مع طاقم من زوارق الطوربيد ، انطلقت فورًا إلى موقع غرق الغوَّاصة (ب . ن ـ ١٠٣) ، ثم لم تلبث طوَّافة عسكرية أن نقلت (نور) وفريقه إلى الموقع ، باستثناء (نشوى) ، التى ذكَّرها ما يحدث بحادثة قديمة ، كان لها أعنف تأثير ، على مسار حياتها بأكمله ..

وهنا ، بدأت سلسلة من الحوادث الغامضة ..

والرهيبة ..

للغاية ..

مركبات مجهولة حاصرت المدمرة (فجر) ، وزوارق الطوربيد ..

مركبة الغوص (شارك) ، اختفت بطاقمها فى الأعماق بطرفة عين ، إثر وميض غامض ، انبعث من الأعماق ..

ثم حان دور الأشباح ..

أشباح غامضة رهيبة ، رصدها الغوّاص الآلى ، فى أعماق البحر ، تعبر جدار الغوّاصة الغارقة ، وكأنها مجرَّد صور هولوجرافية ، وعلى الرغم من هذا ، فأسلحتها تعمل بكفاءه تامة ، وكأنها لأجسام مادية قوية ..

مزيج متناقض عجيب ، بث الخوف فى القلوب ..

كل القلوب ..

وكان على القيادة فى (القاهرة) أن تتخذ قرارًا حاسمًا قويًّا ، إزاء ما يحدث ..

وقرَّر رئيس الجمهورية إرسال مستشاره الأمنى الخاص السيِّد (أمجد صبحى) ، لمتابعة الموقف بنفسه ، على متن المدمرة (فجر) ، التى انقطعت اتصالاتها بالعالم الخارجى بغتة ، دون سبب معروف ..

ولكن حتى (أمجد) نفسه اصطدم بتلك الأشباح ..

شبح غامض ، فاجأه فى منزله ، وهو يعدّ العدة للرحيل ، وأطلق عليه فقاعة أرجوانية عجيبة من سلاحه ، و ...

واختفى السيِّد (أمجد) ..

تمامًا ..

وفى نفس الوقت ، الذى واجه فيه (نور) و(أكرم) المصير نفسه ، فى أعماق البحر ، فى أثناء سعيهما لإنقاذ وانتشال (ب . ن ـ ١٠٣) ، كانت (نشوى) تطرح نظرية جديدة ، يمكنها أن تفسِّر غموض الموقف كله ..

نظرية عجيبة ، تنسب كل ما يحدث لخصوم من المستقبل ..

مستقبلنا ..

وبينما تقاتل لإثبات نظريتها ، اختفت (مشيرة) ، زوجة (أكرم) ، ورئيسة تحرير جريدة أنباء الفيديو المصوَّرة ، مع أحد مصوَّرى جريدتها ، فى حادث غامض رهيب ، ارتبط أيضًا بوميض من الأعماق ..

ثم جاءت تلك الدوَّامة ..

دوَّامة ضوئية رهيبة ، هاجمت المدمرة (فجر) ، وما يحيط بها من زوارق الطوربيد ، وراحت تحطم وتبتلع كل شىء بلا رحمة أو هوادة ..

وفى الوقت نفسه ، كانت المفاجآت تتوالى ..

فريق جديد من المخابرات العلمية ، بقيادة الرائد (هيثم) ، راح يسعى لالتقاط الآثار الحرارية القديمة ، فى المنزل الذى اختفى فيه السيِّد (أمجد) ؛ فى محاولة لتفسير ما حدث ..

وتمت عملية الالتقاط بنجاح ..

وتم رصد ذلك الشبح الغامض ..

وبوساطة برنامج خاص ، بدأ الفريق العلمى فى تحديد ملامح وجه الشبح ، و ...

وكانت مفاجأة ..

مذهلة ..

وفى منزلها ، كانت (نشوى) تجمع احتياجاتها الرئيسية ؛ للانتقال إلى مقر عمل الفريق ، فى إدارة المخابرات العلمية ، لمواصلة العمل على تأكيد نظريتها ، والسعى لإنقاذ أسرتها وزملائها ، عندما فوجئت بزائر يدق باب منزلها ، فى هذا الوقت المتأخر ..

زائر لم يكد بصرها يقع عليه ، حتى انتفضت كل ذرة فى كيانها بذهول لا محدود ..

فقد كان هذا هو آخر شخص يمكن أن تتوقَّع ، أو حتى تتخيَّل رؤيته ، فى تلك اللحظات بالذات ..

آخر شخص على الإطلاق ..

أما تلك الطوافات ، التى انطلقت لإنقاذ المدمرة (فجر) ، إثر الاستغاثة التى أرسلتها ، فقد كانت فى انتظارها مفاجأة جديدة ..

أعنف المفاجآت ..

وأقواها(*) ..

« ما تقييمك لنظرية السيِّدة (نشوى) يا دكتور (جلال) ؟! »

ألقى الرئيس سؤاله ، فى اهتمام بالغ ، مشوب بلمحة عصبية ، على نحو انتزع الدكتور (جلال) من ذكرياته وجعله يشدّ قامته ، فى وقفة معتدلة ، فى حين غمغم مدير المخابرات العامة فى شىء من الضيق :

ـ نظرية سخيفة .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل .. (الأعماق) .. المغامرة رقم (١٣٨) .

انعقد حاجبا القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى توتر ، فى حين التفت الرئيس إلى مدير المخابرات بنظرة صارمة غاضبة ، فاستطرد فى حدة :

ـ لايوجد دليل واحد يؤيِّدها ، وفى عالمنا ، نحتاج إلى مايؤيِّد أى استنتاج حاسم ، يمكن أن يغيِّر مسار الأحداث كلها .

تطلّع إليه الرئيس لحظة فى صرامة ، قبل أن يقول :

ـ لهذا كانت المخابرات العلمية ضرورة .

مطّ مدير المخابرات شفتيه ، والتقى حاجباه فى غضب ، فى حين التفت الرئيس إلى الدكتور (جلال) ، مكرِّرًا :

ـ ما تقييمك لها يا دكتور (جلال) ؟!

تنحنح الدكتور (جلال) وعدّل منظاره فوق أنفه ، قائلاً :

ـ الواقع أن نظريتها هذه صدمتنا جميعًا .

غمغم مدير المخابرات :

ـ أمر طبيعى .

مرة أخرى ، رمقه الرئيس بتلك النظرة الصارمة ، ثم عاد ببصره إلى الدكتور (جلال) ، الذى تابع :

ـ إلا أننا ، وبعد دراسة عميقة لها ، وجدنا أنها إحدى نظريتين يمكنهما تفسير الموقف كله ، على الرغم من غرابتهما .

سأله الرئيس فى اهتمام :

ـ وما النظرية الثانية ؟!

أشار الدكتور (جلال) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ العوالم الموازية .

هتف مدير المخابرات ، فى دهشة مستنكرة :

ـ ماذا ؟!

تابع الدكتور (جلال) ، وكأنه لم يسمع تعليقه :

ـ إنها نظرية قديمة ، تحدَّث عنها وأيَّدها العديد من العلماء ، قبل حتى أن تأتى نظرية النسبية ، لـ (ألبرت أينشتين) ، وتؤيد احتمالها ، بمعادلات رياضية دقيقة .. بل وهناك بعض الأحاديث الدينية ، التى تشير إلى وجود عوالم كعالمنا ، بها أناس مثلنا(*) ..

بدا الاهتمام على وجه مدير المخابرات ، وهو يتساءل :

ـ حقًّا ؟!

تابع الدكتور (جلال) ، حتى لا يفقد انتباهه :

ـ والنظريات المتطورة ، حول العوالم الموازية ، تشير إلى احتمال اختلاف التوقيت ، بين هذه العوالم ، بحيث يكون فى أحدها متقدمًا ، وفى الآخر متأخرًا ، وهكذا .. بمعنى أدق ، ليس بالضرورة أن تسير الأحداث على نفس التوقيت ، فى كل العوالم المتوازية .

(★) حقيقة .

سأله الرئيس فى اهتمام :

- هل تعنى أن خصومنا قد أتوا من عالم آخر مواز ، يعتبر فى توقيته أشبه بمستقبلنا ؟!

هزَّ الدكتور (جلال) كتفيه ، قائلاً :

- هذه نظرية أخرى ، مقبولة علميًا .

تساءل القائد الأعلى للمخابرات العلمية :

- السؤال هنا هو : لماذا ؟! لماذا يسعى عالم مواز لنا للسيطرة علينا ؟!

أجابه مدير المخابرات العامة فى حزم :

- خبرتى علمتنى أن هناك دائمًا قومًا ، يرون أنهم ماداموا أقوى من الآخرين ، فمن الطبيعى أن يسعوا للسيطرة عليهم ، دون وجود أية مبررات منطقية لهذا .

غمغم الرئيس :

- هذا صحيح ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى توتر :

- ولكن كل ما لدينا مجرَّد نظريات ، لم تنجح إحداها فى حل المشكلة ، أو فى إعادة أحد المختفين .

أجابه الدكتور (جلال) فى سرعة :

- الحل يأتى بعد فهم المشكلة يا سيادة الرئيس .

لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً فى مرارة :

- ولكن الأمر يزداد تعقيدًا فى كل لحظة ، وها هى ذى المدمرة (فجر) ترسل إشارة استغاثة ، وتطالب بإرسال سرب من طوَّافات الإنقاذ إليها ، وهذا يعنى أنها لم تعد قادرة على السيطرة على الموقف .

قال القائد الأعلى فى حزم :

- هذا صحيح يا سيادة الرئيس ، ولقد رصد القمر الصناعى الجيولوجى دوَّامة ضوئية وبحرية رهيبة ، تأتى من مصدر مجهول ، فى أعماق البحر ، وتبتلع زوارق الطوربيد بلا رحمة ، ثم رصد توقفها المفاجئ ، قبل أن يسطع الضوء فجأة ، وينتهى كل شىء .

سأله الرئيس فى توتر :

ـ ماذا تعنى بعبارة (ينتهى كل شىء) هذه ؟!

أشار القائد الأعلى بيده ، مجيبًا :

ـ الدوَّامة توقَّفت ، والقمر الصناعى الجيولوجى سجَّل حالة هدوء تام ، فى أعماق البحر .

سأله الرئيس :

ـ وماذا عن المدمرة (فجر) ، والغوَّاصة (ب . ن ـ ١٠٣) ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه ، قائلاً :

ـ لقد انقطعت الاتصالات مرة أخرى ، عقب ذلك الضوء الساطع القوى ، ولكن الطوَّافات ستبلغها بعد قليل ، أو أنها قد بلغتها بالفعل ، و ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز جهاز التقارير العاجلة ، وبرزت منه ورقة مطبوعة ، التفت إليها القائد الأعلى فى سرعة ، وهو يقول :

ـ لقد وصلت ، وها هو ذا تقريرها المبدئى .

انتظر حتى انتهى خروج الورقة ، فالتقطها بحركة سريعة ، وطالعها بنظرة واحدة ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، فى ذهول مذعور ، انتقل إلى كل الحاضرين ، والرئيس يهتف به :

ـ ماذا هناك يا رجل باللَّه عليك ؟!

رفع إليه القائد الأعلى عينين ، ما زالتا تحملان كل الذهول والذعر ، وارتبكت الكلمات على شفتيه لحظة ، قبل أن يقول بصوت شاحب مبحوح :

ـ أمر لايُصدَّق .

وكان على حق تمامًا ، فى كل حرف من عبارته ، فما حمله التقرير الأوَّلى لطوافات الإنقاذ ، كان أمرًا لا يمكن تصديقه ..

على كل المستويات ..

* * *

لم تصدّق (نشوى) نفسها ، وهى تحدّق فى وجه ذلك الشاب الهادئ الباسم ، الذى وقف يتطلّع إليها بوسامته الأنيقة ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ ألن تدعينى للدخول ؟!

هتفت ، ولم يفارقها ذهولها بعد :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن تكون هنا !!

أزاحها برفق ، وهو يدلف إلى منزلها ، ويُغلق بابه خلفه ، قائلاً :

ـ ولماذا ؟! لقد كنت هنا من قبل .

تابعته ببصرها ، وهو يقف فى منتصف الصالة ، ويقول :

ـ ماذا ؟! إننى لست شبحًا ، لتحدّقى فى وجهى بكل هذا الذعر .

هزّت رأسها فى قوة ، لتنفض عنها ذهولها ، قبل أن تهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل يا (طارق) ! لا يمكنك أن تتواجد مرتين فى زمن واحد !!

جاء دوره ليحدّق فيها ، متسائلاً فى دهشة :

ـ مرتين ؟! ماذا تعنين ؟!

اندفعت بكيانها كله نحو (طارق) فارس الزمن ، الذى أتى يومًا من المستقبل ، لينضمَ إلى فريق (نور)(*) ، وجذبته من يده ، هاتفة :

ـ تعال ..

تبعها إلى حجرة نوم صغيرة ، وأشارت هى إلى طفل يرقد نائمًا فى وداعة ، وهى تقول فى عصبية :

ـ دعنى أقدّم لك (طارق) .. أخى الصغير .. ابن المقدّم (نور الدين) ، والمهندسة (سلوى) .

ابتسم فى حنان وسعادة ، وهو يهتف :

ـ حقًّا ؟!

(★) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) ..

حدَّقت فى وجهه مرة أخرى ، قبل أن تقول فى عصبية شديدة :

ـ ألا يدهشك هذا ؟!

استدار إليها فى هدوء ، متسائلاً :

ـ ولماذا يدهشنى ؟!

هتفت فى حدة :

ـ لأنك هنا وهناك ، فى آن واحد .

ارتفع حاجباه ، وهو يكرِّر :

ـ هنا وهناك ؟!

ثم تألَّقت فى عينيه ضحكة كبيرة ، وهو يقول :

ـ آه .. هل كنت تتصوَّرين أننى هذا الصغير ؟!

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـ ألست هو ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ كلَّا بالطبع .. لو أننى هو لاستحال تواجدنا معًا ، فى زمن واحد ؛ لأن الروح واحدة ، ولايمكن أن تتكرَّر ، إلا بأمر الخالق عزَّ وجلَّ .

غمغمت فى ذهول :

ـ رباه ! ولكننا كنا نظن جميعًا أن ..

قاطعها بإشارة حازمة من يده :

ـ تظنون .. مجرَّد ظن .. دليل غير علمى أو عملى ، بنيتم عليه كل مشاعركم وأحاسيسكم .

هتفت :

ـ ولكننى رأيت انفعال الآخرين ، عند مولد (طارق) الصغير ، و ...

قاطعها مرة أخرى فى حزم :

ـ لقد أخطئوا قراءة البصمة الجينية ومقارنتها ؛ أو أنهم لم يحاولوا دراستها من منظور آخر .

حدَّقت فى وجهه ، وهتفت ، وهى تشير إلى (طارق) الصغير :

- إذن ، فأنت لست هو !!

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

- كلاً .. لست هو .

وصمت لحظة ، التقط خلالها نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى شىء من الانفعال والتوتر :

- القائد (نور) ليس أبى .

هتفت بانفعال جارف :

- مستحيل ! البصمة الجينية أكَّدت ..

قاطعها فى عصبية :

- إنه ليس أبى .

ثم التقى حاجباه ، على نحو جعله شديد الشبه بـ (نور) ، وهو يتابع فى صرامة :

- ثم إننى لم أجازف باختراق عكسى لحاجز الزمن ، لمناقشة هذا الأمر .

سألته فى توتر :

- لماذا عدت إذن ؟!

شدّ قامته ، وهو يجيب فى حزم :

- لم يكن بالقرار السهل أو الهيّن .. لقد ترددت مرتين قبل أن أقترح القيام بهذه المهمة ، ولقد وافق القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى زمنى ، على قيامى بهذه المهمة ؛ نظرًا لأهمية الأمر وخطورته .

سألته ، وقد تسلّل إليها شىء من الحذر :

- أى أمر ؟!

تطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يجيب :

- حادثة الغوّاصة (ب . ن - ١٠٣) .

اتسعت عيناها ، وتلاحقت أنفاسها فى انفعال ، وهى تهتف :

- إذن فقد كنت على حق .. إنهم من المستقبل .

بدا صوته مفعمًا بالاحترام ، وهو يقول :

ـ كنت دائمًا على حق .

أمسكت ذراعه فى انفعال ، وهى تقول :

ـ إنهم من المستقبل .. من زمنك يا (طارق) .. أليس كذلك ؟!

ربَّت على كتفها ، محاولاً تهدئتها ، وهو يجيب :

ـ كلَّا .. إنهم من زمن يعقب زمنى بخمسة أعوام فحسب ، ولكنك تعرفين عجلة التطوُّر المتسارعة ، التى تدفع بالعلم عشرات الخطوات إلى الأمام ، فى كل دورة تدورها .

سألته فى لهفة :

ـ ومن هم ؟!

بدا عليه مزيج من الغضب والمقت ، وهو يجيب :

ـ مجموعة من حثالة البشر .. بقايا منظمات صهيونية حقيرة ، تجمَّعت واجتمعت على الشر ، وتسعى

للسيطرة على العالم والتاريخ ، عن طريق تكنولوجيا المستقبل المتطوِّرة ، بعد أن توَصلوا إلى سر الانتقال عبر الزمن ، من خلال عميل خائن ، فى صفوف القيادات العليا المستقبلية .

تساءلت فى دهشة :

ـ ولماذا زمننا هذا ؟! لماذا لم يحاولوا العودة إلى قرن مضى ؛ للسيطرة على عالم لم يعرف التكنولوجيا الحديثة بعد ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لم يكن هذا فى استطاعتهم .. لقد حصلوا على جزء يسير من تكنولوجيا السفر عبر الزمن ، لا يتيح لهم الانتقال لمسافات بعيدة ، ولقد حاولوا تطويره ، ولكن النتائج جاءت أشبه بالكارثة ، عندما اصطدموا بالغوَّاصة الروسية (كورسيك) ، وحاولوا السيطرة عليها ، ولكن أجسادهم تحلَّلت فجأة ، قبل أن تتم لهم السيطرة الكاملة ؛ لأن تكنولوجيتهم لم تحقَّق لهم التوازن الخلوى الكافى ، للسفر عبر الزمن ، لكل هذه المسافة .

تساءلت فى لهفة :

ـ هل تعنى أن زمننا هو أبعد مسافة ، يمكنهم الانتقال إليها ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ ليس أبعد مسافة ، ولكنها مسافة مناسبة ، تتيح لهم سهولة الانتقال ، والتوازن الخلوى الكافى ، وفرصة التعديل فى النتائج أيضًا .

التقى حاجباها ، وهى تسأله فى حذر :

ـ ما المقصود بالتعديل فى النتائج ؟!

ابتسم ابتسامة حملت الكثير من المرارة ، وهو يجيب :

ـ شىء أشبه بإعادة عرض فيلم ما ، مع إمكانية تعديل تتابع الأحداث ، للوصول إلى نتائج أفضل .

سألته فى حذر أكثر :

ـ بمعنى ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وأجاب :

ـ بمعنى أنهم يعودون إلى زمن ما ، وينفذون خطة السيطرة عليه ، فإذا ما واجهتهم عقبة ما ، ينهون المهمة ، ثم يعودون إلى الزمن نفسه مرة أخرى ويسعون لتذليل العقبة ، قبل تنفيذ خطتهم للمرة الثانية ، وهكذا حتى تتم لهم السيطرة الكاملة .

اتسعت عيناها ، وهى تهتف :

ـ يا للعبث !

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً فى مرارة :

ـ عبث شيطانى حقير ، ولكنه يحقِّق أهدافهم ، التى تخالف كل القوانين ، الخاصة بالسفر عبر الزمن .. تذليل العقبات ..

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع فى مقت :

ـ هذا ما جعلهم يختطفون السيِّد (أمجد) ، والمقدَّم (نور) ، و(أكرم) ، فكلهم كان لهم تأثير قوى فى مجرى الأحداث ، فى المحاولات الأولى ، و ...

قاطعته فى حدة ، متسائلة :

ـ مهلاً .. ماذا تعنى بالمحاولات الأولى ؟!

مرة أخرى تطلَّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ إنه أمر واضح يا سيِّدة (نشوى) .. فربما كانت هذه الأحداث ما تواجهونه أنتم للمرة الأولى ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لهم .

امتقع وجهها ، وهى تكرِّر :

ـ ماذا تعنى يا (طارق) ؟!

شدَّ قامته ، وأجابها فى حزم :

ـ أعنى أنها ، بالنسبة لهم ، ثالث مرة يقومون فيها بالعمل نفسه ، ففى المرة الأولى ، هزمهم المقدَّم (نور) وفريقه ، فعادوا للمرة الثانية ، وكان لتدُّخل السيِّد (أمجد) الفضل فى هزيمتهم ، وسحق خطتهم كلها ، لذا ، فقد عادوا للمرة الثالثة ؛ لتصفية كل من أفسد محاولاتهم السابقة ، قبل السيطرة الكاملة على الموقف .

دار رأسها ، وهى تحدِّق فى وجهه ، وعقلها يجاهد لاستيعاب ما شرحه لها فورا هذه اللحظة ..

ولكنه أمر عسير ..

عسير للغاية !!

فليس من السهل أبدًا ، حتى بالنسبة لعقل علمى كعقلها ، أن يستوعب أمرًا خارقًا كهذا ، يفوق كل عقل وإدراك ..

ليس من السهل أبدًا أن تتخيَّل أو تتصوَّر ، أن ما يحدث الآن ، قد حدث مرتين سابقتين ، بالنسبة لقراصنة الزمن هؤلاء ، وأنهم يكرِّرونه للمرة الثالثة ؟ لتفادى أخطاء وعقبات المرتين السابقتين ..

وبارتياع عجيب ، حدَّقت فى وجه (طارق) ، دون أن تنبس ببنت شفة ..

فلو صح ما استوعبته من حديثه ، فهذا يعنى أنه من الممكن أن تكون هناك مرة رابعة ..

وخامسة ..

وسادسة ..

أو بمعنى أدق ، أن عالمها يواجه خصومًا ، يمتلكون مزية العودة للبداية ، وتصحيح الأخطاء ، وتجاوز العقبات ، لعدد لا محدود من المرات ..

وهذا يعنى أنه لا أمل فى الانتصار عليهم أبدًا ..

لا أمل ..

على الإطلاق .

* * *



٢ ـ الحاجز..

« من طوّافات الإنقاذ إلى القاعدة .. بلغنا موضع المدمرة (فجر) ، ويمكننا رصدها فى وضوح ، وننتظر الإذن بالهبوط .. »

لم تكد القاعدة البحرية تتلقّى ذلك النداء ، من سرب طوّافات الإنقاذ ، حتى ضغط قائد القاعدة زر جهاز الاتصال ، وقال فى حزم :

ـ من القاعدة إلى طوّافات الإنقاذ .. كل الاتصالات بالمدمرة (فجر) مقطوعة لسبب مجهول .. حاولوا الحصول على إذن بصرى بالهبوط على سطحها .

أتاه صوت قائد سرب الطوّافات ، يقول :

ـ لا يمكننا رصد أية حركة على السطح ، ولا أثر لأى من بحارتها أو ضباطها .. كل الأضواء مطفأة .

انعقد حاجبا قائد القاعدة البحرية ، وهو يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- فلتهبط الطوَّافات إذن ، على ثلاث دفعات تصاعدية .. ابدأ بطوَّافتين فحسب .

أتاه صوت قائد السرب ، يقول فى حزم :

- عُلِم ويُنَفَّذ .

قالها قائد سرب الطوَّافات ، وهو يرسل إشارة إلى اثنتين من طوَّافاته ، فانفصلتا عن السرب ، وانخفضتا نحو سطح المدمرة الخالى المظلم ، وقائد إحداهما يقول ، عبر جهاز الاتصال :

- كل شىء يبدو ساكنًا على السطح .. إننا نقترب بحذر .

أجابه قائد السرب فى حزم :

- اهبطا على السطح ، وتفقَّدا الموقف هناك .. سننتظر إشارتكما للهبوط .

اقتربت الطوَّافتان من سطح المدمرة أكثر وأكثر ، وقائد إحداهما يقول فى قلق ، عبر جهاز الاتصال :

- ثلاثة أمتار ونبلغ السطح .. كل شىء هنا عجيب .. هناك انعكاسات غير مألوفة ، على كل شىء .

أجابه قائد السرب :

- واصلا الهبوط .

انخفضت الطوَّافات أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبلغتا السطح ..

ثم تجاوزتاه بغتة ..

وفى ذهول مذعور ، هتف قائد إحدى الطوَّافتين ، وهو يغوص بطوَّافته ، فى جسم المدمرة ، كما لو أنه لا وجود لها :

- رباه ! ما هذا بالضبط ؟! إنها ليست المدمرة (فجر) .. إنها صورة هولوجرامية سخيفة ، و ...



قالها ، وهو يغادر الطوّافة ، ويضرب ذراعيه فى الماء من حوله ، غير مصدّق لما حدث ، ولما أصاب طوّافته ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتطمت قاعدة طوّافته بسطح البحر ، واختلّ توازنها بغتة ، ومالت مروحتها على نحو مخيف ، فصاح قائد السرب :

ـ إلى أعلى .. ارتفعا فورًا .. إنها خدعة .. ارتفعا فورًا .

استجاب قائد الطوّافة الثانية فى سرعة ، وجذب عصا القيادة نحوه ، فارتفعت طوّافته ، قبل أن تغوص فى الهيكل الشبحى للمدمرة ، فى حين ارتطمت مروحة الطوّافة الأولى بالمياه ، وتحطمت فى عنف ، قبل أن تغوص الطوّافة نفسها فى البحر ، وقائدها يصرخ :

ـ يا إلهى ! ماذا يحدث ؟! ماذا يحدث ؟!

قالها ، وهو يغادر الطوّافة ، ويضرب ذراعيه فى الماء من حوله ، غير مصدّق لما حدث ، ولما أصاب طوّافته ..

أما قائده ، فقد دار بطوّافته حول المدمرة ، وهو يقول فى عصبية ، عبر جهاز الاتصال :

ـ أمر مذهل .. المدمرة كاملة أمامى ، بكل تفاصيلها ،

ولكنها تحوّلت إلى شبح ، وفقدت قوامها المـادى تمامًا .. لست أفهم كيف حدث هذا ، ولكنـه حدث .. تلك الانعكاسات ، التى رصدناها على سطحها ، كانت فى الواقع تموجات البحر من تحتها ، كما نراها عبر جسمها نصف الشفاف .

أتاه صوت قائد القاعدة البحرية ، يسأله فى انزعاج مشوب بدهشة عارمة :

ـ نصف شفاف ؟! يا إلهى ! وماذا عن الغوّاصة ؟!

دار قائد السرب بطوّافته دورة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ الغوّاصة على سطح الماء .. جسمها يعكس أضواء مصابيح الطوّافة على نحـو عـادى ، يشير إلـى أنها طبيعية تمامًا ، و ...

بتر عبارتـه بغتـة بشـهقة مكتومـة ، جعلت قـائد القاعدة البحرية يهتف به :

ـ ماذا حدث يا رجل ؟! ماذا حدث ؟!

أجابه قائد السرب ، فى توتر شديد :

ـ الغوّاصة مربوطة بسلسلة معدنية قوية ، إلـى جسم المدمرة ، ونصف هذه السلسلة ، المتصل بالغوّاصـة ، مازال يحتفظ بقوامـه المـادى ، فى حين أن النصف المتصل بالمدمرة ، يشاركها حالتها الشبحية العجيبة !! رباه ! لست أدرى كيف هذا !! لست أدرى !!

كان صوته يحمل قدرًا هائلاً من الدهشـة والانزعـاج ، اللذين انتقلا فورًا إلى قائد القاعدة البحرية ، الذى التقى حاجباه بكل توتر الدنيا ، وهو يغمغم :

ـ لا أحد يدرى كيف !!

فالموقف كله كان غامضًا ومثيرًا ورهيبًا .. إلى أبعد الحدود ..

بحق ..

* * *

اجتمع الرجال الأربعة ، رئيس الجمهوريـة ، والقـائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ومدير المخابرات العـامة ،

والدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث العلمية ، حول مائدة اجتماعات خاصة ، فى نفس الطابق ، الذى يضمّ حجرة مكتب القائد الأعلى ، فى مبنى المخابرات العلمية ، يراجعون ذلك التقرير ، الذى أرسله قائد سرب الطوّافات ، والمدعّم بتقرير قائد القاعدة البحرية ، حول ما أصاب المدمرة (فجر) ، وحول اختفاء طاقمها ، وكل من على سطحها تمامًا ..

وفى توتر شديد ، قال مدير المخابرات :

- ما يحدث أمر يتجاوز حدود العقل ، حتى ليبدو لى أن خبرتى لن تفيد فى هذا المضمار .

أجابه رئيس الجمهورية فى حزم :

- دعنا لا نسبق الأحداث ؛ فنحن نواجه خصومًا نجهلهم ، ومن الخطأ الوصول إلى أية استنتاجات ، قبل حسم هذه النقطة بالذات .

قال الدكتور (جلال) :

- الحالة الشبحية ، التى أصابت المدمرة (فجر) ،

مع اختفاء طاقمها بأكمله ، يمكن أن تدعم النظريتين معًا .

تساءل القائد الأعلى فى اهتمام :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

مال الدكتور (جلال) إلى الأمام ، وقال :

- لو أن خصومنا قد أتوا من المستقبل ، فقد استخدموا وسيلة متطوّرة ، تضع أجسادهم ، وكل الأجسام التى تتعرّض لها ، فى حالة غير مستقرة بين زمننا وزمنهم ، مما يجعلهم فى هذه الحالة الشبحية العجيبة .. أما لو كانوا من عالم مواز ، فأجسادهم ، وجسم المدمرة ، فى حالة تتأرجح بين العالمين ، وهذا يعطينا النتيجة نفسها .

قال مدير المخابرات فى عصبية :

- فى الحالتين ليست لدينا وسيلة لمقاومة الأمر ..

تراجع الدكتور (جلال) فى مقعده ، قائلاً فى حزم :

- ومهمتنا أن نبحث عن هذه الوسيلة .

قال الرئيس فى صرامة :

- وفى الوقت المناسب .. وهذا هو الأهم .

ارتفع أزيز آخر ، من جهاز التقارير ، فأشار القائد الأعلى بيده ، قائلاً :

- إنه تقرير فريق الرائد (هيثم) ، حول حادثة الاختفاء الغامض للسيِّد (أمجد صبحى) .

اعتدل رئيس الجمهورية ، وهو يمدّ يده إليه ، قائلاً فى حزم متوتر :

- أعطنى إياه .. أريد أن أكون أوَّل من يطالعه .

التقط القائد الأعلى التقرير ، وناوله للرئيس ، الذى التقى حاجباه ، وهو يطالعه فى اهتمام بالغ ..

كان تقريرًا دقيقًا ، حول كل الإجراءات ، التى قام بها فريق الرائد (هيثم) ، لبحث الأمر ، وخطواتها المتتالية ..

وفى توتر ، قال الرئيس :

- إنه شبح آخر .

هتف مدير المخابرات :

- شبح آخر ؟! هل هاجمه شبح أيضًا .. يا إلهى !!

ثم تراجع فى مقعده ، ولوَّح بيده ، مستطردًا فى عصبيةً :

- هذا يعنى أن تلك الأشباح قد تجاوزت حدود البحر ، وبدأت تنتشر فى كل مكان .

لاحظ ، وهو ينطق عبارته ، أن الرئيس قد انتفض على مقعده ، فسأله فى قلق شديد :

- ماذا هناك يا سيادة الرئيس ؟!

هتف الرئيس فى عصبية ، دون أن يرفع عينيه عن التقرير :

- خطأ .. هناك خطأ حتمًا ، فى هذا التقرير .

ثم رفع عينيه إليهم ، مستطردًا :

- خطأ فادح .

بدا التوتر على وجه الدكتور (جلال) ، وأطلّ تساؤل

قلق من عينى القائد الأعلى ، فى حين تساءل مدير المخابرات :

- أى خطأ هذا ؟!

ألقى الرئيس التقرير نحو القائد الأعلى ، هاتفًا فى عصبية غاضبة :

- من المستحيل أن تكون هذه هى ملامح ذلك الشبح !

التقط القائد الأعلى التقرير ، ومال الرجلان الآخران نحوه ، ليلقيا عليه معه نظرة فاحصة ..

ولم تكد عيون ثلاثتهم تقع على الصورة الصغيرة ، فى نهاية التقرير ، حتى اتسعت عن آخرها فى ذهول ..

فالصورة التقديرية ، التى صنعها الكمبيوتر ، لملامح ذلك الشبح الغامض المجهول ، كانت تحمل ملامح مألوفة للغاية ..

ملامح آخر شخص يمكن تصوّره ، فى هذه الحالة ..

(أمجد) ..

السيِّد (أمجد صبحى) ..

نفسه ..

ولثوان ، حدَّق الكل فى تلك الصورة ، قبل أن يضغط القائد الأعلى أزرار جهاز الاتصال الداخلى الخاص ، ويقول فى عصبية :

- صلنى بالرائد (هيثم) فورًا .

أما الدكتور (جلال) ، فقال فى توتر :

- ربما رصدوا ملامح السيِّد (أمجد) ، بدلاً من ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فاكتفى بهز رأسه ، قائلاً :

- ربما ..

ظهر وجه الرائد (هيثم) فى تلك اللحظة ، على شاشة جهاز الاتصال ، فقال القائد الأعلى فى توتر :

- يبدو أنه هناك خطأ ما فى تقريركم ، أيها الرائد (هيثم) .

تنهَّد الرائد (هيثم) ، مجيبًا :

ـ لا توجد أية أخطاء يا سيِّدى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ذلك الوجه ، الذى رصدتموه ، باعتباره وجه الشبح المهاجم ، هو فى الواقع ....

قاطعه الرائد (هيثم) فى توتر :

ـ إنه وجه الشبح يا سيِّدى .

ثم انتبه إلى مجافاة مقاطعته لكل القواعد ، فارتبك ، وهو يتابع :

ـ معذرة يا سيادة القائد الأعلى .. لقد أربكنا الأمر نحن أيضًا ، وتصوَّرنا أننا قد وقعنا فى خطأ ما ، فأعدنا الرصد ثلاث مرات متتالية ، وتوخينا منتهى الدقة ، وقمنا برصد وجه السيِّد (أمجد) أيضًا ، ولكننا حصلنا على النتيجة نفسها ، بالنسبة للشبح .

تبادل الرجال الأربعة نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم الرئيس فى شحوب :

ـ مستحيل !

تنهَّد الرائد (هيثم) مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ الملامح ليست متطابقة تمامًا ، كما أكَّد الكمبيوتر ، ولكن التشابه كبير إلى درجة مدهشة ، مما جعلنا نراجع ملف السيِّد (أمجد) ، وخاصة بعدما راجعنا تلك الكلمات القليلة للغاية ، التى تبادلها مع الشبح ، والتى أوحت لنا بمعرفته إياه ، و ...

توقف بغتة ، وبدا عليه التردُّد والتوتر ، فقال القائد الأعلى يستحثه :

ـ وماذا يا رجل ؟!

تردَّد الرائد (هيثم) لحظة أخرى ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ ولكن النتيجة الوحيدة ، التى حصلنا عليها ، لم تكن مقنعة تمامًا .

سأله الدكتور (جلال) هذه المرة :

ـ وما هى ؟!

التقط الرائد (هيثم) نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن يجيب فى حزم :

- إن هـذا الشبح ينتمى إلى الشخص الوحيد من نسله .

وصمت لحظـة ، انتبهت خلالهـا آذان وعقـول الجميع ، قبل أن يضيف هو :

- ابنه .

وكان الجواب مفاجئًا ..

بحق ..

★ ★ ★

« ما الذى يمكن أن نفعله بالضبط ؟! »

ألقت (نشـوى) سؤالها فى توتر شديد ، وهى تتطلع إلى (طارق) ، الذى انعقد حاجباه ، وهو يقول فى حزم :

- وفقًا لما لدى ، لم يعد متبقيًا سوانا .. أنت وأنا .

هتفت مذعورة :

- رباه ! وماذا عن الباقين ؟! ماذا عن أبى ، وأمى ، وزوجى ، و(أكرم) ؟!

تنهَّد فى عمق ، قائلاً :

- الجميع أسرى لهؤلاء الأوغاد الآن .

سألته فى ارتياع :

- أسرى أم ..

قاطعها فى حزم :

- أسرى ياسيِّدة (نشـوى) .. إنهـم لايقتلـون أسراهم قبل أن يحسموا أمرهم ، ويربحون معـاركهم تمامًا ؛ حتى يمكنهم استغلالهم كوسيلة للضغط ، إذا ما احتاجوا إلى هذا .

أمسكت يده فى قوة ، قائلة :

- لا بد أن نحرِّرهم جميعًا يا (طارق) .. لابد .

هزَّ رأسه ، قائلاً فى أسف :

- المشكلة أننى لا أعلم أين هم .

ولوَّح بذراعه ، مستطردًا فى مرارة متوترة :

- لا أحد يعلم ، أين يحتفظون بأسراهم .

قالت فى توتر شديد :

- ولكن هؤلاء الأربعة بالذات ، يمثلون ضغطًا فعليًّا علينا ، ووجودهم فى قبضة هؤلاء الأشرار يُضعف من قدرتنا على القتال بالتأكيد .

صمت لحظة ، قبل أن يقول فى توتر :

- الأمر لا يقتصر على أربعتهم يا (نشوى) .

هتفت :

- أعلم أنه هناك عشرات من بحارة الغوَّاصة ، والمدمرة ، و ...

تابع ، وكأنها لم تقاطعه :

- لقد أسروا (مشيرة) أيضًا .

حدَّقت فيه بذعر هاتفة :

- يا إلهى (مشيرة) ؟!

تابع :

- والسيِّد (أمجد صبحى) أيضًا .

شهقت فى ارتياع ، فشرد ببصره ، مغمغمًا :

- وأظنهم سسيتمادون أكثر ، فى هذه المرة .

امتقع وجهها ، وهى تسأله فى هلع :

- إلى أى مدى ؟!

صمت بضع لحظات فى شرود ، قبل أن يهز رأسه فى بطء ، مغمغمًا :

- اللَّه (سبحانه وتعالى) وحده أعلم .

امتقع وجهها أكثر ، وهى تهتف :

يا إلهى ! يا إلهى ! لا بد أن نفعل شيئًا يا (طارق) .. لابد أن نفعل شيئًا .

تنهَّد ، وابتسم محاولاً تهدئة انفعالها ، وهو يقول :

- أنا هنا لهذا السبب بالتحديد .

قالت فى انفعال :

- لقد أتيت بآلة زمن .. أليس كذلك ؟!

ابتسم أكثر ، مجيبًا :

- وكيف يمكننى العودة بدونها ؟!

هتفت :

- عظيم .. دعنا نعد إذن إلى تلك اللحظات ، التى تسبق وصولهم ، و ...

قاطعها فى أسف :

- لا يمكننا هذا .

هتفت فى عصبية :

- ولماذا ؟! إننا نستطيع بهذا منع الأمر منذ بدايته .

تنهَّد مرة أخرى، قبل أن يقول :

- هذا أوَّل ما جال بخاطرى ، عندما بدأت هذه المهمة ، وأوَّل ما حاولت تنفيذه ، عندما انطلقت بآلة الزمن الجديدة ، ولكننى فوجئت بأن هذا أوَّل ما جال بذهن خصومنا أيضًا ؛ لذا فقد استخدموا تكنولوجيتهم ، لمنع حدوث هذا .

سألته بصوت شاحب مبحوح :

- وكيف يمكنهم هذا ؟!

أجابها فى مرارة :

- بتعكير مجرى الزمن .

هتفت :

- ماذا ؟!

تنهَّد مرة أخرى ، وهو يقول :

- إنه أمر أشبه بما يحدث لسطح من الماء الهادئ ، عندما تلقين فيه بحصاة ، فتصنع حول نقطة سقوطها مجموعة من الدوائر المتموِّجة ، التى تتسع على

نحو مطرد ، من مركز تكوّنها .. هذا نفس ما فعلوه بمجرى الزمن .. استخدموا موجة خاصة ، لم تُعرف فى زمنكم بعد ، أطلقوها من منطقة وصولهم ، بحيث أحدثت تلك التموجات فى مجرى الزمن ، على نحو جعل الوصول إلى ما قبل نقطة هبوطهم أمرًا مستحيلاً .. بل وحتّى الوصول إلى هنا ، كان مغامرة عنيفة ، غير مأمونة العواقب ، حتى إننى قد قمت بثلاث محاولات فاشلة ، قبل أن أنجح فى الوصول بمعجزة ، إلى هذه النقطة .

وصمت لحظة ، قبل أن يتابع فى مرارة :

ـ وأخشى ، لو قمت بمحاولة أخرى ؛ للاقتراب أكثر من نقطة وصولهم ، أن أضلّ طريقى فى مجرى الزمن ، وتضيع الفرصة الأخيرة ، لإنقاذ العالم من هذا الغزو الزمنى الرهيب .

بدا عليها الانهيار ، وهى تقول :

ـ ماذا سنفعل إذن ؟!

أمسك كتفيها فجأة ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :

ـ سنفكّر معًا .. زمنى كله يعرف عبقريتك النادرة ، وذكاؤك الخارق مضرب للأمثال ، بين كل بنى جيلى ، وتاريخ العلم يؤكّد أنك أعظم خبيرة كمبيوتر ، فى القرن الحادى والعشرين كله ، ومن المؤكّد أن عبقريتك ، وما لدى من معلومات ، سيجدان حلاً لهذا الموقف .. المهم أن تؤمنى بهذا ..

لم تدر لماذا سرت فى جسدها كله قشعريرة عجيبة ، وهى تتطلّع إلى عينيه ، اللتين بدتا لها ، باتساعهما وعمقهما ، أشبه بعينين تعرفهما جيّدًا ، على نحو جعلها تتمتم ، فى استسلام عجيب :

ـ سأفعل كل ما بوسعى .

ترك كتفيها فجأة ، وهو يهتف بحماسة :

ـ عظيم .

ثم التقط من جيب سترته أسطوانة مدمجة ، تشبه تلك المستخدمة فى زمنها ، وهو يتابع :

- هنا ستجدين كل ما لدى من معلوملت ، حول هؤلاء الأوغاد ، وما يمتلكونه من تكنولوجيا .. لقد خزنتها على الأسطوانة بنظام يتوافق مع نظام الكمبيوتر فى زمنك .. هيا .. دعينا نبدأ حربنا على الفور .

اختطفت الأسطوانة من يده ، واستدارت تدسّها فى الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تضرب أزراره فى حماسة ..

وراحت المعلومات تتراصَ على شاشة الجهاز ..

وتتراص ..

وتتراص ..

وكان هذا إيذانًا ببدء الحرب الجديدة ..

حرب الأشباح ..

الطاحنة .

* * *

٣ ـ منطقة الضياع ..

انطلقت طوّافة عسكرية خاصة ، من القاعدة البحرية المصرية ، فى (رأس التين) ، حاملة الرائد (هيثم) وفريقه العلمى الصغير ، فى طريقهما إلى تلك المنطقة ، التى غرقت فيها (ب . ن ـ ١٠٣) ، منذ بضع ساعات ، والتى تستقر فيها الآن المدمرة (فجر) ، فى شكلها الشبحى العجيب ..

وداخل الطوّافة ، غمغم خبير الأشعة :

- لا يمكننى تصديق هذا أبدًا .. هل تقول : إن فريق المقدّم (نور) قد أبيد بأكمله ، فى هذه العملية ؟!

هزّ (هيثم) رأسه ، وهو يجيب فى حزم :

- لم أستخدم هذا المصطلح أبدًا .

اندفعت خبيرة الصوتيات ، تقول فى انفعال :

- ولكن هذا هو المعنى ، الذى استقرّ فى نفوسنا ، عندما قلت إن ضوءًا غامضًا قد ابتلعهم جميعًا .

أشار (هيثم) بسَبابته ، قائلاً :

- الموقف كله مازال غامضًا ، حتى هذه اللحظة ، ولهذا أرسلونا ، فى محاولة لكشف غموض الأمر .

هتفت خبيرة الصوتيات :

- أرسلونا نحن ؛ لنحلّ لغزًا ، فشل فيه فريق المقدّم (نور) ؟! مستحيل !

وهتف خبير الأشعة :

- إنه أشهر وأقوى فريق فى الإدارة .

انعقد حاجبا (هيثم) ، وهو يقول فى صرامة :

- فى عالمنا ، لايوجد مستحيل ! ربما نجحنا نحن فيما فشل فيه الكبار .. من يدرى ؟!

تبادل خبير الأشعة نظرة صامتة، مع خبيرة الصوتيات ، قبل أن تغمغم الأخيرة فى لهجة ، لم تنجح فى إقناعها هى :

- نعم .. من يدرى ؟!

لاذ ثلاثتهم بالصمت ، وانشغل الخبيران فى إعداد أجهزتهما للعمل ، والطوّافة تشق طريقها وسط ظلام الليل ، حتى موقع الحادث ..

وأخيرًا ، انبعث صوت قائد الطوّافة ، وهو يقول :

- نحن فى منطقة العمل .

قالها ، وهو يبدأ فى الدوران حول شبح المدمرة (فجر) ، والغوّاصة المتصلة به ..

وفى سرعة ، راح الخبيران يشعلان جهازيهما ، لرصد كل مايمكن رصده عن قربٍ ، فى حين انعقد حاجبا الرائد (هيثم) ، وهو يتطلع إلى ذلك المشهد الرهيب العجيب ، والطوّافة تدور حول المكان ، وفقًا للأوامر ..

وتدور ..

وتدور ..

وبسرعة ، جرت أصابع الخبيرين ، على أزرار أجهزتهما ، قبل أن يغمغم خبير الأشعة فى توتر :

- الشيء المؤكد أنها ليست صورة هولوجرامية .

وقالت خبيرة الأصوات فى سرعة :

- ولكنها صامتة تماما .. لاتنبعث منها أية أصوات ، أو حتى موجات فوق أو تحت صوتية .

ثم أدارت عينيها إلى (هيثم) ، متابعة فى توتر :

- بمعنى أدق ، لايوجد عليها أدنى أثر للحياة .

غمغم فى قلق :

- ربما فقد طاقمها وعيه ، أو ...

قاطعته فى حسم :

- جهازى قادر على التقاط دبيب النمل ، ودقات قلوب فاقدى الوعى ، مهما انخفضت سرعة نبضاتهم .

هزّ (هيثم) ، رأسه ، قائلاً :

- أين ذهب الطاقم إذن ؟!

تمتم خبير الأشعة ، وهو يراجع نتائج جهازه فى اهتمام :

- هذا ما أتينا للبحث عنه ، و ...

بتر عبارته بغتة ، فسأله (هيثم) فى توتر :

- هل من جديد ؟!

انعقد حاجبا خبير الأشعة ، وهو يقول :

- جهازى يلتقط انبعاثًا إشعاعيًا متصاعدًا .

هتفت خبيرة الصوتيات :

- جهازى أيضًا يلتقط ذبذبة فوق صوتية ، ولكن ....

هتف بها (هيثم) :

- ولكن ماذا ؟! أكملى !

هزّت رأسها فى قوة ، قائلة :

- إنها تأتى من أعماق البحر .. من عمق ألف متر تقريبًا .

بدا خبير الأشعة شديد التوتر ، وهو يهتف :

- الأشعة تتصاعد شدتها بسرعة عجيبة .

هتف به (هيثم) :

- من أين تأتى ؟!

استدار إليه بحركة حادة ، مجيبًا بعينين زائغتين :

- من الأعماق .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتجّت الطوّافة فى عنف ، وهتف قائدها :

- رباه ! المحركات ارتبكت بغتة .

اتسعت عينا (هيثم) ، وخبيرة الصوتيات تهتف :

- الذبذبة فوق الصوتيه تجاوزت حدود جهازى .. يا إلهى ! لا توجد فى الكون كله ذبذبة تفوق الر ...

ارتجّت الطوّافة مرة أخرى ، فى عنف أكبر ، وهتف قائدها :

- لا بد أن نبتعد عن هذا المكان ، وإلا فقدت سيطرتى على هذه الطوّافة تمامًا ..

هتف (هيثم) فى عصبية :

- لا يمكن أن ننسحب بهذه السرعة .

صاح قائد الطوّافة ، وهو يدفع عصا القيادة فى حزم :

- سنخرج من هنا .. فورًا .

دارت مراوح الطوّافة بأقصى طاقتها ، فى محاولة لتجاوز تلك المنطقة ..

ولكن فجأة ، تضاعف الانبعاث الإشعاعى عشر مرات دفعة واحدة ، وصرخت خبيرة الصوتيات :

- لا .. مستحيل ! مستحيل !

مع صرختها ، تحطّم زجاج الطوّافة كله دفعة واحدة ، وصاح الطيّار :

- إننا لا نتحرك .. المحركات تعمل بأقصى طاقتها ، ولكننا ثابتون فى مكاننا .. هناك شىء يسيطر علينا ، ولا يمكننا الفكاك منه قط .

صرخت خبيرة الصوتيات :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما خبير الأشعة ، فقد حدَّق فى شاشة جهازه ، فى ذهول مذعور ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

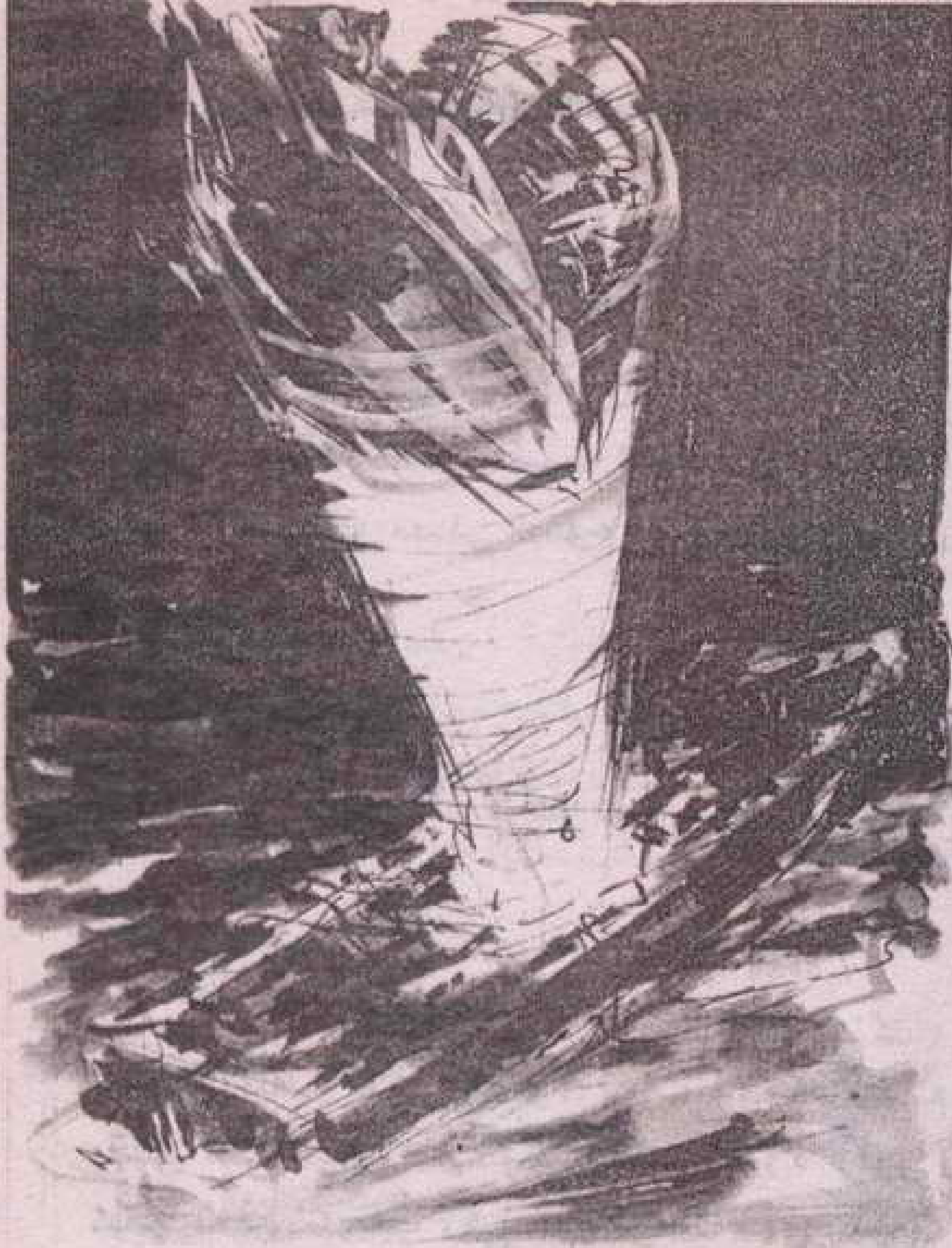
مع آخر حروف كلماته ، سطع ضوء قوى فجأة ، من أسفل المدمرة (فجر) ، واخترق جسمها الشبحى نصف الشفاف ، ليغمر الطوَّافة كلها ، على نحو جعل خبيرة الصوتيات تطلق صرخة رعب هائلة ، فى حين راح جسد خبير الأشعة يرتجف فى قوة ، وسحب (هيثم) مسدسه على نحو غريزى ، أما الطيَّار ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، والهواء البارد العنيف يرتطم بوجهه ، ويكاد يجمِّد أطرافه ، و ...

وفجأة ، انسحبت الطوَّافة نحو المدمرة (فجر) ..

وبسرعة مخيفة ..

وصرخ الطيَّار :

ـ لا .. لا .. مستحيل !



مع آخر حروف كلماته ، سطع ضوء قوى فجأة ، من أسفل المدمرة (فجر) ، واخترق جسمها الشبحى نصف الشفاف ، ليغمر الطوَّافة كلها ..

ومع صرخته ، اخترقت الطوّافة جسم المدمرة الشبحى ..

ثم ارتطمت بمياه البحر ..

وبمنتهى العنف ..

وفى لحظة واحدة ، غمرت المياه الطوّافة كلها ، وهى تغوص نحو مصدر الضوء القوى المبهر ..

وتغوص ..

وتغوص ..

ثم فجأة ، ومض ضوء أكثر قوة ..

وخبا ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، تلاشى الضوء تمامًا ، وعاد الظلام يطبق على المكان كله ، واستعادت المدمرة (فجر) كيانها المادى تدريجيًا ، فى نفس الوقت الذى تحرَّرت فيه الطوّافة الغارقة من قوة الجذب ، وراحت تصعد

إلى السطح ، حتى ارتطمت بجسم المدمرة ، وانزلقت جانبها خالية ..

دون أثر للرائد (هيثم) أو الطيار ، أو الخبيرين ..

أدنى أثر ..

★ ★ ★

« التشابه مذهل بحق !! » ..

غمغم الرئيس بالعبارة ، وهو ينقل بصره بين صورة (أمجد) ، والملامح التى صنعها جهاز فريق الرائد (هيثم) ، لملامح ذلك الشبح ، قبل أن يُطلق من أعماق صدره زفرة ملتهبة ، مستطردًا :

ـ أمر لايُصدَّق .

أشار مدير المخابرات بيده ، قائلاً :

ـ لقد راجعت ذلك الملف ، الخاص بابن السيِّد (أمجد) ، الذى أنجبه من تلك الإسرائيلية ، والذى عثر عليه بعد مصرعها بعدة سنوات ، ثم فقده مرة أخرى .

تمتم الرئيس فى أسف :

- بل قل : خسره تمامًا .

صمت مدير المخابرات لحظة ، وكأنما توقَّع أن يستطرد الرئيس ، ثم لم يلبث أن تابع ، عندما أدرك أن تعليقه قد اقتصر على هذا :

- ذلك الابن انغمس حتى النخاع ، فيما أهَّلته له أمه ، وأصبح إسرائيليًا صهيونيًا ، قلبًا وقالبًا ، وتزعَّم منظمة صهيونية متطرِّفة ، بعد الانهيار ، الذى أصاب (إسرائيل) ؛ إثر تجاوزات رئيس وزرائها الدموى السابق .

مطَّ الرئيس شفتيه ، وهزَّ رأسه فى مرارة ، مغمغمًا :

- هذه مأساة زواج مصرى من إسرائيلية !

رفع مدير المخابرات عينيه إليه ، وقال :

- معذرة يا سيادة الرئيس ، ولكن السيِّد (أمجد) تزوَّج تلك الإسرائيلية فى ظروف غير طبيعية ، وأيامها لم يكن يدرك حتى إنها إسرائيلية .

أومأ الرئيس برأسه ، مغمغمًا :

- أعلم هذا يا رجل .. أعلم هذا .. ولكن حتى فى هذه الظروف ، كان الأبناء هم الضحية ، كما توقَّع خبراؤنا ، فى نهايات القرن العشرين ، عندما أدركوا خطورة الزواج من إسرائيليات ، فالقانون المصرى يمنح الجنسية لأبناء المصرى ، والقانون الإسرائيلى كان يمنح الجنسية لأبناء الإسرائيليات ، ثم إن الأم هى الأكثر تأثيرًا فى تربية وتوجيه وتنشئة الأبناء ، بحكم اقترابها منهم أكثر وأطول .

قال القائد الأعلى :

- لقد عانينا طويلاً من نتائج هذه المأساة .

وافقه الرئيس بإيماءة أخرى من رأسه ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

- قدَّر الله (سبحانه وتعالى) ، وما شاء فعل .

انتظر مدير المخابرات لحظة ، بعد انتهاء عبارة الرئيس ، ثم قال متابعًا :

ـ ولقد اختفى ذلك الابن لسنوات طوال ، عندما تحوّل نشاط منظمته الصهيونية(*) إلى العنف ، والاغتيالات ، وقتل الأبرياء بغير ذنب ، وقيل إنه قد أنشأ منظمة صهيونية سرية أخرى ، منذ عامين أو ثلاثة .

أشار القائد الأعلى إلى الصورة ، التى صنعها جهاز الرصد الحرارى ، وقال :

ـ ما نراه أمامنا صورة لرجل فى أوائل الخمسينات من عمره على الأقل ، وابن السيِّد (أمجد) فى منتصف الثلاثينات .

هزَّ الدكتور (جلال) رأسه ، وقال فى حزم :

ـ إنها مجرَّد ملامح تقريبية ، مأخوذة عن توزيع

(*) الصهيونية : حركة سياسية ، قصدت إلى قيام دولة يهودية ؛ لتكون وطنًا قوميًا لليهود ، ولقد تزعمها (تيودور هرتزل) ، الذى دعا لقيام المؤتمر الصهيونى الأوَّل ، فى (بازل) بـ (سويسرا) ، وبعدها تكوَّنت منظمات صهيونية فى البلاد التى تضمّ عددًا كافيًا من اليهود ، واعتبرت (فلسطين) هى الدولة المناسبة لبدء دولة (إسرائيل) ، التى ينبغى أن تمتدّ ، من الفرات إلى النيل ، وفقًا لمبادئهم .

الظلّ الحرارى للوجه ، من أثر قديم ، ولكننى أعتقد أننا ، لو وضعنا فى الاعتبار ذلك التطوّر الطبى ، فى وسائل الاستشفاء والعلاج ، وأثره على صحة الإنسان ، الآن وفى المستقبل ، فأعتقد أننا نتطلّع إلى رجل ، فى أوائل الستينات من عمره تقريبًا .

التفت إليه الرئيس ، يسأله فى اهتمام :

ـ وما الذى يجعلك متأكدًا هكذا ؟!

تنهَّد ، قائلاً :

ـ لأننا نواجه خصمًا مستقبليًا .

ثم نهض من مقعده ، وأشار بيده إلى الصورة ، المعروضة على شاشة كبيرة ، مستطردًا فى حزم :

ـ وهذا ما سيبدو عليه ابن السيِّد (أمجد) ، فى المستقبل ..

والتقط نفسًا عميقًا ، ليضيف :

ـ مستقبلنا .

التقى حاجبا الرئيس فى شدة ، فى حين تساءل القائد الأعلى للمخابرات العلمية فى اهتمام :

- إذن فأنت تؤيِّد نظرية المستقبليين الآن .

أومأ الدكتور (جلال) برأسه إيجابًا ، وقال :

- إنها تبدو لى أكثر نظرية مقبولة ، فى ظل ما يتبيَّن .

شدَّ القائد الأعلى قامته ، وهو يقول :

- إذن فالسيِّدة (نشوى) كانت على حق .

أكَّد الدكتور (جلال) فى حزم :

- ومنذ البداية .

نقل الرئيس بصره بينهما لحظة ، قبل أن يقول فى حزم حاسم :

- أرسلوا فى طلبها فورًا .. أريد التحدُّث إليها شخصيًا .

التقى حاجبا الدكتور (جلال) ، وهو يلقى نظرة قلقة على ساعته ، قائلاً :

- كان المفترض أن تكون هنا بالفعل ، منذ ما يقرب من نصف الساعة .

التفت إليه القائد الأعلى بحركة حادة ، قائلاً :

- رباه ! هل تعتقد أن ..

التقط الدكتور (جلال) جهاز الاتصال ، وهو يقول :

- دعنا لانستبق الأحداث ياسيِّدى .. سنجرى اتصالنا بها أوَّلاً ، ثم ..

قبل أن يتمَّ عبارته ، وقبل أن يضغط أزرار جهاز الاتصال فعليًّا ، ارتفع أزيز جهاز التقارير العاجله ، وبرزت منه ورقة صغيرة ، اختطفها القائد الأعلى فى سرعة ، والتهم سطورها القليلة فى لحظة ، قبل أن يمتقع وجهه ، وهو يرفع عينيه إليهم ، قائلاً :

- طوَّافة فريق الرائد (هيثم) سقطت فى الفخ نفسه .

انتقل امتقاعه إلى الرجال الثلاثة ، والرئيس يتساءل فى توتر :

- ثم ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وأجاب :

- لا أثر لهم .

قالها ، فران على القاعة الصغيرة صمت مطبق رهيب ، تبادل خلاله الرجال الثلاثة نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يضغط الدكتور (جلال) أزرار جهاز الاتصال فى عصبية ، قائلاً :

- لابد من استدعاء (نشوى) .. فورًا .

التقط مدير المخابرات نفسًا عميقًا ، قبل أن يتجه ببصره إلى الرئيس ، قائلاً :

- سيادة الرئيس .. لو أردت رأيى ، فأفضل حل مطروح الآن ، هو ما اقترحه الملحق العسكرى الروسى .

سأله الرئيس ، فى شىء من الحذر :

- وما هو ؟!

أجابه فى حزم :

- سحق المنطقة بأكملها .

انعقد حاجبا الرئيس فى شدة ، وقال القائد الأعلى فى توتر :

- هل تعلم ما يعنيه هذا ؟!

أجابه فى حزم أكثر :

- نعم .. يعنى أن نغلق الباب الرئيسى لهذه المأساة ، التى تتصاعد فى سرعة ، وتتزايد فصولها الرهيبة ، فى كل دقيقة تمضى .

ثم عاد يلتفت إلى الرئيس ، قائلاً :

- صدقنى يا سيادة الرئيس .. إنها حرب .. حرب مع أشباح مستقبلية ، لا ندرى كيف نواجهها ، أو نتغلب عليها .. حرب تأتى كلها من بؤرة واحدة ، فى قلب البحر .

ومال بجسده كله نحو الرئيس ، مضيفًا فى انفعال :

- والخطوة الأولى ، لربح حرب رهيبة كهذه ، هو سحق مركز وصول العدو .. ودون إبطاء .

التقط الرئيس نفسًا عميقًا ، وارتسم على وجهه

توتر ملحوظ ، يشفَ عن تلك العاصفة التى تعتمل فى نفسه ، لاتخاذ قرار حاسم فى هذا الشأن ، و ...

« لن يمكنكم أن تصدّقوا هذا !! » ..

هتف الدكتور (جلال) بالعبارة فى انفعال ، وهو ينهى اتصاله مع (نشوى) ، قبل أن يندفع نحو الباقين ، متابعًا :

ـ لقد عاد (طارق) .

هتف القائد الأعلى :

ـ حقًا ؟! يا إلهى ! هذا يعنى الكثير .. الكثير جدًّا .

انعقد حاجبا مدير المخابرات فى شدة ، فى حين تساءل الرئيس ، فى شىء من العصبية :

ـ من (طارق) هذا ؟!

أجابه الدكتور (جلال) فى حماسة :

ـ (طارق) مقاتل مستقبلى ، من نسل المقدَّم (نور) ، شارك الفريق يومًا بعض مهامه ، وعودته مرة أخرى إلى زمننا تعنى أن نظرية (نشوى) عن المستقبليين صحيحة تمامًا .

سأله القائد الأعلى فى لهفة :

ـ هل سيحضر معها ؟!

وأمأ الدكتور برأسه إيجابًا ، فاندفع القائد الأعلى نحو جهاز الاتصال ، قائلاً فى حزم :

ـ ينبغى أن نعدّ كل شىء لاستقباله إذن ؛ فمن المؤكَّد أن ما لديه من معلومات مستقبلية ، عن خصومنا المستقبليين ، ستصنع فارقًا ضخمًا ، فى هذه الحرب ، و ...

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت صفارات الإنذار فى المكان كله ، فامتقع وجه الدكتور (جلال) ، وهو يتلفت حوله ، هاتفًا فى ارتياع :

ـ هناك دخلاء .

سحب مدير المخابرات مسدسه ، فى حركة غريزية ، واندفع نحو الرئيس ، هاتفًا فى غضب :

ـ المفترض أنكم تحيطون أنفسكم بوسائل أمن كافية .

هتف القائد الأعلى ، وهو يسحب مسدسه بدوره ، ويضغط عدة أزرار على سطح مائدة الاجتماعات :

ـ ليس ضد أشباح .

أضيئت شاشات الرصد كلها ، فى حجرة الاجتماعات الصغيرة ، وراحت تنقل صورة لأشباح تخترق مبنى المخابرات العلمية ، من قطاعات عديدة ، وقتال عنيف يائس ، يدور بينها وبين رجال أمن المبنى ..

كانت رصاصات الحرّاس ، وأشعة مسدساتهم الليزرية ، تعبر كلها الأجساد الشبحية ، دون أن تمسّها بأدنى أذى ، فى حين كانت أسلحة الأشباح تطلق نحوهم فقاعات زرقاء ، ما إن ترتطم بأجسادهم ، حتى تنتفض فى عنف ، كما لو أن صاعقة قد أصابتها ..

ثم يسقط الرجال فاقدى الوعى ..

وبكل عصبية ، أمام ذلك الخطر الرهيب ، هتف مدير المخابرات ، وهو يحمى الرئيس بجسده ، ويلوّح بمسدسه :

ـ هناك حتمًا خطة طوارئ .

أجابه القائد الأعلى فى حزم ، وهو يضغط زرًا آخر ، على سطح مائدته :

ـ بالتأكيد .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولقد بدأ تنفيذها بالفعل .

مع قوله ، انخفضت الإضاءة داخل قاعة الاجتماعات الصغيرة ، بحيث أصبحت تعتمد فقط على ما يصدر عن شاشات الرصد ..

وفى هدوء ، ودون أدنى صوت ، هبطت ألواح من مادة (التيتانيوم) على بابى القاعة ، التى بدأت تهبط فى نعومة ، والقائد الأعلى يقول :

ـ من الخارج ، لم يعد هناك الآن أى أثر يوحى بوجود قاعة ما فى هذا المكان ، والآن تم عزلنا عن العالم الخارجى ، والقاعة ستهبط كاملة ، لتستقر فى

طابق سرى خاص ، وفوقها ستمتدَ أرضية احتياطية ، بحيث يستحيل تخيُّل وجودنا داخل المبنى بأى حال من الأحوال .

ثم ضغط زرًا آخر ، فانكشف جزء من جدار القاعة ، وبرز خلفه مخزن خاص ، والقائد الأعلى يتابع :

ـ والقاعة مجهَّزة بحيث تؤمِّن الحماية والمعايشة لدستة من الرجال ، لمدة ثلاثة أسابيع ، والتهوية فيها مناسبة .

توقَّف عن التتابع ، والتقى حاجباه فى توتر ملحوظ ، وهو يراقب الشاشات ، التى تنقل انهيارًا شبه شامل لنظام أمن وتأمين المبنى ، مع تقدُّم الأشباح السريع ، وتساقط رجال أمن المبنى ، الذى فقدت أسلحتهم جدواها ..

وفى مرارة متوترة ، غمغم الدكتور (جلال) :

ـ رباه ! إنه غزو من نوع آخر .. غزو لانملك وسيلة واحدة للتصدى له .

ثم أسرع يضغط أزرار جهاز الاتصال ، مستطردًا فى عصبية :

ـ ربما لدى (طارق) وسيلة مستقبلية لـ ...

وثب القائد الأعلى يمسك معصمه فى قوة ، ويختطف جهاز الاتصال من يده ، هاتفًا :

ـ إياك أن تفعلها !

بدت دهشة مستنكرة على وجه الدكتور (جلال) ، وهو يهتف :

ـ ولمَ لا ؟! ربما كانت هذه وسيلتنا الوحيدة ، لإنقاذ ما يمكن انقاذه !!

صاح به القائد الأعلى فى غضب :

ـ مع خصوم كهؤلاء ، يكفى اتصال واحد من هنا ، لتحديد ورصد موقعنا ، الذى نسعى بكل السبل لإخفائه .

شحب وجه الدكتور (جلال) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! هذا صحيح .

ثم انهار على أقرب مقعد إليه ، وهو يواصل :

ـ هذا يعنى أنه لم يعد أمامنا أمل فى النجاة .

زمجر مدير المخابرات ، وهو يهتف :

ـ المفترض أن الأمل يكمن هنا .

استدار إليه القائد الأعلى ، قائلاً فى حزم :

ـ هذا صحيح .

والتقى حاجباه بمنتهى الشدة ، وهو يضيف :

ـ لا أحد فى الوجود يعلم بأمر هذا المكان .

« فى زمنكم هذا فحسب .. »

انبعث الصوت من خلفهم تمامًا ، داخل القاعة الصغيرة ، فى صرامة وحشية شرسة ، فاستداروا إلى مصدره ، وتوترت كل خلية من خلاياهم ، وهم يحدّقون فى ذلك الشبح ، الذى عبر جدار القاعة ، حاملاً سلاحه العجيب ، ومتطلّعًا إليهم ، بكل مقت الدنيا ..

شبح ابنه ..

ابن (أمجد صبحى) .

* * *

٤ ـ الغزاة ..

شىء عنيف انتزع الرائد (هيثم) من مكانه ..

وأضواء قوية تألّقت فى وجهه ..

ألف لون ولون من الأضواء ، من كل الاتجاهات ، وجسده ينهار عبر ممر ضوئى طويل ، يدور حول نفسه ، وكأنه لا نهاية له ..

ولزمن لم يدركه أبدًا ، راح جسده يهوى ..

ويهوى ..

ويهوى ..

ثم سطع ضوء قوى ..

وخبا دفعة واحدة ، ليسود ظلام تام ..

ظلام دامس رهيب ، أحاط به من كل صوب ، وجسده يتموّج فى نعومة ، كما لو أنه يسبح فوق بحر من المخمل الناعم الكثيف ..

ولكنه لم يشعر بملمس أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

كان وكأنه يسبح فى فراغ ..

فراغ بلا حدود ..

أو نهاية ..

ثم عاد جسده ينزلق مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان انزلاقه هادئًا ، ناعمًا ، وسط ذلك الفراغ المظلم العجيب ..

ومن بعيد تناهت إلى مسامعه أصوات ..

أصوات متداخلة غير مميَّزة ..

وبسرعة ، راحت تلك الأصوات تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

ثم فجأة ، سطع ضوء قوى آخر ..

وارتطم جسده بشىء ما ..

شىء له ملمس عجيب ، غريب ، يبعث قشعريرة باردة فى أعماقه ..

وعندما هدأ الضوء ، فتح هو عينيه فى بطء وحذر ..

ولكن ما إن وقعت عيناه على ما حوله ، حتى اتسعتا عن آخرهما ، بكل دهشة وتوتر الدنيا ..

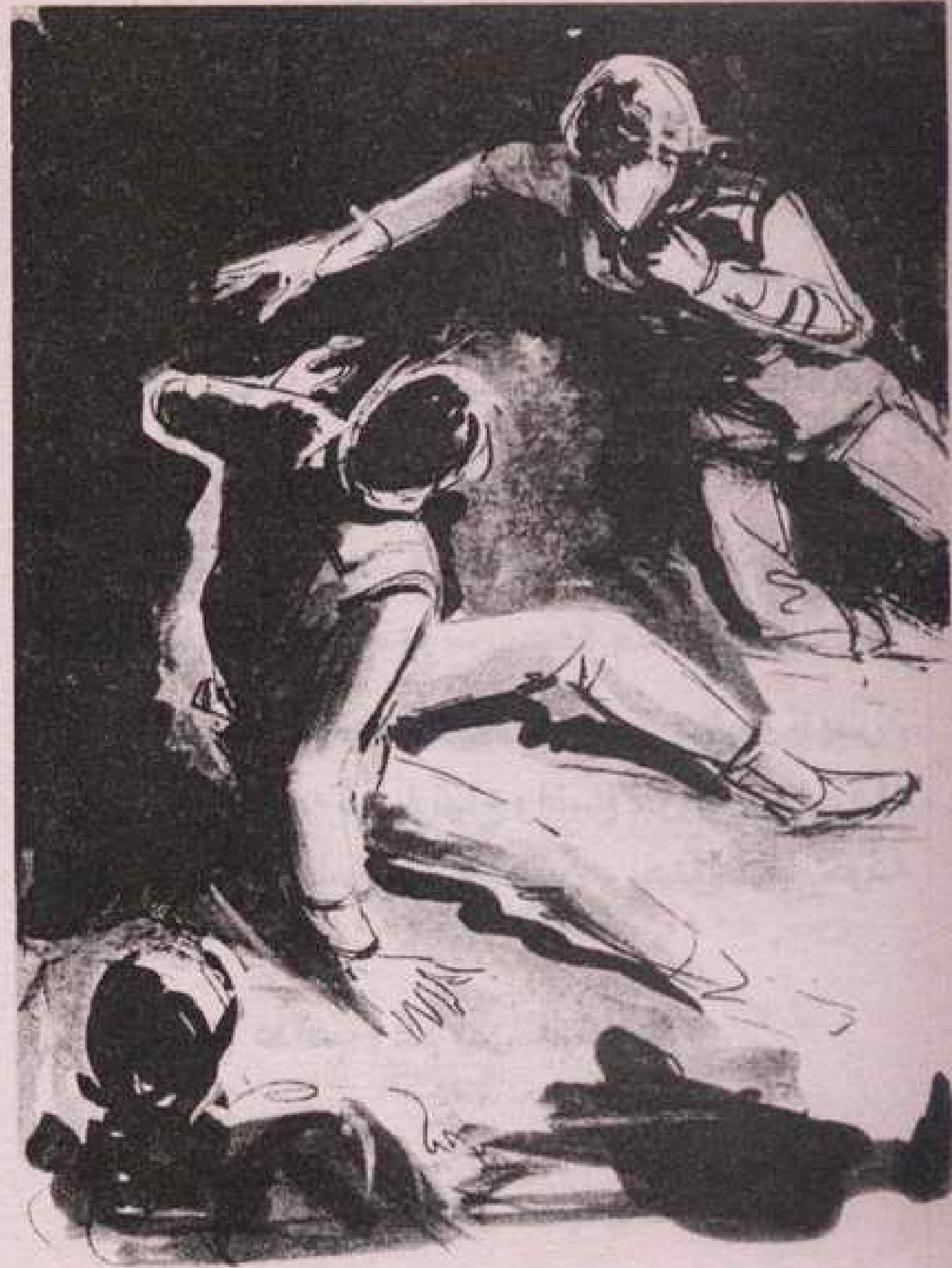
فعلى مقربة منه ، وجد خبيرة الصوتيات ، والذعر يملأ كل ذرة من كيانها ..

وعلى مسافة بعيدة نسبيًّا ، كان خبير الأشعة ينهض ، ويدور حول نفسه فى ارتياع واضح ، وإلى جواره قائد الطوَّافة ، الذى جلس متسع العينين ، يحدِّق فيما حوله فى ذهول ..

أما فيما عداهم ، فلم يكن هناك شىء ..

على الإطلاق ..

فقط فراغ هائل ، فى كل الاتجاهات ..



فعلى مقربة منه ، وجد خبيرة الصوتيات ، والذعر يملأ كل ذرة من كيانها ..

فراغ تسبح فيه أجسادهم ..

شيء لا يمكن وصفه ، لأى مخلوق اعتاد العيش فى عالم طبيعى ، له حدود واضحة معروفة ..

فراغ رهيب ..

رهيب ..

بلا حدود ..

وفى رعب ماله من مثيل ، لوَّحت خبيرة الصوتيات بيدها ، صارخة :

ـ أين نحن ؟! ماذا أصابنا ؟!

بدا صوت خبير الأشعة مذعورًا شاحبًا ، وهو يقول :

ـ هل .. هل متنا ؟!

وجد (هيثم) نفسه ينهض فى سهولة ، على الرغم من أنه لم ير ما استند إليه ، وهو يقول فى صرامة :

- لست أدرى كيف يبدو الموت ، ولكنه ليس كذلك حتمًا .

ثم تلفت حوله ، وسبحت عيناه وسط ذلك الفراغ العجيب ، وهو يضيف :

- إننا نواجه أمرًا تعجز عقولنا عن إدراكه فحسب .

هتفت خبيرة الصوتيات ، والهلع يملأ كل ذرة من كيانها :

- لا يوجد فى الكون كله شىء كهذا .. إننى .. إننى لا أدرى حتى أين أقف ولا كيف !

ارتفع صوت قائد الطوافة ، وهو يقول فى عصبية شديدة :

- ربما لم نمت فعليًا .

ثم نهض بحركة حادة ، مستطردًا :

- ولكن الموت مصيرنا حتمًا ، فى عالم كهذا .

قالها ، وراح يدور حول نفسه ، صارخًا :

- إنها النهاية .. النهاية .

ثم دفن وجهه بين كفيه ، مكملاً فى انهيار :

- ويالها من نهاية !

بدا الغضب على وجه الرائد (هيثم) ، وهو يهتف :

- كفى يا رجل .

دفع قدميه إلى الأمام بحركة غريزية ، وأدهشه أن يسير فى نعومة ، دون أن يدرى حتى ماتطؤه قدماه ، وهو يتجه نحو قائد الطوافة ، مستطردًا :

- لا ينبغى أن تنهار هكذا .. أنت طيار مقاتل .

استدار إليه الرجل ، صائحًا :

- نعم أيها الرائد .. أنا طيَّار مقاتل .. طيَّار اعتاد مواجهة خصومه بقلب كالأسود ، وعزيمة كالحديد .. ولكننى اليوم أواجه مالا أعلمه أو أفهمه .

صاح به (هيثم) فى صرامة :

- هذا ليس مبررًا للانهيار .

حدّق الرجل فى وجهه بضع لحظات ، ثم أدار عينيه إلى خبيرة الصوتيات ، التى تتحرك نحوه فى حذر مذعور ، وقدماها تتحسسان طريقها الذى لا تراه ، أو تشعر به ، وازدرد لعابه فى توتر ، قبل أن يخفض عينيه ، قائلاً :

ـ أنت على حق .

ثم سحب مسدسه بغتة بحركة حادة ، وهو يستطرد :

ـ ولكننى لن أقف دون قتال .

سأله (هيثم) فى صرامة :

ـ وما الذى ستقاتله ؟!

أجابه ، وهو يدير مسدسه فيما حوله :

ـ أى شىء .. أى شىء .

وضغط زناد مسدسه الليزرى ، صائحًا :

ـ أى شىء .

انطلق شعاع الليزر فى الفراغ ، وبدا وكأنه سيسير فيه إلى مالا نهاية ، و ...

ولكن فجأة ، انشقّ الفراغ ..

انشقّ كما لو كان قطعة من ورق رقيق ، شقّه سكين حاد ..

وعبر ذلك الشق ، برز مشهد رهيب ..

رهيب للغاية ..

وبكل ذعر الدنيا ، حدّق الأربعة فى ذلك الرأس الهائل ، ذى العينين الضخمتين ، الذى بدا بأسنانه الحادة الضخمة ، وهو يلتفت إليهم ، قبل أن تنطلق منه صرخة رهيبة ..

صرخة اختلّ معها توازن المكان كله ..

وتوازن الأربعة دفعة واحدة ..

أجسادهم كلها انتفضت فى عنف ، وشعروا وكأن قبضة هائلة قد أصابتهم فى صدورهم ورءوسهم ، وتدحرجت أجسادهم وسط ذلك الفراغ الرهيب ..

فيما عدا قائد الطوّافة ..

فلكونه أقربهم إلى الشق ، انزلق جسده نحوه ..

ثم سقط عبره ..

إلى الخارج .

ومع سقوطه ، التحم الشق مرة أخرى ..

وشعر الثلاثة بضغط هائل على آذانهم ، وبقوة تعتصر صدورهم وبطونهم ، قبل أن تهتف خبيرة الصوتيات ، ودوار عنيف يكتنف رأسها :

ـ ماذا كان هذا ؟! ماذا كان ؟!

أجابها (هيثم) ، وهو يقاوم فى صعوبة غيبوبة عنيفة ، تقاتل للسيطرة على عقله وكيانه :

ـ ديناصور .. من نوع (تيرانوساورس)(*) ..

(*) الديناصورات : زواحف برية ، كانت تعيش فى حقبة الحياة الوسطى ، وانقرضت قبل نهاية العصر الطباشيرى ، كان معظمها يتميَّز بضخامته وأشكاله المخيفة ، ومن أهم أنواعها (التيرانوساورس) ، وهو من النوع اللاحم ذى القدمين ، وطوله حوالى ١٤ مترًا ، وارتفاعه حوالى ستة أمتار ، و (البرونتوساورس) ، وهو طويل الرقبة والذيل ، من النوع المعشب نصف المائى ، وطوله أكثر من عشرين مترًا .

قال خبير الأشعة بصوت مرتجف :

ـ ولكن هـذا مستحيل ! الديناصورات انقرضت ، منذ ملايين السنين .. مستحيل !

غمغم الرائد (هيثم) ، والغيبوبة تتمكَّن من كيانه أكثر وأكثر :

ـ يبدو أننا قد انتقلنا عبر الزمن بوسيلة ما .. أو ...

هتفت به خبيرة الصوتيات فى انهيار :

ـ أو ماذا ؟!

أجابها فى مرارة :

ـ أو أننا سقطنا فى فخ زمنى .. فخ لا ينتمى لأى زمن .. أى زمن على الإطلاق .

قالها ، ثم انهار كيانه كله دفعة واحدة ، وسقط فى تلك الغيبوبة العميقة ، التى أعلنت انتصارها عليه فى النهاية ..

غيبوبة عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

* * *

« تلك الأشباح احتلّت مبنى المخابرات العلمية .. »

هتفت (نشوى) بالعبارة فى ارتياع ، وهى تُغلق جهاز اتصالها الخاص ، وتلتفت إلى (طارق) ، الذى يقود سيارتها ، ثم استطردت فى عصبية :

- إنهم يسيطرون على كل شىء .. وبسرعة مخيفة .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يزيد من سرعة السيارة ، إلى حد يتجاوز السرعة القانونية ، للسير داخل المدن ، قائلاً فى توتر صارم :

- هذا ما يخططون له منذ البداية .. غزو شامل من طراز جديد .. غزو للسيطرة على التاريخ نفسه .

هتفت :

- ولكن ماذا سنفعل ؟!

أجابها فى صرامة :

- سنواصل طريقنا ، إلى مبنى المخابرات العلمية .

هتفت فى مرارة :

- وما الفائدة الآن ؟! لقد سيطروا عليه تمامًا .. مدير أمن المبنى أبلغنى بهذا شخصيًّا .

بدت عليه علامات التفكير بضع لحظات ، قبل أن يزيد من سرعة السيارة أكثر متسائلاً :

- وماذا عن القادة ؟!

سألته فى حذر متوتر :

- أتقصد القائد الأعلى ، والدكتور (جلال) ؟!

هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- بل كل القادة .. معلوماتى تقول : إن رئيس الجمهورية ومدير المخابرات كانا فى المبنى أيضًا .

اتسعت عيناها عن آخرهما فى ارتياع ، وهى تهتف :

- رئيس الجمهورية ومدير المخابرات ؟! إنها كارثة !

ثم انتبهت إلى نقطة ما ، فاستطردت فى توتر :

- من أين تأتى بمعلوماتك هذه ؟!

تنهَّد ، مجيبًا :

- بالنسبة لى ، هى ليست معلومات .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

- إنها تاريخ .

سألته مبهورة :

- أتعنى أن التاريخ فى عصرك قد سجَّل ما يحدث لنا الآن ؟!

هزَّ رأسه ، وهو ينحرف خارج الطريق الرئيسى ، قائلاً :

- ليس بالمعنى الحرفى للكلمة .

سألته فى قلق شديد :

- ماذا تعنى ؟!

صمت طويلاً هذه المرة ، وهو يدلف بالسيارة إلى الطريق الخاص ، الذى يقود إلى مبنى المخابرات العلمية ، قبل أن يقول :

- السفر عبر الزمن أمر معقَّد للغاية ، وله فلسفة خاصة جدًّا ، ولقد تم كشفه بالمصادفة البحتة كما تعلمين ، ومنذ وضعه موضع التنفيذ ، أدرك الخبراء أن هذا يحتاج إلى قانون خاص ، ونظام محكم ؛ لضمان عدم العبث بالتاريخ ؛ لذا كان من الضرورى أن تنشأ دوريات أمنية خاصة ، لحماية الزمن والتاريخ ، ومن بين تلك الدوريات ، قسم خاص بمراقبة أية تموجات زمنية غير طبيعية ، فعودة شخص ما إلى الماضى ، وعبثه بأية واقعة تاريخية ، مهما بلغت بساطتها ، يعدَ كارثة كبرى ، إذ إن التغيير الناشئ ، فى أية لحظة من الزمن ، يصنع موجة زمنية عارمة ، تكتسح أمامها كل الأحداث التالية لها ، بيد التغيير والتبديل ..

ومهمة شرطة الزمن فى مستقبلكم ، هى منع أى عابث من السفر عبر التاريخ ، ومحاولة تغيير الأحداث لصالحه ، أو لصالح الجهة التى ينتمى إليها .

سألته فى قلق :

ـ وهل هذا ممكن ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

ـ بالتأكيد .. ولكن النتائج لا تكون متوقَّعة أبدًا ؛ نظرًا لأن الموجة ، الناشئة من التغيير ، تتحرَّك عشوائيًّا ، فى كل الاتجاهات ، ومن الممكن جدًّا أن تؤدِّى إلى تدمير من أنشأها ، بدلاً من أن تمنحه أية مكانة أفضل ، وهذا ما رفض أولئك الأوغاد تصديقه .

وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف فى توتر :

ـ ربما لأن زعيمهم ليس من مستقبلنا .

سألته ، وقد لاح مبنى المخابرات العلمية بالفعل :

ـ من أين هو إذن ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، ملأ به صدره ، ثم أفرغه ، مجيبًا فى توتر :

ـ من زمنكم أنتم .

سألته فى ذهول :

ـ وكيف هذا ؟!

وروى لها ما لديه ..

وكانت روايته مدهشة ..

إلى أقصى حدّ !

* * *

« من أنت بالضبط ؟! »

هتف الرئيس بالسؤال ، وهو يواجه ذلك الشبح ، الذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، شديدة الشبه بابتسامة (أمجد) نفسه ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! كنت أتصوَّر أن ملامحى تكفى لكشف هويتى .

مع كلماته ، اخترقت أشباح أخرى جدران

القاعة ، وأحاطت بهم بأسلحتها العجيبة ، في حين قال الرئيس فى عصبية :

أنت ابن (أمجد) بالفعل إذن .

انقلبت شفتا الشبح فى مقت ، وهو يقول :

ـ للأسف !

قال مدير المخابرات فى حدة :

ـ للأسف ؟! ياله من جواب ! أى مخلوق فى الدنيا يتمنى لو كان ابن بطل عظيم ، مثل (أمجد صبحى) .

قال الشبح ، فى سخرية عصبية :

ـ فلأترك لهم هذا الشرف إذن .

تطلَّع إليه الدكتور (جلال) فى توتر وصمت ، وهو يدرس ملامحه ، التى بدت أكثر شبابًا مما توقَّع بكثير ..

أما القائد الأعلى ، فقال فى توتر :

ـ كيف علمتم بأمر هذه القاعة ؟! المفترض أنها سرية تمامًا .

ابتسم الشبح مرة أخرى فى سخرية ، وهو يقول :

ـ هذا ينطبق على زمنكم فحسب يا هذا ، أما فى المستقبل ، الذى جئنا منه فهذا أمر تافه ، نعرفه من خلال متحف المخابرات ، الذى تتاح زيارته للعامة ، خمسة أيام فى الأسبوع .

قال مدير المخابرات فى عصبية :

ـ إذن فالسيِّدة (نشوى) كانت على حق .. أنتم من المستقبل .

رفع الشبح أحد حاجبيه ، وهو يقول فى سخرية :

ـ هم فحسب .. أما أنا ، فمن هنا .

هتف القائد الأعلى :

ـ مستحيل !

اندفع الدكتور (جلال) يقول :

ـ ليس مستحيلاً على الإطلاق .. كان ينبغى أن ننتبه إلى هذا ، عندما رأينا صورته ، التى صنعها

جهاز الرصد الحرارى .. فلو أنه ابن السيِّد (أمجد) فعلاً، فمن غير المنطقى أن يتواجد بجسدين فى زمن واحد .

أدار الشبح عينيه إليه ، قائلاً :

ـ آه .. من الواضح أنه لدينا هنا عبقرى آخر .

واصل الدكتور (جلال) حديثه ، وكأنه لم يسمعه :

ـ عندما قيل إنك قد اختفيت ، لم يكن هذا اختفاءً ، وإنما كان انتقالاً عبر الزمن بوسيلة ما .. أليس كذلك ؟!

هزَّ القائد الأعلى رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ مستحيل ! عندما اختفى لم تكن فكرة السفر عبر الزمن قد حملت قدرًا من الواقعية بعد .

أشار الشبح بسبَّابته ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح .. ولهذا لم أذهب أنا إليهم .

وعادت الابتسامة الساخرة إلى شفتيه ، مع استطرادته :

ـ هم أتوا إلىَّ .

ثم لوَّح بيده فى حركة مسرحية ، متابعًا :

ـ كانوا بحاجة إلى زعيم ، ولم يجدوا ، فى الفترة المتاحة لهم ، من هو أجدر منى بالزعامة .

هتف به الرئيس فى غضب :

ـ كيف أصبحت صهيونيًا إلى هذا الحد ، على الرغم من الدماء المصرية ، التى تجرى فى عروقك ؟!

هزَّ الشبح كتفيه فى لا مبالاة ، وقال :

ـ عروقى تجرى فيها دماء مصرية إسرائيلية .. لا تنس هذا أبدًا .

قال الدكتور (جلال) فى مقت :

ـ فى هذا الموقف ، تبدو لى دماءً إسرائيلية صرفة .

أدار الشبح عينيه إليه مرة أخرى ، وقال :

ـ ألم أقل لك : إنك عبقرى .

نطقها بلهجة مخيفة ، قبل أن يدير فوهة سلاحه نحو الدكتور (جلال) ، مستطردًا فى شراسة :

ـ وليس هناك أفضل من عبقرى ، كفاتح للشهية .

تراجع الدكتور (جلال) ، هاتفًا :

ـ لا .. ليس ..

قبل أن يتمَّ هتافه ، ضغط الشبح زناد سلاحه ، فانطلقت منه فقاعة أرجوانية ، مع ضوء ساطع ..

وتألَّق جسد الدكتور (جلال) لحظة ، انقلبت خلالها سحنته ، على نحو يوحى بأنه يشعر بآلام شديدة ..

ثم اختفى كيانه كله بغتة ، أمام أعين الجميع ..

وفى هدوء ظافر ، استدار إليهم الشبح ، وهو يقول :

ـ سلاح عجيب .. أليس كذلك ؟! لقد بهرنى منذ اللحظة الأولى ، لوصولى إلى عالم المستقبل ، بكل تطوّره وتكنولوجيته .. سلاح يقرأ أفكارك ، ويختار من بين ثلاث وسائل ، وثلاث قذائف مختلفة .. رائع هو التقدُّم العلمى .. أليس كذلك .

قالها ، ثم أشار بيده ، فارتفعت فوهات أسلحة الأشباح الآخرين نحو الرئيس ، والقائد الأعلى ، ومدير المخابرات ، فهتف الأوَّل فى غضب :

ـ قتلنا لن يفيدك يا هذا !

رفع الشبح حاجبيه فى سخرية ، قائلاً :

ـ حقًّا ؟!

ثم انطلقت من حلقه ضحكة عالية ساخرة ، قبل أن يضيف :

ـ لم أكن أدرك أبدًا أن الحرب ، مع زمن ماضٍ ، ستكون ممتعة إلى هذا الحد .. إنك تتحدَّث عن مستقبل ، هو بالنسبة لنا مجرَّد تاريخ أيها الرئيس .. ليس هذا فحسب ، وإنما هو واقع ، خبرناه مرتين قبل الآن .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يسأل القائد الأعلى فى عصبية واضحة :

ـ أى معنى هذا ، الذى تحمله عبارتك الأخيرة ؟!

هزّ الشبح كتفيه ، وقال :

ـ معنى لن يدركه عقلك قط يا رجل .. معنى يحتاج إلى عبقرى ؛ لفهمه واستيعابه .

ثم مال إلى الأمام ، مضيفًا فى مقت :

ـ ولكن يكفى أن تعلموا أن ذلك القرار ، الذى كنتم بصدد اتخاذه ، كان كفيلاً بنسف عمليتنا كلها .

سأله الرئيس ، فى حذر خافت :

ـ أى قرار تعنى ؟!

على الرغم من كيانه نصف الشفاف ، بدا تألُّق عينيه واضحًا ، وهو يقول :

ـ سحق منطقة الوصول ، بقنبلة نووية محدودة .

التقى حاجبا الرئيس فى شدة ، فى حين هتف مدير المخابرات :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .. كان ينبغى أن نتخذ القرار بأقصى سرعة .

أجابه الشبح فى سخرية :

ـ كنا سنعلم أيضًا يا هذا .

ثم رفع فوهة سلاحه نحوهم ، مستطردًا :

ـ ولم تكن النتيجة لتختلف .

أزاح مدير المخابرات رئيس الجمهورية بيده ، وهو يقول فى صرامة ، ملوِّحًا بمسدسه أمام وجهه :

ـ لن يمس أحدكم شعرة واحدة من الرئيس ، إلا على جثتى .

هزّ الشبح كتفيه فى لا مبالاة ، قائلاً :

ـ لا بأس .. إنه اختيارك .

أدار مدير المخابرات فوهة مسدسه فى سرعة ، وأطلق النار مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن رصاصاته الثلاث اخترقت الأجساد الشبحية ، وارتطمت بجدران القاعة المعدنية قبل أن يبتسم شبح ابن السيِّد (أمجد) ، ويهزّ رأسه ، قائلاً :

- إنهم لايتعلمون أبدًا ..

وضغط زناد سلاحه ، فانطلقت منه فقاعة صفراء هذه المرة ، ارتطمت بجسد مدير المخابرات ، ودفعته جانبًا فى عنف ، ليرتطم بالجدار ، وتجحظ عيناه عن آخرهما ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفى هدوء يحمل زهوًا واضحًا ، قال الشبح :

- والآن ..

وفى القاعة الصغيرة ، تألّق ضوء قوى ..

ثم خبا ، تاركًا خلفه قاعة خالية ..

تمامًا .

* * *

٥- بين الأشباح ..

همست (نشوى) ، وهى تراقب مبنى المخابرات العلمية ، عبر منظارها الخاص بالرؤية الليلية :

- المكان هادئ للغاية ، على نحو يكاد يلتهم أعصابى قلقًا .

غمغم (طارق) ، وهو يراقب المكان بمنظار مماثل :

- ما يقلقنى أكثر ، هو أن مبنى الحراسة خالٍ تمامًا ، فى هذا الوقت المتأخر .

ضغط زرًا فى منظاره ، فاقتربت الصورة أكثر ، وبدا مبنى الحراسة ، فى واجهة مبنى المخابرات العلمية ، وهو خال من رجال الأمن تمامًا ، فغمغم (طارق) :

- آه .. لقد ربحوا هذه الجولة أيضًا .

فهمت (نشوى) ما يعنيه على الفور ، فغمغمت فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أمسك يدها بغتة فى قوة ، فانتفض جسدها ، وهى تقول :

ـ ماذا هناك .

أشار بيده إلى المبنى ، قائلاً فى انفعال :

ـ الأشباح .

ضغطت زر منظارها بدورها ، وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تتطلَّع إلى شبح يعبر بوَّابة الأمن ، وهو يحمل سلاحه ، ثم يتلفت حوله فى اهتمام ، قبل أن يقف أمام كمبيوتر مبنى الأمن ، فتمتمت بصوت مرتجف :

ـ أهكذا تبدو الأشباح ؟!

ضغط كتفها فى رفق ، وهو يتابع ما يفعله الشبح فى اهتمام بالغ ، دون أن يُعلِّق على عبارتها ..

فلثوان ، ظلَّ الشبح واقفًا أمام الكمبيوتر ، ثم لم يلبث أن ضغط زرًا فى حزامه ، فتموَّج جسده الشبحى لحظة ، ثم تجسَّد فى هيئة مادية ، جعلت (نشوى) تهتف :

ـ يا إلهى ! إنها أحزمتهم التى ..

رفع (طارق) سبَّابته إلى شفتيه فى سرعة ، وهو يضغط يدها ؛ لتلزم الصمت ..

ولكن جهاز الاستماع الدقيق ، فى خوذة ذلك الشبح ، كان قد التقط هتافها بالفعل ؛ لذا فقد التفت إلى حيث يختفيان ، فى حركة حادة ، قبل أن يضغط ذلك الزر فى حزامه مرة أخرى ، ليتموَّج جسده ، ثم يستعيد هيئته الشبحية ، وهو يرفع سلاحه ، ويتجه نحوهما مباشرة ..

وفى ارتياع شديد ، همست (نشوى) :

ـ رباه ! إنه ..

ضغط (طارق) يدها ، قبل أن تكمل عبارتها ، وهمس فى حزم :

- اطمئنى .

وسحب سلاحًا من حزامه ، وهو يضيف ، بكل حزم وصرامة الدنيا :

- سيكون عليه أن يمزقنى إربًا ، قبل أن يمسَّ شعرة واحدة منك .

قالها ، ثم ربَّت على كتفها مهدئًا ، والتقط من جيبه منظارًا خاصًا ، وضعه على عينيه ، قبل أن يلتقط نفسًا عميقًا ، ثم يثب من مكمنه ، ويندفع نحو ذلك الشبح بغتة ..

كان الشبح قد اقترب حتى مسافة سبعة أمتار من مكمنهما ، عندما فوجئ بـ (طارق) ينقضّ عليه بغتة ، فرفع سلاحه نحوه فى صرامة ، و ...

وأطلق (طارق) سلاحه أولاً ..

ولم تدر (نشوى) ما الذى فعله سلاحه بالضبط ، ولكنها رأت ذلك الشبح يرفع يديه إلى عينيه ، على نحو يوحى بأنه قد تلقى ضوءًا عنيفًا مؤلمًا مباغتًا ، إلى حد أنه قد ترك سلاحه يسقط أرضًا ..

ووثب (طارق) ، ليقطع المسافة المتبقية ، بينه وبين الشبح ، وهو يسحب من حزامه أسطوانة صغيرة ، غرسها فى الأرض ، عند قدمى الشبح مباشرة ، فى نفس الوقت الذى رفع فيه هذا الأخير يديه عن عينيه ، ثم انحنى يستعيد سلاحه ، وهو يطلق سبابًا ساخطًا غاضبًا ..

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، عندما رأت جزءًا من جسد الشبح نصف الشفاف ، يعبر جسد (طارق) ، الذى ضغط زرًّا صغيرًا فى تلك الأسطوانة ، فى نفس اللحظة التى اعتدل فيها الشبح ، وصوَّب إليه سلاحه ، وقدر هائل من المقت والغضب يطلّ من عينيه ..

ثم سمعت (نشوى) فرقعة مكتومة ..

فرقعة خافتة للغاية ، انبعثت من تلك الأسطوانة ، عند قدمى الشبح ، دون ضوء أو دخان ..

وانتفض جسد الشبح فى عنف ..

وأطلّت من عينيه نظرة رعب هائلة ..

ثم تموّج جسده فى قوة ..

وسقط سلاحه من يده ..

وفى مشهد رهيب تحلّل جسده كله ..

وتلاشى مع سلاحه من الوجود ..

تمامًا ..

وفى انبهار يموج بالانفعال ، اندفعت (نشوى) نحو (طارق) ، هاتفة فى خفوت مذعور :

ـ ماذا أصابه ؟! وما هذه الأسطوانة ؟!

لهث (طارق) ، وكأنما بذل جهدًا رهيبًا ، وهو يجيبها فى صوت ، حمل قدرًا هائلاً من الإجهاد :

ـ نوع من القنابل الارتجاجية المحدودة ، ذات طابع خاص للغاية ؛ فانفجارها يخلّ بالتوازن الخلوى ، للمسافرين عبر الزمن ، و ...

لم يستطع إتمام عبارته ، وهو يلهث بعنف أكثر ، فاتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تهتف فى همس يموج بالرعب :

ـ رباه ! أنت أيضًا مسافر عبر الزمن .. رباه ! رباه !

أدركت على الفور أن تلك القنبلة الارتجاجية قد أخلّت بتوازنه الخلوى أيضًا ، فجاهدت وهى تجذبه نحو السيارة ، التى تختفى خلف حاجز أمنى قصير ، مردّدة فى ارتياع :

ـ يا إلهى ! لماذا فعلتها ؟! لماذا جازفت بحياتك هكذا ؟!

جاءها صوته ضعيفًا متهالكًا ، وهو يتمتم :

ـ كان من الضرورى أن أحميك منه .

هتفت مستنكرة :

- على حساب حياتك ؟!

رفع عينيه المجهدتين إليها ، وهمس :

- لايمكن أن أفقدك مرتين .

اتسعت عيناها فى ارتياع لقوله ، وهتفت ، وهى تدفعه داخل السيارة :

- مرتين ؟! ماذا تعنى بهذا ؟!

ولكنها لم تحصل منه على أى جواب ..

هذا لأنه قد سقط فى غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..

عميقة ..

للغاية ..

وفى نفس لحظة سقوطه ، برز شبحان عند مدخل مبنى المخابرات العلمية وهما يحملان سلاحيهما ، ويتلفتان حولهما فى توتر ..

وحبست (نشوى) أنفاسها ، وهى تختلس النظر إليهما ، من مكمنها المؤمَّن ، وبدا لها من الواضح أنهما يبحثان عن زميلهما الغائب ..

ثم رأتهما يتطلعان نحو الحاجز الأمنى مباشرة ، وأحدهما يشير إلى حيث تختفى، مع (طارق) والسيارة..

وفى حزم ، اتجه الشبحان نحوها ، وسلاحهما مشهوران فى تحفز ..

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، وهى تتطلع إلى (طارق) الفاقد الوعى ، داخل سيارتها ، والشبحان يقتربان ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وبدا من الواضح أن المواجهة الحاسمة ستحدث ، خلال دقائق معدودة ..

المواجهة مع تلك الأشباح ..

القاتلة ..

* * *

« استيقظ أيها الرائد (هيثم) .. »

التقطت أذنا (هيثم) العبارة ، بصوت هادئ مألوف ، فاستيقظ عقله من غيبوبته العميقة دفعة واحدة ، وتمتم :

ـ أين أنا ؟!

أتاه الصوت نفسه ، يقول :

ـ هنا .

كرّر فى حيرة :

ـ هنا ؟!

أتاه الصوت نفسه ، يجيب :

ـ نعم .. هنا .. فى العدم .

الكلمةَ الأخيرة جعلته يستعيد إدراكه كله دفعة واحدة ، ويفتح عينيه عن آخرهما ، لترتطما بذلك الفراغ الهائلِ ، المحيط به من كل جانب ، قبل أن يعتدل ، هاتفًا :

ـ العدم ؟!

أدار عينيه ، ليتطلّع إلى خبير الأشعة وخبيرة الصوتيات ، اللذين يجلسان على مقربة منه ، بوجهين شاحبين ممتقعين ، وقال فى توتر :

ـ من منكما أيقظنى ؟!

بدت عليهما دهشة حقيقية ، وخبيرة الصوتيات تقول :

ـ أيقظك ؟! إننا لم نوقظك .. لقد استيقظت وحدك .

قال فى دهشة عصبية متوترة :

ـ وحدى ؟! ولكننى سمعت صوتًا يـ ..

بتر عبارته بغتة ، دون سبب منطقى ، فغمغم خبير الأشعة ، بصوت أكثر شحوبًا من وجهه :

ـ صوت ؟! أى صوت ؟!

لوَّح (هيثم) بيده ، قائلاً :

ـ لا بأس .. يبدو أنه مجرَّد حلم .

تبادل الخبيران نظرة حائرة ، قبل أن تقول خبيرة الصوتيات فى عصبية :

- هل تعلم .. لقد ناقشنا نظريتك ، ووجدنا أنها صحيحة تمامًا .

سألها فى حيرة حذرة :

- أية نظرية ؟!

أجابه خبير الأشعة فى سرعة ، بنفس الصوت الشاحب :

- إننا بالفعل فى فجوة زمنية .

انعقد حاجبا (هيثم) ، دون أن يجيب ، فقالت خبيرة الصوتيات :

- إنه جيب زمنى ، لو شئت الدقة .. جيب يجعلنا ضائعين ، أو معلقين فى مجرى الزمن ..

بدا عليه الانتباه والاهتمام ، فأكمل خبير الأشعة :

- بالنسبة لنا ، سيظلّ الزمن دائمًا فى نقطة الصفر ، وهذا يعنى أننا مهما ظللنا هنا ، فسنعود فى النهاية

إلى نقطة قريبة للغاية ، من تلك التى اختفينا عندها .

تساءل (هيثم) فى اهتمام :

- وماذا عن ذلك الديناصور ، الذى ظهر عندما ..

قاطعته خبيرة الصوتيات فى توتر :

- مشكلتنا هنا أننا معلقون فى مجرى الزمن ، كما سبق أن أخبرتك ، وهذا يعنى أنه لدينا مخرج لكل زمن ، وكل عصر من عصور ما قبل التاريخ ، وحتى نهاية العالم .. ولكن الكارثة أننا لا نعلم أية نقطة يمكن أن تقودنا إلى أى زمن .

غمغم :

- هل تعنين أن ما أصاب قائد الطوّافة المسكين ، كان مجرّد مصادفة ؟!

زفر خبير الأشعة ، وهو يهزّ رأسه مجيبًا فى مرارة :

- للأسف .. المسكين أطلق أشعة مسدسه عشوائيًا ،

ولكنها سَبَّبت خللا ما فى الفراغ الزمنى ، أدّى إلى حدوث ذلك الشقّ ، الذى أطل على عصر الديناصورات ، فى عصور ما قبل التاريخ .

هزّ (هيثم) رأسه ، متمتمًا فى أسى :

ـ يا للبائس المسكين !! وياله من مصير بشع ، ذلك الذى ينتظره ، فى عالم من الوحوش الكاسرة ، ليس به بشرىّ سواه .

عضت خبيرة الصوتيات شفتيها ، مغمغمة فى مرارة :

ـ لست أظنه سيعانى هذا طويلاً .

انحدرت دمعة من عينيها ، مع نهاية عبارتها ، فازدرد (هيثم) لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

ـ أعلم هذا .

تحشرج صوته وهو ينطقها ، فتنحنح فى قوة ، وتوترت أعصابه ، وهو ينهض قائلاً :

ـ يا إلهى ! كم أشعر بالعطش .

تبادلت خبيرة الصوتيات نظرة سريعة مع خبير الأشعة ، قبل أن تقول :

ـ هذه مشكلة أخرى .

أدار (هيثم) عينيه إليها فى تساؤل قلق ، فأكمل خبير الأشعة فى توتر :

ـ صحيح أن الزمن هنا يساوى صفرًا ، إلا أنه من الواضح أن معدلاتنا الحيوية تعمل بنفس إيقاعها التقليدى .

تساءل (هيثم) ، فى حذر أكثر :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته خبيرة الصوتيات ، وصوتها يشف عن توترها اللا محدود :

ـ يعنى أن البقاء هنا ، دون وجود مخرج ، يعنى أن نقضى نحبنا جوعًا وعطشًا .

وأضاف خبير الأشعة فى مرارة :

ـ فى قلب العدم .

والتقى حاجبا الرائد (هيثم) فى شدة أكثر وأكثر ..

فهذا يعنى أنه إما أن يجدوا مخرجًا من هذا الفخ الزمنى الرهيب ، أو تكون نهايتهم هى الموت ..

الموت ..

وبأبشع وسيلة ممكنة ..

* * *

ظلام دامس ، أحاط بـ (طارق) من كل جانب ..

ظلام ، بدا على الرغم من كل ما يملؤه من رهبة ، مألوفًا معتادًا ، حتى إن (طارق) قد شعر داخله بهدوء شديد ، جعل كل جسده يسترخى ..

ومع استرخائه ، انطلق عقله يستعيد ذكرى قريبة .. بالنسبة له وحده ..

« الواجب يناديك مرة أخرى يا (طارق) .. »

قالها القائد الأعلى للمخابرات العلمية الحربية فى زمنه ، فشدّ هو قامته ، وقال فى حزم صادق :

ـ وأنا على أهبة الاستعداد يا سيدى .

تطلّع إليه القائد الأعلى بضع لحظات ، ثم قال فى حزم :

ـ دوريات مراقبة الزمن كشفت موجة شديدة الخطورة يا (طارق) ، موجة أحدثت بالفعل تموجات مخيفة ، تهدّد مستقبل الأرض كله بالفناء .

ثم ناوله أسطوانة صغيرة ، لا يزيد قطرها على ثلاثة سنتيمترات ، وهو يضيف :

ـ هنا ستجد كل المعلومات الممكنة ، التى رصدتها وسجلتها دوريات مراقبة الزمن ، مع التاريخ الافتراضى ، الذى نشأ عن تلك التموجات .

واعتدل فى حزم ، مكملاً :

ـ الأمر جد خطير يا (طارق) ، إلى الحد الذى قد تدفع حياتك نفسها ، فى سبيل منع حدوثه ، لو اقتضى الأمر .

« الأمر خطير يا (طارق) .. »

« خطير .. » ..

« خطير .. » ..

تردّدت الكلمة ، بصوت القائد الأعلى لزمنه ، فى كل ذرة من كيانه ، فخفق قلبه معها ، وأراد أن يهتف بأنه مستعد لبذل حياته دومًا ، فى سبيل واجبه ، و ...

« أنت أمل الأرض الأخير يا (طارق) .. »

تسلّلت العبارة الجديدة إلى كيانه ، بصوت يخالف صوت القائد الأعلى لزمنه ، فسرت فى جسده قشعريرة ، جعلته يهتف :

- المقدّم (نور) .

تبدّد الظلام بضوء بنفسجى هادئ ، ظهر على أثره (نور) ، وهو يتجه نحوه ، مكررًا :

- أنت أمل الأرض الأخير ، بعد اللّه (سبحانه وتعالى) .

اعتدل جالسًا ، وغمغم فى قلق :

- الأمر ليس هينًا .

جلس (نور) إلى جواره ، وقال فى هدوء :

- أعلم هذا .. إنه أمر خطير للغاية .. وخاصة مع خصوم بهذه الشراسة ، ولكنك تمتلك معلومات كافية ، و(نشوى) إلى جوارك ، بذكائها ، وخبرتها العبقرية فى العلوم والكمبيوتر ، ولو تعاونتما ، سيمكنكما تحقيق الكثير .. والكثير جدًا .

تساءل فى اهتمام :

- كيف ؟!

رفع (نور) سبّابته إلى رأسه ، قائلاً بابتسامة هادئة :

- فكّر يا (طارق) .. فكّر .. لقد ورثت الذكاء والحكمة ، ولديك المعلومات والتكنولوجيا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

- هناك وسيلة ما حتمًا يا (طارق) .. وسيلة ما .

وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يلمس رأسه بسبَّابته ، مضيفًا فى حزم :

ـ هنا .

انتفض جسده كله فى عنف ، مع لمسة سبَّابة (نور) لرأسه ، واعتدل جالسًا فى حركة حادة ..

ثم انعقد حاجباه عن آخرهما ، وهو يحدِّق فى (نشوى) ، التى تجلس أمام شاشة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، والتى التفتت إليه ، قائلة فى لهفة :

ـ هل استعدت وعيك .. عظيم .. هيا .. قف على قدميك ، فليس لدينا وقت نضيعه .

تلفَّت حوله ، وهو يتساءل فى حيرة :

ـ أين نحن ؟!

أجابته فى سرعة ، وأصابعها تواصل القفز على أزرار الكمبيوتر :

ـ إننا هنا .. فى مقر الفريق .. لقد توصَّلت إلى أمر مهم وخطير للغاية ، بشأن هؤلاء المستقبليين .

التقى حاجباه ، وهو يتلفَّت حوله مرة أخرى ، قائلاً :

ـ فى مقر الفريق ؟! ولكن هذا غير ممكن !

توقَّفت أصابعها عن الضرب على أزرار الكمبيوتر ، والتفتت إليه ، متسائلة فى اهتمام :

ـ ولِمَ لا ؟!

أشار بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ لأن تلك الأشباح تسيطر على مبنى المخابرات العلمية ، ومقر الفريق داخل المبنى ، و ...

« عبقرى آخر .. » ..

انبعث الصوت من خلفه ، فاستدار إلى مصدره فى سرعة ، ورأى شبحًا يصوِّب إليه سلاحه ، ثم يضغط زناده ، فتنطلق منه فقاعة صفراء قاتلة ..

وانتفض جسده مرة أخرى ..

ثم استعاد وعيه بحق هذه المرة ..

وفتح عينيه ، ليخرج من حلمه ..



وبحركة سريعة ، مال خارج السيارة ، وجذب (نشوى) إليه ، وهو يهمس فى حزم : ـ ليس مرة أخرى !! ..

ويا له من حلم مزدوج عجيب !!

وبسرعة ، انتبه لما حوله ..

كان داخل سيارة (نشوى) ، خلف ذلك الحاجز الأمنى ، والظلام يحيط به ، الا من الضوء المنبعث من مبنى المخابرات العلمية ، على بعد مائة متر تقريبًا ..

واعتدل (طارق) فى سرعة ، والتقى حاجباه فى شدة ، عندما شاهد (نشوى) تحاول التعامل مع أسطوانة تفجير إرتجاجية زمنية ، انتزعتها من حزامه ، فى أثناء سقوطه فِى غيبوبته ، ورأى شبحين يقتربان من الحاجز فى تحفز ، وسلاحهما مشهران متحفزان ..

وبحركة سريعة ، مال خارج السيارة ، وجذب (نشوى) إليه ، وهو يهمس فى حزم :

ـ ليس مرة أخرى .

انتفض جسدها لجذبته المفاجئة ، وكتمت شهقتها فى حلقها ، وهى تحدّق فيه ، فالتقط الأسطوانة الارتجاجية من يدها ، ودسّها فى حزامه ، ودفعها هى داخل السيارة ، هامسًا :

ـ المواجهة ليست خيارًا ذكيًا هذه المرة .

أغلق باب السيارة فى رفق ، ثم أدار محركها ، وهى تهتف فى خفوت متوتر :

ـ رباه ! سيسمعان صوت المحرك !

كان الشبحان قد انطلقا يعدوان نحوهما بالفعل ، فور إدارته للمحرك ، فضغط دوّاسة الوقود فى قوة ، وهو يقول فى حزم :

ـ فليكن .

اندفعت السيارة فى قوة مباغتة ، وإطاراتها تطلق صرخة عالية ، وحطمت جانب الحاجز الأمنى ، ثم وثبت نحو الشبحين ، و(طارق) يدير عجلة قيادتها بحركة حادة مدروسة ..

وعلى نحو مباغت ، اخترقت السيارة جسدى الشبحين ، على نحو جعل (نشوى) تطلق شهقة مذعورة ، قبل أن تندفع السيارة مبتعدة ..

وبأقصى سرعة ..

وفى غضب هادر ، استدار الشبحان إلى السيارة ،

وارتفعت فوهات سلاحيهما ، وانطلقت الفقاعات الصفراء القاتلة ..

وصرخت (نشوى) :

ـ إنها تطاردنا .

التقى حاجبا (طارق) ، وهو يتطلّع عبر مرآة السيارة ، إلى الفقاعات الصفراء الأربع ، التى راحت تطارد السيارة فى إلحاح ، ثم ألقى نظرة على الطريق المظلم أمامه ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ قومى بتصحيح معلوماتى .. هل تم تزويد السيارات بالقيادة الآلية ، فى هذا العصر ؟!

أجابته فى توتر :

ـ ليس بصورة عامة ، ولكن هذه السيارة مزوّدة بقائد آلى .

ثم تساءلت فى عصبية :

ـ ولكن لماذا تسأل ؟!

فوجئت به يتخلَّى عن عجلة القيـادة ، قائـلاً فى حزم :

ـ قومى بتشغيله إذن .

شـهقت مـرة أخـرى فى ذعـر ، عنـدما دفع جسـده إلـى ، المقعد الخلفــى ، وعينــاه تتابعـان الفقاعـات الصفراء الأربع ، التى تواصل مطاردتها للسيارة فـى شراسة ، وتقتربان منها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وبكل توترها ، مالت (نشوى) بجسدها ، محاولـة احتلال مقعد القيادة الذى تخلَّى هو عنه ، وانحنت بحركة حادة ، لتضغط زرًّا أسفل تابلوه القيادة ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !! يا إلهى !

أما (طارق) نفسه ، فقد أدار يده خلف ظهره ، وجذب من حزامه كرة هلامية صغيرة ، وهو ينتزع مسدسه باليد الأخرى ، ويطلقه على الزجاج الخلفـى للسيارة الذى تهشَّم بدوى عنيف ، جعل (نشوى) تصرخ :

ـ ماذا تفعل ؟! رباه ! ماذا تفعل ؟!

لمحته فى المرآة الداخلية ، وهو يحمل مسدسـه ، فى مواجهة تلك الفقاعات الأربع ، التى اقتربت من السيارة على نحو مخيف ، فهتفت :

ـ هل .. هل سيمكنك إطلاق النار عليها ، فى هذه الظروف ؟!

أجابها فى حزم :

ـ إطلاق النار لن يفيد ؛ فهذا النوع من القنابل الذكيـة يمتلك قدرة مدهشـة ، علىَ تجاوز الرصاصات وخيـوط الأشعة وتفاديها بمناورات معقَّدة ناجحة .

هتفت ، وهى ترتجف :

ـ ماذا ستفعل إذن ؟

رفع الكرة الهلامية الصغيرة ، وهو يجيب :

ـ سأستخدم سلاحًا مختلفًا .

قالها ، وقذف الكرة فى الهواء ..

وعلى نحو عجيب ، تمدَّدت الكرة الهلامية ، وتفلطحت ، وصنعت ما يشبه غشاءً نصف شفاف ، انجذبت إليه الفقاعات الأربع ، والتصقت به فى قوة ، فالتفَّ حولها ، وحدَّ من سرعتها وانفعالها ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، أضاء منطقة واسعة ، خلف سيارة (نشوى) ، التى أطلقت شهقة أخرى ، والسيارة تبتعد بها وبـ (طارق) عن مبنى المخابرات العلمية ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

وعند المبنى نفسه ، صرخ أحد الشبحين بسباب ساخط ، فبرز من خلفه شبح ابن السيِّد (أمجد) يقول فى صرامة :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه أحدهما فى عصبية :

ـ أمر جديد ، لم يحدث فى المرتين السابقتين .

انعقد حاجباه ، وهو يتساءل :

ـ وما هو ؟!

ضغط أحدهما زر جهاز صغير يحمله ، وهو يقول فى توتر :

ـ سترى بنفسك .

قبل حتى أن تكتمل عبارته ، بدأ الجهاز يبث صورة هولوجرامية مجسمة لسيارة (نشوى) ، وهى تثب نحوهما ، وتخترقهما ، ثم تنطلق مبتعدة ، وهما يطلقان خلفها فقاعاتهما القاتلة ..

وانعقد حاجبا الشبح أكثر ، وهو يقول :

ـ هذه السيارة ، وهذا الشاب .. إننى ..

لم يتمّ عبارته ، وإنما انخرط فى تفكير عميق بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم صارم :

ـ استخدم جهاز المعلومات المتطوِّر ، ولنر ما لدينا عن السيارة ، وذلك الشاب الذى يقودها .

ضغط أحد الشبحين زرًا آخر فى جهازه الصغير ، فتركز المشهد عند رقم سيارة (نشوى) ، ثم استدعى ملف بيانات ذلك العام ، من القرن الواحد والعشرين ، وسرعان ما ارتسمت صورة واضحة لـ (نشوى) على الشاشة ، وإلى جوارها كل البيانات الخاصة بها ، فتألقت عينا شبح ابن السيِّد (أمجد) وهو يقول :

ـ آه .. إنها عبقرية الكمبيوتر .. ابنة (نور) و(سلوى) ، التى سيتحدَّث العالم كله عنها ، بعد سنوات من الآن ..

صمت بضع لحظات ، وهو يراجع البيانات على شاشة الجهاز ، قبل أن يقول :

ـ وماذا عن قائد السيارة ؟!

مع ضغطة زر آخر ، تركَّز المشهد على وجه (طارق) ، من خلف زجاج السيارة ، فى عدد مختلف من اللقطات ..

ثم راح الجهاز يرسم صورة مجسمة لوجهه ، قبل أن يراجعها على ملف بيانات العام ..

والتقى حاجبا شبح ابن السيِّد (أمجد) فى شدة ، عندما جاءت النتيجة سلبية تمامًا ..

وفى دهشة بالغة ، هتف أحد الشبحين :

ـ ولكن هذا مستحيل ! ملفاتنا عن هذا العصر كاملة تمامًا ، ولقد راجعها خبراؤنا أكثر من مرة .

لمْ يعلِّق شبح قائدهم بحرف واحد ، وهو يطالع الصورة المجسَّمة ، على شاشة الجهاز الصغير ، والبيان السلبى إلى جوارها ، فى حين راح عقله يعمل كالصاروخ ، فى محاولة لاستيعاب الأمر ..

وبعد نصف دقيقة من الصمت ، قال فى صرامة :

ـ راجع بيانات عصرنا نحن .

التفت إليه الشبح الآخر ، قائلاً فى دهشة :

ـ عصرنا ؟!

أجابه شبح القائد فى صرامة :

ـ نعم .. عصرنا .. العصر الذى أتينا منه .. هل يحتاج هذا إلى كثير من التفسير والتوضيح ؟!

تبادل الشبحان نظرة متوترة ، قبل أن يغمغم حامل الجهاز الصغير :

ـ كما تأمر أيها الزعيم .

مع ضغطة أزرار أخرى ، بدأت عملية مراجعة البيانات الجديدة ..

وفى هذه المرة ، جاءت النتيجة إيجابية ..

ومدهشة !

وانعقد حاجبا شبح القائد أكثر وأكثر ، وهو يطالع البيانات الجديدة فى حين هتف أحد الشبحين :

ـ يا للعجب ! إنه رجل مخابرات علمية ، من زمن يسبق زمننا بعدة أعوام فحسب !!

هتف الآخر :

ـ ولكن كيف ؟!

بلغ انعقاد حاجبى شبح الزعيم أقصاه ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن دوريات مراقبة الزمن قد رصدت الموجات الزمنية ، التى حدثت فى المحاولتين السابقتين .

وصمت بضع لحظات أخرى ، مفكرًا بنفس العمق ، قبل أن يتابع فى صرامة :

ـ والعجيب أن يرسلوا هذا الشخص بالذات .

ألقى نظرة أخرى على بيانات (طارق) ، قبل أن يضيف :

ـ السؤال هو : هل تعرف هى من يكون ذلك المنقذ المجهول ، الذى جاءها من المستقبل ؟!

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية ، وهو يستطرد :

ـ أراهن على أنها لا تعلم ، وإلا ما سمحت له بالمجازفة بنفسه أبدًا .

قالها ، وأطلق ضحكة وحشية عالية ..

ضحكة تشفَّ عن أن خطة شيطانية رهيبة تتكوَّن فى رأسه ..

أو هى قد تكوَّنت بالفعل ..

فكرة للسيطرة التامة على هذا الزمن ..

وعلى مستقبل الأرض ..

بأكمله .

★ ★ ★



٦ ـ شيطان المستقبل ..

« لا شيء هنا يمكن لمسه .. » ..

نطقت خبيرة الصوتيات العبارة فى توتر ، وهى تحرك يدها فيما حولها ، فى عصبية بالغة ، فقال الرائد (هيثم) فى صرامة :

ـ ولكننا نستطيع السير ، والحركة ، وهذا يعنى أنه هناك كيان ما ، يمكننا لمسه ، على نحو أو آخر .

سأله خبير الأشعة فى توتر :

ـ هل تشعر بأنك تسير على كيان ما ؟!

زفر (هيثم) ، وهو يلوِّح بيده ، قائلاً :

ـ كيف نسير إذن ؟!

قلبت خبيرة الصوتيات كفيها ، قائلة :

ـ لست أدرى حتى كيف نفعل هذا !! كيف نقف ،

أو نجلس ، أو حتى نحرك أيدينا وسيقاننا !! بل لست أدرى حتى لا نسقط عبر الفراغ .

قال خبير الأشعة فى عصبية :

- أو نطير إلى أعلى .

هتفت :

- نعم .. لماذا لا نفعل ، ما دام كل ما يحيط بنا مجرَّد فراغ ؟!

رفع الرائد (هيثم) سبَّابته ، وهو يقول فى صرامة ، لم تقلّ عنهما توترًا :

- هذا يثبت أنه هناك شىء ما حولنا .

ودار حول نفسه ، وهو يكمل :

- شىء قد لا نراه أو نرصده ، ولكنه هنا .

وسحب مسدسه من غمده ، هاتفًا :

- ربما لو أطلقنا أشعة الليزر مرة أخرى ..

صرخت خبيرة الصوتيات فى ارتياع :

- إياك أن تفعلها .

وارتجف صوتها فى قوة ، وهى تكمل :

- لا يمكننا أن نتوقَّع ما يمكن أن يحدث .

أضاف خبير الأشعة :

- ولا أى عصر ، يمكن أن ننفى فيه إلى الأبد .

قال (هيثم) فى عصبية :

- وما الفارق ؟! لو بقينا هنا ، سنلقى حتفنا جوعًا وعطشًا .

ثم رفع فوهة مسدسه الليزرى ، مستطردًا فى حزم :

- وأنا أفضّل الموت مقاتلاً .

خفق قلب خبيرة الصوتيات فى هلع ، وهى تهتف :

- لا .

استدار إليها بنظرة صارمة حازمة ، فانحدرت الدموع من عينيها غزيرة ، وهى تقول :

- فى المرة السابقة انشقَّ الجيب الزمنى لثوانٍ معدودة ، فقدنا خلالها الطيَّار ، وأصابنا خلل زمنىٌّ توازنى ، كاد يهلكنا جميعًا .

وانهارت تمامًا ، وهى تضيف :

- أرجوك لا تفعلها .. أرجوك .

تطلَّع إليها (هيثم) بضع لحظات ، قبل أن يخفض فوهة مسدسه ، قائلاً :

- أخبرينى .. لو أن الموت آت لا ريب ، فأيهما تفضلين ؟! موت سريع ، أم آخر قاسٍ بطىء ؟

قالت ، من وسط دموعها :

- لن أفضِّل الموت فى بطن ديناصور جائع على الأقل .

مط شفتيه ، ثم استدار إلى خبير الأشعة ، يسأله :

- من الناحية العلمية الإحصائية المحضة .. ما احتمالات أن نفتح شقًا ثانيًا ، فى زمن الديناصورات ؟!

بدت الحيرة فى وجه الخبير الشاب وصوته ، وهو يجيب فى حذر :

- لست أحمل الكمبيوتر اليدوى الصغير ، ولكننى أعتقد أنه احتمال يزيد على الواحد فى المليون .

رفع (هيثم) فوهة مسدسه الليزرى مرة أخرى ، وهو يقول :

- عظيم .

صرخت خبيرة الصوتيات ، بكل رعب الدنيا :

- لا .. باللَّه عليك .. لا .

ولكن سبَّابته كانت قد اعتصرت زناد مسدسه بالفعل ، قبل حتى أن يبدأ هتافها المذعور ..

وانطلقت أشعة الليزر ..

ولثوان ، لم يحدث أى شىء ..

أى شىء على الإطلاق ..

الفراغ ظلَّ فراغًا ، صامتًا ، ساكنًا ، يمتدّ إلى مدى البصر ، حتى إن خبير الأشعة قد غمغم فى حذر :

ـ لماذا لم ..

قبل أن يتمَ تساؤله ، انشق الفراغ بغتة ، على مسافة قريبة للغاية من ثلاثتهم ..

ثم هبَّت تلك الرياح ..

رياح ساخنة قوية ..

رياح جعلت خبيرة الصوتيات تطلق صرخة رعب هائلة ..

صرخة انتشرت فى الفراغ ، إلى ما لا نهاية ..

ومع صرختها ، بدت صورة واضحة ، من وراء الشق ..

صورة اتسعت لها عيونهم فى ذهول ..

فقد كان ما يرونه أمر غير متوقَّع أو متصورَّ ، أو حتى يمكن تخيُّله ..

على الإطلاق ..

* * *

تراجعت (هناء) زميلة (نشوى) ، فى ذعر ودهشة ، عندما فوجئت بهذه الأخيرة تقتحم المنزل فى عنف وهلع ، هاتفة :

ـ الصغيران .. أين الصغيران .

ارتجف صوت (هناء) ، على الرغم منها ، وهى تشير بيدها ، قائلة :

ـ إنهما نائمان كما تركتهما .. ولكن لماذا ..

لم تنتظر (نشوى) لتسمعها ، وانما انطلقت نحو حجرة الصغيرين ، فى حين دلف (طارق) إلى المكان ، وهو يقول :

ـ معذرة يا آنسة (هناء) .. لم نقصد أن نفزعك فى الواقع ، ولكن الأمور تطورَّت فى سرعة ، و ...

قاطعته فى توتر :

ـ من أنت ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ أحد أقارب السيِّدة (نشوى) .

سألته فى اهتمام ، لايتناسب مع الموقف :

- أية درجة من القرابة ؟!

ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

- درجة قريبة جدًا .

ظهرت (نشوى) فى تلك اللحظة ، وهى تحمل الصغيرين ، اللذين لم يفارقهما أثر النوم بعد ، وإن بدت عليهما دهشة مرتبكة ؛ لانتزاعهما من فراشيهما على هذا النحو ، وهتفت (نشوى) بـ (هناء) :

- عودى إلى منزلك فورًا يا (هناء) .. لا تبقى فى هذا المنزل لحظة واحدة بعد انصرافنا .

سألتها (هناء) ، وقد انتابها خوف مبهم :

- لماذا ؟! ماذا حدث ؟!

دفعت (نشوى) الصغيرين داخل السيارة ، ثم وثبت إلى جوار (طارق) وهى تلوّح بيدها ، هاتفة فى حدة :

- عودى إلى منزلك بالله عليك .. الآن .

قالتها ، و(طارق) ينطلق بالسيارة بالفعل ، فهتفت (هناء) :

- وما عيب هذا المنزل ؟! لماذا تغادرونه هكذا ؟!

لم تتلق منهما جوابًا ، فحدَّقت فى الظلام ، حيث اختفت السيارة ، وتمتمت فى توتر :

- ماذا أصابها ؟!

ثم هزَّت رأسها ، وتنهَّدت متمتمة :

- يا لأفراد المخابرات العلمية !! إنهم مجانين بحق .

هزَّت رأسها مرة أخرى ، وعادت إلى المنزل ؛ لتلتقط حقيبتها ، و ...

« السيِّدة (نشوى) .. »

انبعث الصوت من خلفها ، ومن داخل المنزل ، فاستدارت فى سرعة إلى مصدره ، وانطلقت من حلقها صرخة رعب ، وهى ترتدّ بعنف كالمصعوقة ، وعيناها المتسعتان عن آخرهما ، تحدقان فى تلك الشبح ، الذى عبر جدار منزل (نشوى) ، وهو يصوِّب إليها سلاحًا عجيبًا ..



انبعث الصوت من خلفها ، ومن داخل المنزل ، فاستدارت فى سرعة إلى مصدره ، وانطلقت من حلقها صرخة رعب ، وهى ترتدّ بعنف كالمصعوقة ..

وقبل أن تُطلق هى صرخة أخرى ، انطلقت من ذلك السلاح العجيب فقاعة .. فقاعة زرقاء ، لم تكد ترتطم بجسدها ، حتى انتفض فى عنف ، وكأنما أصابتها صاعقة ، وسقطت أرضًا كالحجر .

وبينما يخفض الشبح سلاحه ، عبر الجدار ذلك الشبح الزعيم ، وألقى نظرة على (هناء) الملقاة أرضًا ، ومطّ شفتيه ، قائلاً :

ـ غبى .

هتف الشبح الأوّل :

ـ ولكننى نفذت ما ..

قاطعه الشبح الزعيم فى غضب :

ـ لقد أصبت الهدف الخطأ .

والتقى حاجباه ، وهو يدير عينيه فى المكان ، مستطردًا :

- لو وصلنا متأخرين مرة أخرى ، أو أخطأنا هدفًا آخر ، فى ظل هذه الظروف ، ربما يضطرنا هذا إلى القيام بمحاولة رابعة .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى شراسة :

- ومصدر الطاقة لدينا لن يحتمل كل هذه الأخطاء .

غمغم الشبح الآخر فى توتر :

- كانت وحدها فى المنزل ، وتصوَّرت أن ..

قاطعه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- اصمت .

ثم راح يفكِّر بضع لحظات فى عمق ، قبل أن يشدَّ قامته ، قائلًا :

- أريد كل البيانات الخاصة بفريق (نور) .. كل البيانات ، مهما بلغت تفاهتها ، وبالذات بيانات الملف السرى الخاص .

وانعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يضيف فى صرامة وحشية :

- فأنا مصرّ على الانتصار فى هذه المحاولة .. ومهما كان الثمن ..

نطقها ، وعيناه الشبحيتان تتألقان على نحو مخيف ..

رهيب ..

وقاتل ..

* * *

ضغطت (نشوى) زر جهاز الإضاءة ، فى المخبأ السرى للفريق ، عند أطراف (القاهرة) الجديدة ، وهى تسأل (طارق) :

- هل ذكر التاريخ أمر هذا المكان ؟!

تلَفَّت (طارق) حوله ، وهو يغمغم :

- لست أذكر هذا قط .

ثم هزَّ رأسه ، مستطردًا فى إعجاب :

- كيف أمكنكم المحافظة على سريته ، إلى هذا الحد ؟!

أسرعت تجلس أمام جهاز كمبيوتر خاص بها ، وهى تقول :

- لا ينبغى أن يلقى رجل مخابرات علمية سؤالاً كهذا .

ابتسم ، مغمغمًا :

- صدقت .

أشعلت جهاز الكمبيوتر ، وهى تسأله فى اهتمام :

- كم تحمل من الأسطوانات الارتجاجية الزمنية ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

- ثلاثًا أخريات ، بخلاف تلك التى استخدمتها بالفعل ، ولكنه سلاح للطوارئ فحسب ، ومن غير المستحسن الإسراف فى استخدامه .

التفتت إليه ، متسائلة :

- ولماذا ؟! لو أنه لديكم قنبلة أكثر قوة ، من الطراز ذاته ، يمكننا استخدامها ، لإنهاء هذه المشكلة بأكملها .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- لو استخدمنا قنبلة ضخمة ، من الطراز الارتجاجى الزمنى ، لكانت كارثة ، فانفجارها سيؤدّى إلى حدوث اختلال زمنى ، فى منطقة بأكملها ، وهذا قد يُحدث ما يشبه موجة التضاغط ، التى يحدثها أى انفجار عادى ، ولكنها ستحدث فى مجرى الزمن ، وستعقبها أيضًا حالة تخلخل عنيفة .

بُهتَ صوتها ، وهى تسأله :

- وماذا يمكن أن يحدث ، فى هذه الحالة ؟!

زفر وهو يلوّح بيديه ، مجيبًا :

- حاولى أن تتخيّلى حالة تخلخل زمنى حاد .

هزّت رأسها ، قائلة بصوت أكثر شحوبًا :

- لا يمكننى تخيّل هذا أبدًا .

ابتسم ابتسامة باهتة ، قائلاً :

- أمر طبيعى .. أنا نفسى كنت عاجزًا عن تخيّله ،

منذ بضع سنوات ، ولكن ما إن تم كشف تقنية السفر عبر الزمن ، حتى راح مئات العلماء يدلون بدلوهم فيها ، لتنهمر المعلومات على نحو لم يسبق له مثيل .

تطلّعت إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تستدير إلى شاشة الكمبيوتر ، وتضرب أزراره فى عصبية ، قائلة :

- هل لا حظت أنك لا تجيب أسئلتى أبدًا ؟!

تطلّع إليها فى صمت ، فتابعت بعصبية أكثر :

- لم تجب سؤالى الآن ، ولم تجب سؤالى ، عندما سألتك :

من أين تستقى معلوماتك .

غمغم :

- ربما لأن الأمر عسير على الفهم .

قالت فى حدة :

- قلت : إننى شهيرة بعبقريتى فى عصرك .. أليس كذلك ؟!

ارتفع حاجباه فى تأثُّر ، وهو يتطلّع إليها فى صمت ، وهى تواصل الضرب على أزرار الكمبيوتر فى عصبية ، ثم عضّ شفته ، فى محاولة لكتمان انفعال جارف ، عبر كيانه كله ، فى موجة انسيابية حائرة ، وهو ينهض ، ليسألها فى صوت مختنق مبحوح :

- ماذا تفعلين ؟!

أدركت بذكائها أنه يحاول تفادى الإجابة عن أسئلتها ، فأجابته فى حدة :

- أجمع المعلومات .

جذب مقعدًا ؛ ليجلس إلى جوارها ، متسائلاً :

- أى نوع من المعلومات ؟!

صمتت لحظة ، فى محاولة للسيطرة على انفعالها ، قبل أن تجيب :

- أريد معرفة ما حدث ، فى مبنى المخابرات العلمية .

سألها فى اهتمام حقيقى :

- وكيف هذا ؟!

أشارت إلى شاشة الجهاز ، قائلة :

- هذا المخبأ سرى للغاية ، ولا يعرف بوجوده سوانا ، وسوى القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، والدكتور (جلال) ، مدير مركز الأبحاث ، ولاتوجد أية سجلات أو بيانات خاصة به ، فى أى مكان ، حتى فى المخابرات العلمية نفسها ، ولقد تم انشاؤه عقب انتهاء احتلال الأرض(*) ، حتى يكون وسيلة مقاومة أخيرة ، فى حالة سقوط كل الرموز الأساسية ، ومن أجل هذا الغرض ، تم تزويده بجهاز رصد سرى خاص ، لتسجيل كل ما يحدث ، فى رياسة الجمهورية ، ووزارة الدفاع ، ومبنى المخابرات العامة ، وقيادة المخابرات العلمية ، وذلك لتحديد ما أصابها ، واتخاذ اللازم ؛ لمواجهة أى عدو غير مألوف ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

قال فى حماسة :

- فكرة عبقرية .

غمغمت ، وهى تضغط زرًا أخيرًا ، ثم تتراجع فى مقعدها :

- إنها فكرتى .

ابتسم ، مغمغمًا :

- أمر طبيعى .

راح الاثنان يراقبان ما نقلته شاشات الرصد الداخلية ، فى مبنى المخابرات العلمية ، فى أثناء اقتحام الأشباح له ، و ...

« رباه ! إنه السيِّد (أمجد) .. » ..

هتفت بها (نشوى) فى ارتياع ، وهى تحدِّق فى صورة الشبح ، الذى يقود الحرب المحدودة ، فربَّت (طارق) على كتفها مهدئًا ، وهو يقول فى حزم :

- ليس هو .. إنه ابنه .

استدارت إليه فى ذعر ، هاتفة :

ـ ابنه ؟!

ربّت على كتفها مرة أخرى ، متمتمًا :

ـ إنها قصة طويلة ، سأشرحها لك بكل تفاصيلها ، عندما يوجد وقت لهذا .

مع آخر حروف كلماته ، توقّفت المشاهد على الشاشة فجأة ، فهتفت هى فى حنق :

ـ الأوغاد أفسدوا عملية الرصد ، بعد اقتحامهم للمكان بوقت قليل .

تراجع فى مقعده ، قائلاً فى مرارة :

ـ إنها مجرّد بداية .. إنهم سيسعون لإفساد أشياء عديدة .

قالت فى حزم :

ـ لا بد أن نمنعهم من هذا .

مال إلى الأمام ، قائلاً :

ـ منعهم من السيطرة على هذا الزمن ، وعلى مستقبل الأرض بالتالى ، يستلزم أمرين مهمين .

سألته فى اهتمام :

ـ وما هما ؟!

أجابها ، وهو ينهض من مقعده :

ـ كما أخبرتك .. هذه ليست أوّل محاولة لهم ، للسيطرة على هذا الزمن ، وهذا يعنى أننا ، حتى لو وجدنا وسيلة لهزيمتهم ، فسيعودون مرة أخرى ، وسيسعون لتصفيتك وتصفيتى ، قبل تكرار المحاولة .

تساءلت فى اهتمام :

ـ وكيف يمكن أن نمنعهم من العودة لتكرار المحاولة ؟! أعنى لو أننا وجدنا وسيلة لهزيمتهم هنا .

أشار بسبّابته ، قائلاً :

ـ بأن نمنعهم من العودة إلى زمنهم .

التقى حاجباها فى تساؤل ، فتابع فى حماسة حازمة :

- إغلاق الممر الزمنى ، بين زمنهم وهذا الزمن ، كفيل وحده بهزيمتهم ؛ لأن أجسادهم لن تحتمل البقاء إلى الأبد ، فى زمن يخالف زمنهم .. توازنهم الخلوى لن يحتمل هذا .. وهم يعلمون ، لذا فتدمير نقطة المرور سيدمِّر معنوياتهم ، ويجعل هزيمتهم أسهل ..

سألته فى اهتمام :

- وكم سيستغرق توازنهم الخلوى ، قبل أن ينهار فى زمننا هذا .

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

- ست وثلاثون ساعة .

هتفت بدهشة عارمة :

- فقط ؟!

رفع سبَّابته ، قائلاً :

- إنهم يتحركون بسرعة كبيرة ، وتذكَّرى أن كل هذا قد بدأ عند غروب الشمس فحسب ، وهى لم تشرق بعد حتى الآن .

التقى حاجباها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

- أنت على حق .

ثم لوَّحت بيدها ، متسائلة :

- ولكن ما الذى يمكنهم فعله ، للسيطرة على حاضرنا ومستقبلنا ، خلال هذه الساعات القليلة .

زفر فى قوة ، وهزَّ رأسه ، وهو يجيب :

- هذا ما لم نتوصَّل إليه قطّ .

هزَّ رأسه مرة أخرى ، قبل أن يتطلَّع إليها ، مضيفًا فى حزم :

- تذكَّرى أنهم من زمن يفوقنا بعدة أعوام ، وتكنولوجيتهم العامة تتفوَّق علينا كثيرًا ، وربما لديهم وسيلة ، تعجز عقولنا عن إدراكها وفهمها الآن .

استمعت إليه فى اهتمام ، ثم قالت فى حزم :

- بل ربما يكون الأمر أبسط من هذا بكثير .

سألها :

ـ ماذا تعنين ؟!

اعتدلت فى مقعدها ، مجيبة :

ـ صحيح أن المستقبل أمر ضخم ، ويحوى تطورات مذهلة ، ولكنك لا تستطيع أن تتصورَّ قط كم تبلغ بساطة تغيير مساره ، فلو أنك عدت إلى الماضى ، وقتلت (هتلر) مثلاً(*) ، وهو لا يزال طفلاً فى مهده ، فربما يمنع هذا قيام الحرب العالمية الثانية كلها ، بكل ما أحدثته من تغيرات ، رفعت (روسيا) و(أمريكا) إلى قمة العالم .. ولو أنك عدت لتمنع (تيودور هيرتزل) مثلاً ، من عقد المؤتمر الصهيونى ، لما برزت منظمات

(*) (أدولف هتلر) : (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م) : ديكتاتور ألمانى ، وزعيم الحزب النازى ، ومؤسس الرايخ الثالث ، اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، ثم أسس الحزب النازى ، نتيجة للأزمة الاقتصادية ، عام ١٩٢٩م ، وتم تعيينه رئيسًا للوزراء ، فى يناير ١٩٣٣م ، ثم رئيسًا للجمهورية عام ١٩٣٤م ، وأدت سياسته إلى الحرب العالمية الثانية ، التى انتهت بهزيمة (ألمانيا) وانتحاره .

صهيونية بعده ، وربما ما كان هناك وجود لدولة (إسرائيل) الدموية ، التى عانينا منها كثيرًا ، وهكذا .. باختصار ، من الممكن أن يكون ما تسعى إليه أمرًا بسيطًا فى ظاهره ، ولكن التدخل بشأنه ، فى مرحلة زمنية بعينها ، كفيل بتغيير مسار الأحداث كلها .

بدا عليه الاهتمام ، وهو يغمغم :

ـ أمر منطقى للغاية .

ثم اعتدل ، متسائلاً :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن يحدث فى هذا الزمن ، ليؤثر فى مستقبل الأرض كله ؟!

أشارت بيدها إليه ، قائلة :

ـ أخبرنى أنت .. أنت القادم من المستقبل .

التقى حاجباه بضع لحظات ، قبل أن يلتقط جهاز كمبيوتر يدويًا صغيرًا للغاية من حزامه ويضغط أزراره ، قائلاً :

ـ هذا يحتاج إلى مراجعة تاريخية شاملة .

كان تركيزه كله محصورًا فى مراجعة البيانات التاريخية المستقبلية ، التى تتراص على الشاشة الصغيرة لجهاز الكمبيوتر اليدوى ، عندما هتفت (نشوى) فجأة :

- يا إلهى !

رفع عينيه إليها ، هاتفًا فى توتر بالغ :

- ماذا حدث ؟!

أشارت إلى جهاز الرصد ، وامتقع وجهها بمنتهى الشدة ، وهى تقول بصوت مرتجف ، حمل كل ذعر وانفعال الدنيا :

- إنهم هنا .

أدار عينيه فى سرعة إلى شاشة الرصد ..

ورآهم ..

رأى تلك الأشباح المستقبلية الرهيبة ، وهى تحمل أسلحتها العجيبة ، وتتجه نحو المخبأ السرى للفريق .. مباشرة .

* * *

٧ـ الفارس ..

« ما هذا بالضبط ؟! »

هتفت خبيرة الصوتيات بالسؤال ، وهى تحدّق فى ذهول ، فى ذلك المشهد المبهر ، الذى يبدو من خلف الشق ، فى الفراغ الزمنى ..

مدينة رائعة ، تمتدّ إلى مدى البصر ، بمبانيها الشاهقة ، ذات الطراز المعمارى الفريد الأنيق ، والبحيرات الصناعية المنتشرة بينها ، والحدائق الغنّاء ، التى تمتدّ فى كل الاتجاهات ..

مشهد ، جعل خبير الأشعة يهتف ، بكل ما تموج به نفسه من انبهار :

- المستقبل ولا شك .

غمغم (هيثم) :

ـ المستقبل البعيد إذن ؛ فكل شىء يختلف عما نعرفه فى عالمنا .. كل شىء .

مرَّت فجأة مركبةٌ طائرة ، على بعد أمتار من الشق ، فاختلَّ توازن ثلاثتهم ، وخُيِّل إليهم أن أجسادهم تهوى فى الفراغ ، فهتف خبير الأشعة :

ـ رباه ! اختلال زمن آخر .

حاولت خبيرة الصوتيات أن تستعيد توازنها ، وهى تقول فى توتر :

ـ كلاً .. إننا لم نشعر بالألم أو الصداع ..

ترك (هيثم) جسده يسترخى ، حتى يمكنه السيطرة على توازنه ، وهو يقول :

ـ الأمر هذه المرة يختلف .. هناك شىء غير مألوف .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى صكّ أذنيه هدير عجيب ، جعله يعتدل ، إن صحّ هذا القول ، فى عالم من

الفراغ ، ويحدّق فى ذلك الشق ، المطلّ على العالم الغريب مرةً أخرى ..

والتقى حاجباه فى شدة ..

فهناك ، وأمام الشق تمامًا ، كانت هناك كرة شفّافة كبيرة ، معلّقة فى الهواء ، وبداخلها رجلان ، يحدقان فيه وفى زميليه ، فى ذهول لا يقل عن ذهولهم هم ، عندما انشقّ أمامهم الفراغ الزمنى ..

وفى توتر شديد ، غمغمت خبيرة الصوتيات ، وهى تتطلّع إلى الكرة الشفافة بدورها :

ـ إنهم يروننا .

غمغم خبير الأشعة :

ـ السؤال هو : ماذا سيفعلون ، بعد أن رأونا ؟!

بدت اللهفة فى وجهها وصوتها ، وهى تهتف :

ـ أتعشَّم أن تكون لديهم وسيلة ، لانتشالنا من هنا .

قال الرائد (هيثم) فى صرامة :

- هذا سيسلخنا من عالمنا إلى الأبد .

أجابه خبير الأشعة ، وهو ينهض ، ويلوّح بذراعيه فى انفعال :

- أليس هذا أفضل من الموت جوعًا وعطشًا .

قال (هيثم) فى توتر :

- ولكن ..

شىء ما فى أعماقه ، منعه من الاعتراض ، والخبيران يعدوان نحو ذلك الشقّ الزمنى ، ملوّحين بأذرعتهما فى لهفة ، باعتبارهما أمام أمل أخير فى النجاة ..

ولثوان ، ظلّت تلك الكرة الشفافة تحلّق أمام الشق ، والرجلان داخلها يتطلعان إليهم بنفس الدهشة ..

ثم فجأة ، انطلقت تلك الكرة مبتعدة ..

ومع ابتعادها ، صرخت خبيرة الاتصالات ، فى يأس وإحباط :

- لا .. لا تتركونا هنا .. لا ...

واتسعت عينا خبير الأشعة ، وتمتم فى مرارة :

لقد ابتعدوا .

أشار (هيثم) بيده ، قائلاً فى توتر :

- ولكن الشق الزمنى مازال مفتوحًا .

« إياك أن تقترب منه .. » ..

انبعث الهتاف من خلفه بغتة ، بصوت حازم صارم ، فاستدار بكل كيانه ، وهو يستلّ مسدسه بحركة غريزية ، و ....

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى نقطة ما من الفراغ ، برز منها جسد بشرى ، وتبعه آخر ..

وبكل ذهول الدنيا ، هتفت خبيرة الصوتيات :

- مستحيل !

فما رآه الثلاثة ، كان أمرًا مدهشًا ، ومنعطفًا مذهلاً .. فى مجرى الزمن ..

* * *

كل ذرة فى كيان (نشوى) توترت بشدة ، وهى تتطلَّع إلى الصغيرين ، اللذين استسلما للنوم ، على فراش صغير ، فى ركن المخبأ السرى ، ثم تنقل بصرها إلى شاشة الرصد ، التى تنقل صورة تلك الأشباح ، وهى تقترب ..

وتقترب ..

وتقترب ..

وفى حزم ، أشار إليها (طارق) ، قائلاً :

ـ اهدئى .

ثم تلفَّت حوله ، مستطردًا :

ـ ألا يوجد مكان خاص هنا ؟!

أشارت بيدها فى ذعر ، قائلة بصوت مبحوح :

ـ حجرات النوم الاحتياطية فحسب .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يسحب مسدسًا خاصًا من حزامه ، وقال فى لهجة صارمة :

ـ ابقىْ مع الصغيرين هنا إذن .. واستخدمى كل الوسائل المتاحة لتأمين المكان ، بعد خروجى من هنا .

هتفت فى ارتياع :

ـ خروجك ؟! ولكن ..

قاطعها فى حزم :

ـ إنهم قادمون ، ولا يمكننا منعهم .. من الواضح أنهم قد رصدوا ما فعلناه هنا ، بجهاز رصد إليكترونى خاص ، قادهم إلى المخبأ السرى .

غمغمت :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

تطلَّع إليها لحظة ، قبل أن يقول ، بكل حزم وصرامة الدنيا :

ـ سيكون عليهم أن يقتلونى ألف مرة ، قبل أن يمسّوا شعرة واحدة منك .

أدهشتها لهجته العاطفية الحاسمة ، فحدَّقت فى وجهه لحظة ، قبل أن يقول هو فى حزم :

- ابذلى قصارى جهدك .

ثم اندفع نحو مدخل المخبأ السرى ، ووثب عبره إلى الخارج ، قبل أن يغلقه خلفه فى إحكام شديد ..

ولثانية أو ثانيتين ، حدّقت فى الباب الذى أغلقه خلفه ، وفى رأسها يلتهب ألف سؤال وسؤال ..

ما الذى يعنيه بقوله هذا ؟!

ما الذى يدور فى أعماقه بالضبط ؟!

وثب إلى ذهنها خاطر أفزعها ، فهزّت رأسها فى قوة ؛ لتطرده ، قبل أن ترفع عينيها إلى شاشة الرصد ، وتتمتم :

- ساعده يا إلهى ! ساعده .

فى نفس اللحظة ، التى نطقت فيها عبارتها ، كان (طارق) يتسلّل فى خفة ، إلى منطقة تحجبه عن مجال رؤية تلك الأشباح ، وهو يضع على رأسه خوذة خاصة ، تتيح له القدرة على الرؤية فى الظلام ، والتقاط الأصوات البعيدة ..

وعلى مسافة أمتار قليلة منه ، توقّف الأشباح الخمسة ، الذين يقتربون من المخبأ السرى ، وقال أحدهم فى حزم شرس ، وهو يشير بيده :

- المنطقة ، التى نبحث عنها ، فى مكان ما هنا .. انتشروا ، وابحثوا عن أى مدخل سرى .

سأله أحدهم ، وهو يمسك بيده جهازًا صغيرًا :

- مازلنا نلتقط تعاملات إليكترونية قريبة .

عضّ (طارق) شفته فى توتر ، وهو يتمنى لو أجرى اتصالاً بـ (نشوى) ، فى تلك اللحظة ، وطلب منها إيقاف كل الأجهزة الإليكترونية ، التى ترشد الأشباح إلى مكمنها ، ولكنه كان يعلم أن أى اتصال يجريه ، كفيل بكشف أمره وأمرها معًا ..

وفى حيرة متوترة ، راح يتصفّح ذهنه ، محاولاً إيجاد وسيلة مناسبة ، لمواجهة أشباح غير ملموسة ، يمكنها أن تسحقه بأسلحتها ، دون أن يمتلك هو وسيلة واحدة لخدشها ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى أحزمة الأشباح ..

كان يعلم أن قوامهم الشبحى تكمن قوته فى تلك الأحزمة ..

فى سلاح ما فيها ..

وتمنى فى تلك اللحظة ، لو أمكنه الحصول على واحد من تلك الأحزمة ؛ حتى يكشف سرها ، ويبحث عن وسيلة لإبطال مفعولها ..

وفى توتر ، قبض على مسدسه فى قوة ، وهو يراقب الأشباح الخمسة ، الذين انتشروا فى المنطقة ، للبحث عن مدخل المكان ، الذى يرصدون منه تلك التعاملات الإليكترونية ..

وكان أحدهم يقترب من مكمنه ..

يقترب كثيرًا ..

وحبس (طارق) أنفاسه ، وعقد حاجبيه ، ورأسه

يكاد يلتهب ، من فرط سعيه للبحث عن وسيلة ما للمقاومة ..

أية وسيلة ..

ثم فجأة ، تألَّقت فى رأسه فكرة ما ..

فكرة لم يدر ما إذا كانت صالحة للتنفيذ أم لا ..

ولكن الوقت لم يكن يكفى لدراستها بدقة ..

لذا ، فقد وضعها موضع التنفيذ ..

وعلى الفور ..

وفى سرعة وخفة ، انتزع شعار المخابرات العلمية الحربية ، من مكانه على قميصه ، وألقاه بعيدًا ، على مسافة أمتار قليلة من ذلك الشبح ، الذى يقترب منه أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومع اقترابه ، حبس (طارق) أنفاسه أكثر ، وتجمَّد فى مكانه تمامًا ، وتحفزت سبَّابته على زناد مسدسه ، و ...



ولكن (طارق) ظلّ ثابتًا ، كامنًا ، دون أن تبدر عنه أدنى حركة ، أو يصدر عنه أدنى صوت ..

وفجأة ، توقَّف الشبح ، والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدِّق فى الشعار ، الملقى عند قدميه ..

وللوهلة الأولى ، أدرك أن هذا الشعار لا ينتمى إلى هذا الزمن ..

فلأنه قادم من المستقبل ، كان يعلم أن المخابرات العلمية والمخابرات الحربية سيتمّ دمجهما ، بعد عدة سنوات ، لتنشأ المخابرات العلمية الحربية ، التى يرى شعارها تحت قدميه الآن ..

وفى توتر ، تلفَّت الشبح حوله ، وتحفَّز على نحو واضح ، ولكن (طارق) ظلّ ثابتًا ، كامنًا ، دون أن تبدر عنه أدنى حركة ، أو يصدر عنه أدنى صوت ..

ولثوان ، ظلّ الشبح يتلفَّت حوله فى تحفُّز ، قبل أن يعود ليلقى نظرة على الشعار المعدنى ، متمتمًا :

- ترى هل ....

لم يتمّ تساؤله ، وبدا عليه التردُّد لحظة ، ثم تلفَّت حوله مرة أخيرة ، قبل أن يضغط ذلك الزر فى حزامه ، وهو ينحنى لالتقاط الشعار ..

وتموّج جسده الشبحى لحظة ، قبل أن يتجسّم جسده المادى ، وتنخفض أصابعه ؛ لالتقاط الشعار المعدنى ، و ...

وكانت هذه هى اللحظة ، التى ينتظرها (طارق) بالضبط ..

لذا فقد وثب من مكمنه كالفهد ..

وانقضّ كالصاعقة ..

ومع مقاتل مستقبلى فذّ مثله لم يستغرق الأمر سوى ثوان معدودة ، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

فمع وثبته ، انطلقت قبضته كالقنبلة ، تهشّم أنف الرجل ، ثم قفزت قبضته الثانية ، تكتم أية صرخة ، يمكن أن تنطلق من بين شفتيه ، اللتين تمزقتا ، مع تحطم أسنانه ، وهو يسقط فاقد الوعى ..

وفى خفة مدهشة ، التقطه (طارق) بين ذراعيه ، وجذبه إلى مكمنه ، وهو يغمغم فى توتر :

ـ كنت أعلم أنك ستفعلها أيها المجرم .. كنت أعلم

أنك لا بد أن تستعيد كيانك المادى ؛ لتنتقط الشعار .. كنت أعلم هذا جيّدًا .

أسرع يحلّ حزام الرجل ، ويفحصه فى اهتمام بالغ ..

كان حزامًا من مادة لينة ، أشبه بالبلاستيك ، ولكنها أكثر قوة ومتانة ، ويحوى عدة أزرار مختلفة الألوان ، وعددًا من الأسلحة المختلفة ..

وفى اهتمام وسرعة ، راح (طارق) يدرس تلك الأسلحة ، التى كان معظمها مألوفًا لديه ، فيما عدا ثلاثة أو أربعة منها ، كانت تفوق عصره بالتأكيد ..

أما ذلك السلاح ، الذى يطلق الفقاقيع ، فقد بدا أشبه بلعبة أطفال ، فى يد (طارق) ، الذى غمغم :

ـ عجبًا ! كيف يمتلك شيئًا كهذا ، كل هذه القوة ؟!

ألقى حيرته هذه جانبًا فى سرعة ، ثم ارتدى ذلك الحزام ، وعيناه تتابعان باقى الأشباح ، الذين اقترب بعضهم من المدخل السرى للمخبأ ، وغمغم فى توتر :

ـ رباه ! سيكشفون الأمر حتمًا .

أحكم قفل الحزام حول وسطه ، ثم التقط سلاح الفقاقيع ، وضغط الزر ، الذى رأى الشبح يضغطه من قبل ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

وفى نفس اللحظة ، التى هتف فيهـا أحد الأشباح الآخرين ، يُعلن عثوره على المخبأ ، الذى تختبئ فيه (نشوى) مع الصغيرين ، كان هناك صوت آلى ينبعث من الحزام ، قائلاً :

ـ المستخدم تغيَّر .. أدخل كود الأمن الخاص ، أو يتمّ نسف الحزام الأمنى خلال ثلاثين ثانية ..

وعلى الفور ، بدأ العد التنازلى على شاشة صغيرة فى واجهة الحزام ، والتحم قفله ، بحيث صار من المستحيل نزعه ..

وكان هذا يعنى أن لحظات (طارق) قد أصبحت معدودة ، فى هذا الزمن ..

أو فى الحياة ..

كلها ..

* * *

لم يصدِّق الرائد (هيثم) عينيه ، وهو يحدِّق فى (نور) و(أكرم) ، اللذين برزا من قلب الفراغ ، بزى الغوص الشبيه بأزياء الفضاء ، وكلاهما يحمل خوذته تحت أبطه ، فى حين هتفت خبيرة الصوتيات فى انبهار :

ـ المقدِّم (نور) ! يا إلهى ! يا لها من مصادفة !

قال (أكرم) ، فى شىء من التوتر :

ـ لا توجد أية مصادفات هنا .

بدا عليهم تساؤل حائر ، فقال (نور) ، وهو يتجه نحوهم :

ـ من الواضح أنه قد تم نقلكم إلى هذا الجيب الزمنى ، بالوسيلة نفسها ، التى نقلتنا إليه ، ولكن أمرنا كان يختلف عنكم ، فى أننا كنا نرتدى أزياء الغوص المطوَّرة هذه .

غمغم خبير الأشعة فى دهشة :

ـ أهذه أزياء غوص ؟!

أجابه (نور) :

ـ إنها تشبه أزياء الفضاء قلبًا وقالبًا ، وهى مجهَّزة بحيث تؤمِّن لمرتديها كل الظروف المعيشية المناسبة ، من ضغط وحرارة وغيرها ، ولأننا كنا نرتديها ، فقد أمكننا التعامل مع ذلك الجيب الزمنى على نحو أفضل .

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ ولكن كيف عثرتما علينا ؟!

أجابها (نور) على الفور :

ـ الأزياء المجهَّزة جعلتنا قادرين على التجوال ، عبر هذا الجيب الزمنى ، ومكنتنا من كشف طبيعته ، حتى انفتح فيه شق ما ، فى مكان ما .

هتف الرائد (هيثم) :

ـ كان هذا عندما فقدنا الطيَّار .

تابع (نور) ، دون أن تستوقفه عبارة (هيثم) :

ـ الاختلال الزمنى ، الذى أحدثه ذلك الشق ، قادنا

إليكم ، وحدَّد لنا اتجاهكم ، ولكنه لم يستغرق طويلاً ، إلا أننا قررنا السير فى خط مستقيم .

اندفع (أكرم) يقول ، وهو يشير إلى الشق الجديد :

ـ حتى حدث هذا الاتصال الزمنى .

قال خبير الأشعة :

ـ تقصد هذا الشق ؟!

هزَّ (أكرم) كتفيه ، وهو يقول :

ـ ربما .. ولكن (نور) يُطلق عليه اسم الاتصال الزمنى .

قال (نور) ، موضحًا ما يقوله (أكرم) :

ـ لو انتبهتم جيِّدًا ، ستدركون أن ذلك الشق قد استغرق وقتًا طويلاً ، دون أن يُحدث أى خلل زمنى ، وهذا يعنى أن ما يحدث الآن يختلف تمامًا ، عما حدث من قبل .

قالت خبيرة الصوتيات فى سرعة وانفعال :

- نعم .. يختلف فى كل شىء ؛ فنحن نطلّ الآن على المستقبل البعيد ، وليس الماضى السحيق ، الذى كان يطلّ عليه الشقّ السابق .

التقى حاجبا (نور) ، وهو يتطلّع إلى المشهد الذى يبدو عبر الشق الجديد ، مغمغمًا :

- المستقبل البعيد ؟!

قالها ، وهو يقترب من الشق فى حذر ، ويتطلّع إلى المدينة الممتدّة أمامه ، فلحق به الرائد (هيثم) ، قائلاً :

- هذا يبدو واضحًا يا سيادة المقدّم ؛ فكل شىء هنا يختلف عما ألفناه ، ومتطوّر بشدة فى الوقت ذاته .. انظر إلى تلك المركبات الطائرة هنا وهناك ، والطرز المعمارية ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر :

- واللغة ! .

تساءل (أكرم) فى دهشة :

- وكيف يمكنك الجزم بأمر اللغة ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، مجيبًا :

- هذا ليس عسيرًا .

تطلّع الأربعة إلى حيث يشير ، وبدت لهم بعض النقوش غير المميّزة ، على قمة مبنى بعيد ، فتساءل خبير الأشعة فى قلق :

- أهذه لغة ؟!

عقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- كيف تبدو لك ؟!

حدّق الأربعة فى تلك النقوش بضع لحظات ، قبل أن يقول خبير الأشعة ، فى حيرة شديدة التوتر :

- ولكنها لا تشبه أية لغة نعرفها فى عالمنا .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- بالضبط .. هذا ما أردت قوله بالتحديد .

سأله (أكرم) فى قلق :

- المهم ما الذى يعنيه ؟!

أجابه (نور) فى اهتمام ، وهو يتطلَّع مرة أخرى إلى تلك المدينة ، بكل ما يحيط بها من جبال :

- سل نفسك يا (أكرم) .. لقد سقطنا فى جيب زمنى ، ثم وجدنا أمامنا عالمًا يختلف تمامًا عن عالمنا ، فى كل شىء .. مبانيه .. لغته .. تضاريسه .. كل شىء .. فما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

قالت خبيرة الصوتيات فى توتر :

- يمكن أن يعنى الكثير .

أضاف (هيثم) فى سرعة :

- والخطير .

حدَّق (أكرم) فى المشهد ، الذى يبدو من خلف الشق ، بكل توتر الدنيا ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ، قائلاً فى عصبية :

- هل يمكنك أن تشرح لى ، ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط يا (نور) ؟!

هتف خبير الأشعة :

- لا تقل إننا قد انتقلنا إلى عالم آخر .

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى برزت كرة شفافة أخرى ، خلف ذلك الشق ..

كرة أكبر حجمًا ، تكتظ بعدد من الرجال ..

ثم ظهرت كرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

وخلال أقل من دقيقة ، امتلأت السماء بعشرات الكرات الشفافة ، التى تضمّ مئات الرجال ، فى ثياب عجيبة غير مألوفة ، وعيونهم كلهم تتطلّع إلى أبطالنا الخمسة ، بكل دهشة وفضول الدنيا ..

وبكل العصبية ، هتف (أكرم) :

ـ أشعر وكأننى سمكة غريبة ، داخل حوض زجاجى كبير ، فى متحف للأسماك .

غمغم (نور) فى حذر :

ـ تذكَّر أن ما يرونه يعدّ أيضًا مذهلاً ، من وجهة نظرهم .

قال الرائد (هيثم) فى عصبية :

ـ ليس هذا هو المهم .

ثم ازدرد لعابه فى صعوبة ، مضيفًا :

ـ المهم ما الذى سيفعلونه .

لم يكد سؤاله ينتهى ، حتى أتاهم الجواب بغتة ..

أتاهم على هيئة مادة سائلة ، انطلقت من مكان مجهول ، فى الكرة الشفافة ، التى تواجههم تمامًا ..

مادة لم تكد تلمس أجسادهم ، حتى تجمَّدت بغتة ، وتحوَّلت إلى ما يشبه شبكة مطاطية قوية ..

قوية للغاية ..

وبمنتهى القوة ، التصقت بهم تلك الشبكة ، وأحاطت بأجسادهم ، فصرخت خبيرة الصوتيات فى رعب :

ـ يا إلهى ! إنهم يصطادوننا .

صاح (أكرم) ، وهو يقاتل تلك الشبكة الملتصقة به ، فى عنف واستماتة وشراسة :

ـ يا للأوغاد ! كم أفتقد مسدسى .

ذكر المسدس ، جعل الرائد (هيثم) يتذكَّر مسدسه ، فرفع فوهته ، وأطلق أشعته على خيوط تلك الشبكة المطاطية ..

وتمزَّقت الخيوط فى عنف ..

ولكن ، فى اللحظة نفسها ، تراجعت الكرة الشفافة الكبيرة بحركة حادة ، وجذبت الخمسة إليها بمنتهى القوة ..

ومع الجذبة القوية المباغتة ، طارت أجسادهم ، واندفعت عبر ذلك الشق ، بسرعة مخيفة ..

وانتفضت أجسادهم بمنتهى العنف ، مع ذلك الخلل الزمنى ..

وشعر (نور) بضغط هائل ، على رأسه وعينيه ، وسمع صرخة ألم قوية تحمل صوت خبيرة الصوتيات ..

ثم أظلمت الدنيا أمامه ..

وانهار جسده تمامًا ..

فى ذلك العالم الجديد ..

والعجيب !

للغاية .

* * *



٨ ـ زمن .. وزمن ..

اضطربت كل ذرة فى كيان (نشوى) ، إلى أقصى حد ممكن ، وهى تنقل بصرها بين شاشة الرصد ، التى أعلنت أن الأشباح قد صاروا قاب قوسين أو أدنى منها ، وشاشة جهاز الكمبيوتر ، التى تستعرض عليها كل وسائل التأمين المتاحة للمخبأ ..

كانت هناك عشرات الوسائل ، التى ابتكرتها بنفسها ، لتأمين المدخل السرى ، ومنع أية محاولة للتسلُّل إليه ..

عشرات الوسائل ، التى تكفى لسحق أى خصم ، فى أية محاولة عنيفة أو ذكية للاقتحام ..

وليس من بينها وسيلة واحدة ، لمواجهة أشباح ..

أشباح غير ملموسة ، فقدت كيانها المادى ، وأصبح بمقدورها اختراق أية حواجز ، دون أن يقف أمامها عائق ..

أشباح لا يوجد سلاح أرضى واحد ، قادر على منعها والتصدّى لها ، أو إيقافها ، بأية صورة من الصور ..

وفى وضوح ، نقلت إليها شاشة الرصد صورة الأشباح الأربعة ، الذين أشاروا إلى مدخل المخبأ السرى ، وطالعوا جهاز الرصد الصغير فى يدهم ، قبل أن يتلفتوا حولهم ، بحثًا عن زميلهم الخامس ..

ومن خلال جهاز التنصُّت الدقيق ، نقلت إليها شاشة الرصد صوت أحدهم ، وهو يقول فى حنق :

- أين ذهب هذا الغبى ؟!

قال آخر فى قلق :

- لست أرى له أى أثر .. أخشى أن يكون قد أصابه مكروه ؛ فلم يكن من المفترض أن يبتعد كثيرًا .

تلفَّت الثالث حوله ، قائلاً فى عصبية :

- هل سننتظره حتى يعود ؟!

رفع الرابع سلاحه فى تحفُّز ، قائلاً :

- إذا ما عاد .

تبادل الأربعة نظرة صامتة شرسة ، خفق لمرآها قلب (نشوى) فى عنف ، وهى تتمتم :

- رباه ! أين (طارق) ؟! ماذا أصابه ؟! أين اختفى ؟! يا إلهى ! كم أخشى أن .. أن ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، أو مجرَّد تصوّر الفكرة ، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة كالثلج ، وبخاصة عندما قال الشبح الأول ، الذى بدا وكأنه قائد المجموعة ، فى صرامة شديدة :

- مهمتنا أن نقتحم هذا المكان ، ونسحق كل من بداخله ، ولن يوقفنا غياب واحد منا ، أيًا كان سبب هذا .

ثم أشار بيده ، مستطردًا بلهجة وحشية مخيفة :

- هيا .

انتفض قلبها فى عنف ، عندما شاهدتهم يتجهون نحو الجدار المزدوج للمخبأ ، والذى يبدو فى صورة سور نصف متهدِّم ..

ثم يخترقونه بأجسادهم الشبحية ..

وتسارعت أصابعها على أزرار الكمبيوتر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم لم تجد أمامها سوى وسيلة واحدة ..

وبكل ما يعتمل فى نفسها من انفعالات ، ضغطت زرًا أخيرًا ..

ومع ضغطتها ، سرى فى جدران المخبأ تيار كهربى قوى ، تبلغ شدته مائة ألف فولت دفعة واحدة(*) ..

ومع شدة التيار ، صدر من الجدران أزيز متقطّع(**) ، وبدا وكأنه يرتجف فى قوة وعنف ..

(★) فولت : الوحدة العلمية للقوة الدافعة الكهربائية وفرق الجهد ، وهى قوة الدفع الكهربائى ، أو فرق الجهد ، التى تنتج تيارًا مقداره أمبير واحد ، حينما تؤثر تأثيرًا ثابتًا على موصل مقاومته الكهربية أوم واحد ..

(★★) التيار الكهربى العادى يطلق عليه اسم التيار المتردد ، أما ذلك الذى ينشأ عن البطاريات الجافة ، فهو تيار مستمر ..

وشهقت (نشوى) فى قوة ..

وحدّقت فى الجدار بكل التوتر ..

والقلق ..

والذعر ..

شاشات الرصد ارتبكت فى عنف ، مع التيار الذى يسرى فى الجدران ، واختلّت الصورة عليها فى شدة ..

وُخيِّل لـ (نشوى) أن كل شىء سينهار ، على رأسها ورأس الصغيرين ..

وبمنتهى العنف ..

وفى ذعر ، هبّ الصغيران من فراشهما ، وانفجرا باكيين ، على نحو انفطر له قلبها ، فأسرعت إليهما ، وضمتهما إلى صدرها ، وقلبها ينتفض بين ضلوعها كطير ذبيح ، وعقلها يتساءل مذعورًا : هل سيكفى ما فعلته ؛ لمنع تلك الأشباح من اقتحام المكان ، و ...

وقبل أن يكتمل تفكيرها وتساؤلها ، دوت فى المكان بغتة فرقعة قوية ..

ثم اخترق الأشباح الأربعة الجدار ..

لخترقوه بوثبة مباغتة ، ووقفوا أمامها ، بأجسادهم نصف الشفافة ، يصوبون إليها أسلحتهم العجيبة ، وقائدهم يبتسم فى سخرية ، قائلاً :

- محاولة طريفة يا فتاتى ، ولكنها لا تكفى .

وانطلقت من حلقه ضحكة وحشية ساخرة ، جعلت الصغيرين ينفجران بالبكاء مرة أخرى ، قبل أن يشير إلى الآخرين ، قائلاً :

- الكهرباء لا تكفى لإيقافنا .

ارتفعت فوهات الأسلحة الأربعة نحوها ، وقائدها يكمل فى شراسة :

- ولكن أسلحتنا تكفى لسحقك سحقًا .

واتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، وضمَّت الصغيرين إليها فى قوة ، وتمنَّت لو أمكنها أن تفديهما بحياتها ، و ...

وفجأة اقتحم شبح خامس الجدار ..

اقتحمه كالعاصفة ، لينقض على الأشباح الأربعة كجيش من الأسود ..

وانتفض جسد (نشوى) مرة أخرى فى عنف ..

وصرخت بكل لهفتها ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدِّق فى شبح (طارق) ، الذى راحت أطرافه تتحرك بسرعة ومهارة مذهلتين ، لتلكم هذا ، وتحطم أنف ذاك ، وتسحق فك ثالث ، وتهوى على رأس رابع ..

ضربات عنيفة متوالية مدهشة ، انتهت بسقوط الأشباح الأربعة أرضًا ، ونهوضه هو ، قائلاً بصوت لاهث :

- حمدًا للَّه .. لقد وصلت فى الوقت المناسب .

حدَّقت فيه ، وفى الحزام الذى يرتديه ، هاتفة فى فرح ..

- رباه ! لقد فعلتها يا (طارق) .. لقد فعلتها ..

هتف ، وهو يسرع نحو جهاز الكمبيوتر ، بهيئته الشبحية :

- ما توقّعته كان صحيحًا .. التحوّل إلى صورتهم الشبحية ، يجعل المرء قادرًا على التعامل معهم .

انتبه إلى كيانه الشبحى ، عندما اخترقت أصابعه لوحة الأزرار ، فالتفت إليها ، قائلاً فى توتر :

- هناك مشكلة .

أعادت الصغيرين إلى فراشهما فى رفق ، وهى تسأله في قلق شديد :

- أية مشكلة ؟!

أشار إلى الحزام الذى يرتديه ، قائلاً :

- هذا الحزام مزوّد بنظام أمنى خاص ، بحيث يتمّ تفجيره خلال ثلاثين ثانية ، إذا ما ارتداه شخص آخر ، بخلاف صاحبه الأصلى ، ولقد كاد ينفجر بالفعل ، لولا أن استخدمت جهازًا خاصًا من زمنى ، يمكنه إيقاف العد التنازلى لجهاز التأمين ، وتشغيله على نحو مؤقّت ، لمدة لا تزيد على ثلاث دقائق .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يستطرد ، فى توتر أكثر :

- وهذه المدة ستنتهى خلال أربعين ثانية ، أو فور إيقاف عمل المفاعل الشبحى .

غمغمت :

- يا إلهى !

تابع بتوتر متصاعد :

- وعندئذ ستكون أمامك أربع وعشرون ثانية ، لإيقاف عمل ذلك النظام الأمنى ، أو تزويده برقمه الكودى السرى ، وإلا ...

ازدرد لعابه ، ليكمل فى عصبية :

- وإلا فسينفجر الحزام ، و ...

لم يكمل عبارته ..

ولكنها فهمت ما يعنيه ..

وارتجفت كل خلية فى جسدها ..


ثم راحت أصابعها تعدو بأقصى سرعتها ، فوق أزرار الكمبيوتر ..

ولثوان ، حدَّقت فى وجهه ، قبل أن تهبَّ من مكانها ، وتندفع نحو جهاز الكمبيوتر ، قائلة فى انفعال :

ـ دعنا لا نضيع ثانية واحدة إذن .

أوقفت عمل جهاز التأمين الكهربى بضغطة زر ، ثم راحت أصابعها تعدو بأقصى سرعتها ، فوق أزرار الكمبيوتر ، وهى تقول :

ـ لقد ابتكرت برنامجًا خاصًا ، يمكنه أن يحلَّ أعقد الشفرات وأصعبها ، وأدق النظم الأمنية وأخطرها ، خلال مدة لا تزيد على الدقيقة الواحدة .

قال فى توتر :

ـ لسنا نمتلك هذه الدقيقة .

انتقل انفعالها إلى صوتها ، وهى تقول :

ـ فلنأمل فى رحمة الله (سبحانه وتعالى) .

غمغم :

ـ ونعم بالله .

أوصلت وحدة خاصة بجهاز الكمبيوتر ، ثم أمسكت طرفها الآخر ، والتفتت إليه قائلة فى توتر بالغ :

ـ أحتاج إلى توصيل الكمبيوتر بالحزام .

تنهَّد ، مغمغمًا :

ـ فليكن .

قالها ، وضغط ذلك الزر فى حزامه ، فتموَّج جسده لحظة ، ثم استعاد ماديته وتجسُّمه ، فأسرعت هى توصل الطرف الآخر للوحدة الإليكترونية بحزامه ، ثم عادت أصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر فى سرعة ولهفة ..

وتراصت عشر خانات على الشاشة ..

وكان هذا يعنى أنها أمام شفرة أمنية من عشر خانات ..

وهذا أمر عسير ..

إلى أقص حد ..

وانعقد حاجباها فى شدة ، وهى تعمل بأقصى سرعتها ، الذهنية واليدوية ، وقلبها يخفق بمنتهى القوة ..

والعنف ..

والرعب ..

فأصابعها تعمل بأقصى سرعة ، يمكنها العمل بها ..

والثوانى تمضى بسرعة مخيفة ..

وعلى الشاشة انكشف رقم ، من الشفرة الأمنية ..

وثان ..

وثالث ..

ورابع ..

وخامس ..

وتوترت كل ذرة فى كيان (طارق) أكثر وأكثر ..

وتصبَّب العرق على وجهه غزيرًا .

وانخفض الوقت المتبقى بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

ثم انكشف رقم سادس ..

وسابع ..

وثامن ..

وبكل توترها ، هتفت (نشوى) لنفسها :

ـ أسرعى يا (نشوى) .. أسرعى با للّه عليك .

ألقى (طارق) نظرة على ساعته ، التى أشارت إلى أنه لم يتبق أمامها سوى خمس ثوان فحسب ..

ورقمان ..

الرقم التاسع انكشف ..

وتبقَّى رقم واحد ..

وثلاث ثوان ..

و ...

« عبقرية بحق ، كما تقول عنك كتب التاريخ .. »

انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، مع ذلك الصوت

الساخر القاسى ، الذى انبعث من خلفها بغتة ، فى حين انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، وتوترت كل ذرة من كيانه بمنتهى العنف ، وهو يحدِّق فى شبح ابن السيِّد (أمجد) ، زعيم جيش الغزاة المستقبلى ، الذى عبر جدار المخبأ ، مع دستة من الأشباح ، ووقف معهم يصوِّب إليه وإلى (نشوى) سلاحه القاتل ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة وحشية ظافرة ..

وكان هذا يعنى أن المعركة قد انحسمت أخيرًا ، لصالح الغزاة ..

غزاة المستقبل ..

المظلم ..

* * *

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يستعيد وعيه فى بطء .. و

كان هناك صداع عنيف يكتنف رأسه ، وكيانه كله ، ودوار يحيط به ، كما لو أنه يسقط فى دوَّامة عميقة ..

عميقة ..

بلا قرار ..

ومن بعيد ، تناهت إلى مسامعه أصوات متداخلة ..

أصوات بلغة لم يفهمها ..

ولم يستطع حتى تمييزها ..

لغة لا تشبه أية لغة معروفة ، على كوكب الأرض ..

هذا وحده ، جعله يستعيد وعيه كاملاً ، ويعتدل بحركة حادة ، محدّقًا فيما حوله ..

كان يرقد على منضدة شفافة ، لها ملمس مخملى عجيب ، وسط قاعة زجاجية كبيرة ، وإلى جواره ، وعلى مناضد مشابهة ، رقد (أكرم) ، والرائد (هيثم) ، والخبيران ..

وحول القاعة الزجاجية ، كان هناك عشرات ، من رجال ونساء ، يتطلعون إليهم فى اهتمام ..

وفور نهوضه ، راح بعضهم يسجّل بعض البيانات ، على كرة شفافة ، استنتج (نور) أنها بديل للكمبيوتر ، الذى يعرفه فى زمنه ، فى حين راح البعض الآخر يتابع حركته ، بوساطة ما يشبه آلات التصوير ..

وفى توتر ، لم يستطع منعه ، هتف (نور) :

ـ من أنتم ؟! وفى أى زمن نحن ؟!

تراصت نقوش إليكترونية سريعة ، على شاشة طويلة أمامه ، وكأنها محاولة لترجمة عباراته ، وبدا الاهتمام على وجوه الجميع ، كما يمكن أن يفعل العلماء فى زمنه ، إذا ما فوجئوا بكائنات تقتحم عالمهم ، عبر فجوة فى جدار الزمن ..

كان من الواضح أن افتقاد لغة الحوار ، يجعل الأمر عسيرًا للطرفين ، فهبط (نور) عن تلك المنضدة ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

ـ نحن لسنا من عالم آخر .. نحن من زمن آخر .

تطلّعت إليه كل الوجوه فى انتباه ، وعادت تلك الشاشة ترسم نقوشًا إليكترونية ، فى محاولة للترجمة ..

وزفر (نور) فى يأس مرير ..

فاللغة المستخدمة ، فى تلك النقوش ، لم تكن شبيهة بأية لغة أرضية يعرفها ..

حتى اليونانية ، والروسية ، واليابانية ، وكل اللغات الأخرى ، التى لا تستخدم حروفًا بسيطة ..

وهذا ما يثير حيرته وتوتره ..

إلى أقصى حد ..

فخبيرة الاتصالات ، فى فريق الرائد (هيثم) ، قدَّرت أن هذا هو المستقبل البعيد ..

البعيد جدًا ..

وهو افتراض يبدو منطقيًا ، مع كل ما يحيط به ..

التكنولوجيا شديدة التطوّر ..

والذكاء المطلّ من العيون ..

والطرز المعمارية شديدة الاختلاف ..

ولكن ما يحيّره ويقلقه هو اللغة ..

صحيح أن اللغات أيضًا تتطوّر مع الزمن ..

ولكنها لا تتغيّر تمامًا ..

لا تختلف عن كل اللغات المعروفة ، فى الأزمنة السابقة ..

هذا لا يبدو منطقيًا ، حتى ولو بعد ألف عام من التطوّر ..

بالنسبة إليه على الأقل ..

ثم إن كل شىء يوحى بأنهم لم ينتقلوا إلى عالم آخر ..

الهواء الذى يتنفّسه ..

والطقس ..

والبشر من حوله ..

إنهم بشر بالتأكيد ..

صحيح أنهم يمتلكون جباها عريضة بارزة ، أكثر من المألوف ..

ولكنهم بشر ..

وهذا يزيد من حيرته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

« أين نحن ؟! »

نهض (أكرم) بحركة حادة ، وهو يلقى السؤال فى عصبية ، فاستدار إليه (نور) ، قائلاً :

ـ اهدأ يا صديقى .. إنهم يراقبوننا .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ يراقبوننا ؟!

ثم هبط من فراشه الشفاف ، مستطردًا فى غضب عصبى :

ـ لماذا ؟ أنحن حيوانات مفترسة ، تم اصطيادها من غابة مجهولة ؟!

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـ بأسلوبك هذا ، سيتصوَّرون حتمًا أننا كذلك .

حدَّق فى وجهه لحظة مستنكرًا ، قبل أن يدير عينيه إلى العيون ، التى تراقبه فى اهتمام بالغ ، وترصد وتسجِّل كل حركاته وسكناته ، ثم يقول فى حنق :

ـ يا للسخافة !

قال (نور) فى توتر :

ـ اهدأ يا صديقى .. اهدأ .. حاول أن تتماسك جيِّدًا ، فعلى الرغم من أن هذا يحنقك ويُغضبك ، إلا أن هذا الجيش ، الذى يحيط بنا ، يرصد كل حركة نقوم بها ، فى محاولة لتقييم طبيعتنا ، وردود أفعالنا .

غمغم (أكرم) فى سخط :

ـ تمامًا كحيوانات التجارب .

قال (نور) فى سرعة :

- بالضبط .. إنهم يتعاملون معنا كمخلوقات من عالم آخر ، ونحن كذلك بالفعل ، بالنسبة لهم ، وعلينا أن نثبت لهم أننا قد جئنا فى سلام ، وأننا مخلوقات عاقلة مثلهم .

هتف فى حنق :

- نحن أكثر عقلاً منهم .

ربّت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- فلنثبت لهم هذا إذن .

قال (أكرم) فى عصبية :

- وكيف ؟! بأن نجلس هنا هادئين مهذبين ؟!

قال (نور) فى صرامة :

- بل بأن نتصرّف كمتحضرين .

حدّق فيه (أكرم) فجأة ، فى دهشة مستنكرة ، فسأله فى قلق :

- ماذا هناك يا (أكرم) ؟!

هتف فى توتر :

- لقد نزعوا ثيابنا .

انتبه (نور) ، فى هذه اللحظة ، إلى أنه لايرتدى زى الغوص المطوَّر ، وإنما هو ، و(أكرم) ، والجميع يرتدون ثيابًا بيضاء ، من قطعة واحدة ، تنعكس عليها الأضواء على نحو عجيب ، وبألوان متداخلة ، فغمغم ، وهو يرفع عينيه إلى (أكرم) فى توتر :

- مادة هذه الثياب توحى بأنها ..

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه بدهشة بالغة ، فاستدار (أكرم) إلى حيث يحدّق (نور) ، وهو يقول فى عصبية :

- ماذا هناك ؟!

ولكن ما إن وقع بصره على ما رآه (نور) ، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما بدوره ، واختلجت كل خلية فى جسده ، بدهشة ما بعدها دهشة ..

فما شاهده كان أمرًا خارقًا للمألوف ، ويقلب كل ما ملأ رأسه من احتمالات ، رأسًا على عقب ..

ألف مرة .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(قراصنة الزمن)

حرب الأشباح

- ما المفاجأة الرهيبة، التى تنتظر طوافات الإنقاذ، عند المدمرة (غجر) ؟!
- من ذلك الشبح المجهول، الذى اختطف المستشار الأمنى للرئيس فى عالمنا ؟!
- ترى كيف تدور معركة بين زمنين .. ومن يمكن أن ينتصر، فى (حرب الأشباح) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم

(قراصنة الزمن)



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

139

الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم



روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً !!

د. نبيل فاروق

140 قراصنة الزمن



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ الزمن الآخر ..

ظلام رهيب ، ذلك الذى امتدّ إلى مدى البصر ، فى تلك البقعة من البحر الأبيض المتوسّط ، داخل المياه الإقليمية المصرية ، حيث ربضت المدمرة (فجر) ، صامتة ساكنة ، مظلمة ، وإلى جوارها الغوّاصة المصرية (ب.ن ـ ١٠٣) ، بمقدمتها المحطَّمة ، تشاركها ذلك العدم المخيف ..

ومن بعيد ... بعيد جدًا ، توقّفت مركبة مصرية صغيرة ، وطاقمها المحدود متحفّز فى رهبة تمتزج بالحزم ، وقائدهم يرفع منظاره الخاص بالرؤية الليلية إلى عينيه ، قائلاً :

ـ هذه المسافة تكفى للرصد ، كما أكّد خبراؤنا ، ولقد نصحونا باللجوء إلى الوسائل اليدوية التقليدية القديمة وحدها ، إذ يعتقدون أن الغزاة يمكنهم رصد أية إجراءات إليكترونية ، بوسيلة ما ..

لفظ (الغزاة) هذا أثار أعصاب الرجال ، ولكن كلاً منهم ظلَّ قابعًا فى مكانه ، وسلاحه متحفِّز فى يده ، تأهُبا لأى هجوم مفاجئ محتمل ..

أما قائدهم ، فقد أخفى توتره العنيف فى أعماقه ، وهو يراقب ذلك السكون المهيب الرهيب ، الذى أحاط بالمدمرة والغوَّاصة ، متسائلاً فى حيرة بلغت حد الغضب .. كيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

بل وكيف بدأت الأمور ، ووصلت إلى هذا الحد ؟!

كيف ؟!

كان التساؤل يدور فى ذهنه ؛ لأنه يجهل حقيقة ما حدث ..

يجهله تمامًا ..

فالبداية كانت حادثة غوَّاصة ..

الغوَّاصة المصرية (ب . ن ـ ١٠٣) ، التى ارتطم بها جسم مجهول ، يسير تحت الماء بسرعة مدهشة ، فحطَّم مقدمتها ، وأغرقها فى الأعماق ..

ومع بدء عمليات البحث والانتشال ، راحت المفاجآت تتوالى ..

أضواء فى الأعماق ..

اختفاءات غامضة ..

مركبات مجهولة الهوية ..

وعلى الرغم من جهود (نور) وفريقه ، فقد راحت الأمور تتعقَّد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولم يكن الأمر بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، أو الاستنتاجات العبقرية ؛ ليدرك الكل أنهم يواجهون خصومًا أكثر تقدُّمًا وقوة ..

أكثر بكثير ..

وكانت لـ (نشوى) ، ابنة (نور) و (سلوى) ، وخبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى مركز الأبحاث ، الخاص بالمخابرات

العلمية المصرية ، نظرية خاصة فى هذا الشأن .. نظرية عجيبة ..

بل مذهلة ..

وكان لاختفاء السيد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، أكبر الأثر ، فى أن تتخذ الأمور منحنى جديدًا ..

وأدلت (نشوى) بدلوها ..

وأعلنت نظريتها ، التى تؤكِّد فيها أن الغزاة قد جاءوا من المستقبل ..

مستقبلنا ..

وعلى الرغم من أن الكل قد استنكر الفكرة بعنف ، إلا أن عودة (طارق) ، فارس الزمن ، والمقاتل المستقبلى ، الذى أتى من نسل (نور)[*] ، حسمت الأمر تمامًا لصالحها ، وبدأت مرحلة جديدة من الصراع ..

مرحلة أكثر عنفًا ..

(*) راجع قصة (فارس الزمن) .. المغامرة رقم (١١٧) .

مرحلة بدأ فيها الصدام المباشر ، مع غزاة المستقبل ..

وكانت حربًا من نوع جديد ..

رهيب ..

ففى قوة ، نجح الغزاة فى إخفاء (نور) ، و(أكرم) ، و(رمزى) ، و(سلوى) ، وفريق الرائد هيثم بأكمله ، وحتى قادة (مصر) ورئيسها ..

وفى الوقت الذى راحت فيه (نشوى) تقاتل فى استماتة ، تحت رعاية وحماية فارس الزمن (طارق) ، كان (نور) و(أكرم) ، وفريق الرائد (هيثم) ، يواجهون موقفًا رهيبًا ، لا مثيل له ، فى فراغ زمنى مخيف ..

وقاتل (طارق) ..

وقاتل ..

وقاتل ..

ولكن الأمور انتهت به إلى موقف رهيب ..

حزام الغزاة الشبحى ، الذى استولى عليه من أحدهم ، كان يحيط بوسطه ، ويستعدّ للانفجار ، ما لم يتمّ إيقاف نظامه الأمنى المستقبلى ، خلال ثوان معدودة ..

وانطلقت (نشوى) تعمل بأقصى طاقتها ..

وتحت ظروف شديدة التوتر والتعقيد ..

واقتحمت (نشوى) تلك الشفرة الأمنية ، ذات العشر خانات ..

وتجاوزت تسع خانات منها ..

وبقيت أمامها خانة واحدة ..

وثلاث ثوان ..

ولكن غزاة المستقبل اقتحموا مقر الفريق السرى ، بأجسادهم الشبحية الرهيبة ..

وكان هذا يعنى نهاية (طارق) ..

ونهاية (نشوى) ، وعالمها ، وحاضرها أيضًا ..

فى الوقت ذاته ، كان (نور) و(أكرم) قد التقيا بالرائد (هيثم) وفريقه الصغير ، قبل أن يحدث اتصال زمنى ، بين الفراغ الذى يسبحون فيه ، وعالم عجيب ..

أو زمن عجيب ..

زمن ، بدت فيه الأرض على صورة لم يروا ، أو حتى يتخيَّلوا مثلها قط ..

كل شىء مختلف ..

المدن ..

الطرز المعمارية ..

البشر ..

وحتى اللغة ..

لغة لا تشبه أية لغة معروفة ، على وجه الأرض ..

أو حتى تاريخها المعروف كله ..

ولقد اقتنصهم سكان ذلك الزمن العجيب ، وراحوا يفحصونهم ، ويحاولون دراستهم ، وإيجاد لغة حوار مشتركة ، أو حتى فهم أحاديثهم ..

تمامًا مثلما سنفعل نحن ، لو وقعت فى قبضتنا مخلوقات من عالم آخر ..

أو زمن آخر ..

وبينما يبذل (نور) قصارى جهده ؛ لمساعدتهم على كسر حاجز اللغة ، فوجئ أمامه بمشهد خارق للمألوف ..

مشهد يكفى لإلغاء ونسف كل ما ملأ رأسه من احتمالات واستنتاجات ، ويقلب الأمور كلها رأسًا على عقب ..

ألف مرة(*) ..

* * *

لم يكن من الممكن أبدًا أن تتوقَّف (نشوى) عن عملها ، ولو لثانية واحدة ..

كان شبح ابن السيِّد (أمجد) ، زعيم أشباح الزمن ، يقف على مسافة نصف المتر منها ، وأسلحة ستة من رجاله مصوبَّة إلى رأسها ، وإلى رأس (طارق) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأوَّل والثانى (الأعماق) و(حرب الأشباح) .. المغامرتين رقمى (١٣٨) ، و(١٣٩) .

وكل ذرة من كيانها كانت ترتجف ارتياعًا ..

ولكنها لم تتوقَّف ..

كانت تدرك جيِّدًا ، أن الثانيتين المتبقيتين ، هما الفيصل بين حياة (طارق) ..

أو موته ..

لذا ، فقد انطلقت أصابعها على أزرار الكمبيوتر بسرعة أكبر ..

وأكبر ..

وأكبر ..

وانعقدَ حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو ينقل بصره بينها ، وبين قراصنة الزمن ، الذين يحيطون بهما ، فى حين اكتفى زعيمهم بابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- وعنيدة أيضًا ، كما وصفوك دائمًا ..

وثبت سبَّابتها إلى زر أخير ، ضغطته فى توتر بالغ ،

وعيناها تلتهمان شاشة الكمبيوتر بكل لهفة وتوتر الدنيا ، وكأنها لا تشعر بما حولها ..

أو بمن حولها ..

وانتفض جسد (طارق) ، مع الساعة الرقمية على الشاشة ، والتى أعلنت انتهاء المهلة ..

ولكن شيئًا لم يحدث ..

الحزام الشبحى الذى يرتديه لم ينفجر ..

فقط ، وثب الرمز العاشر إلى الشاشة ؛ ليعلن نجاح (نشوى) ، خبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى المخابرات العلمية المصرية ، فى إيقاف ذلك النظام الأمنى ..

فى الثانية الأخيرة ..

وفى سخرية شرسة ، صفق زعيم الأشباح بكفيه ، قائلاً :

ـ عظيم .. دليل جديد على عبقريتك يا سيِّدة (نشوى) ..

ثم رفع فوهة سلاحه ، يصوِّبها إلى رأس (طارق) ، مستطردًا :

ـ ولكنه لن يصنع فارقًا كبيرًا ..

خفق قلب (نشوى) فى عنف ، وتصوَّرت أن زعيم الأشباح لن يتردَّد لحظة ، فى نسف رأس (طارق) بسلاحه ، فهتفت فى عصبية :

ـ يا للشجاعة ! تصوِّب سلاحك إلى رأس رجل أعزل ، وأنت فى هيئة يعجز حتى عن مواجهتها ، وحولك دستة من رجالك !

استدار إليها الزعيم بنظرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أه .. أخوف أنثوى غريزى هذا ، أم ....

صمت لحظة ، مال خلالها نحوها ، وتطلَّع بعينيه الشبحيتين إلى عينيها مباشرة ، وهو يضيف ، فى سخرية شرسة :

ـ أم أنك تعرفين حقًّا من هو ..

أدهشها ذلك التوتر الشديد ، الذى ارتسم على وجه (طارق) ، عندما نطق الزعيم عبارته ، وتفجَّر داخلها ذلك السؤال مرة أخرى ..

من هو (طارق) حقًّا ؟!

من ؟!

وفى صوت امتزج اضطرابه بمحاولتها للتظاهر بالتماسك والحزم ، سألت ذلك الزعيم الشبحى :

- ومن هو ؟!

ارتسمت ابتسامة ساخرة كبيرة أعلى شفتى الزعيم ، وهو يواصل التطلّع إلى عينيها ، قائلاً :

- ألم تلاحظى ذلك التشابه الواضح ، بينه وبين ...

كانت كل ذرة فى كيانها متلهفة لسماع كلماته ، على الرغم من موقفها العسير ، إلا أن (طارق) قاطعه فجأة ، فى صرامة غاضبة :

- لا داعى لهذه السخافات أيها الوغد ..

قالها ، وهو يضغط زرًا ، فى ذلك الحزام الشبحى ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- ثم إنك تضيع الوقت بلا طائل ..

استدار إليه زعيم الأشباح ، وهو يقول فى سخرية غاضبة :

- حقًا ؟!

ولم تستوعب عينا (نشوى) تلك السرعة المذهلة ، التى جرت بها الأحداث ، فى الثانية التالية ..

ففجأة ، تحوّل جسد (طارق) إلى تلك الهيئة الشبحية ، وهو يثب كالنمر نحو زعيم الأشباح ، ويتحرك بسرعة كادت تتجاوز سرعة عصبها البصرى ، على التقاط المشاهد ، وإرسالها إلى المخ ، حتى إنها رأته وكأنه قد اختفى من موضعه ، ثم ظهر خلف الزعيم ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى فى قوة ، وهو يمسك يده حاملة السلاح بيمناه ، ثم يضغط سبّابة الزعيم ، وهو يرفع فوهة سلاحه عنوة ؛ لتواجه الأشباح الآخرين ..

ومع صرخة الغضب ، التى انطلقت من شفتى الزعيم ، انطلقت من سلاحه بالونات صفراء قاتلة ، ارتطمت بثلاثة من الرجال ، وأطاحت بهم فى عنف ..

وفى نفس اللحظة ، التى ارتطم فيها الثلاثة بجدار المخبأ ، كان (طارق) يثب بقدميه ، ليركل سلاح رابع ، ثم يدور بجسده نصف دورة ، ليضرب الخامس بقدمه فى معدته ..

كل هذا ، دون أن تترك ذراعه اليسرى عنق الـزعيم ، الـذى انطلق صوتـه غاضبًا مختنقًا ، وهو يهتف :

- اقتلوها .. اقتلوها أمام عينيه ..

وشهقت (نشوى) ، وهى تتراجع فى رعب ، وفوهات أسلحة الرجال المتبقين ترتفع نحوها ، بكل التحفُّز ..

وكل الوحشية ..

فعلى الرغم من مبادرة (طارق) الباسلة ، إلا أن خصومه كانوا أكثر قوة ، وأكثر عددًا وعدّة ..

وكان هذا يعنى الهزيمة ..

والموت ..

وبلا رحمة ..

* * *

لم يصدّق (أكرم) عينيه ، وهو يحدّق بكامل اتساعهما ، فى ذلك المشهد الرهيب ، الذى بدا من خلف جدار زجاجى ، فى نهاية القاعة ، التى يقف فيها العلماء ، حتى إنه هتف بصوت مختنق مبحوح :

- (نور) .. هل ترى ما أراه حقًّا ؟!

تمتم (نور) ، فى لهجة عصبية :

- أراه ..

ثم صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، على نحو أكثر توترًا :

- ولكننى عاجز عن تصديقه ..

كان من الواضح أن فريق العلماء ، خارج القفص الزجاجى ، قد لاحظ ما أصابهما ، فقد التفت معظمهم إلى ما رأياه ، ثم راح فريق منهم يرصد ردود أفعالهما فى دقة واهتمام بالغين ، فى حين واصلت تلك النقوش الإليكترونية السريعة تراصها على الشاشة الطويلة ، فى محاولة دءوبة مستمرة ؛ لفهم لغة أولئك القادمين عبر ثقب الزمن ، وإيجاد وسيلة للتفاهم والحوار معهم ..

وبكل ذهوله وحيرته ، هزّ (أكرم) رأسه ، هاتفًا :

- (نور) .. هذا ليس جزءًا من فيلم (حديقة الديناصورات)(*) القديم .. أليس كذلك ؟!

تطلَّع (نور) بضع لحظات أخرى إلى ذلك المشهد العجيب، قبل أن يغمغم، بكل توتر الدنيا :

- كلاَّ بالتأكيد ؟!

وصمت لحظة، ثم أضاف بتفكير عميق :

- ولكن ربما كان تحقيقًا عمليًا لفكرته الأساسية ..

انبعث من خلفهما صوتٌ أنثويٌّ، يقول :

- أية فكرة ؟!

كانت خبيرة الصوتيات قد استعادت وعيها، مع خبير الأشعة، في حين بدا الرائد (هيثم) شديد التوتر، وهو يغمغم :

- أين نحن بالضبط ؟!

(★) حديقة الديناصورات = (Jurassic Park)، فيلم من ثلاثة أجزاء، تم إنتاج الجزأين الأول والثاني منه، في تسعينات القرن العشرين، في حين خرج الفيلم الثالث إلى النور في أوائل القرن الحادي والعشرين، وفكرته تعتمد على نجاح أحد العلماء في إعادة إنتاج ديناصورات عصور ما قبل التاريخ، في عصرنا الحديث، عن طريق مادة (DNA)، المستخرجة من بقايا البعوض القديم المتجمد.

أشار (نور) إلى ما أمامه، مجيبًا :

في زمن آخر ..

ثم انعقد حاجباه، وهو يضيف، بشيء من العصبية :

- زمن مجهول ..

اتسعت عيون ثلاثتهم عن آخرها، وهم يحدقون في المشهد نفسه، الذي أذهل (نور) و(أكرم) من قبل، ثم هتفت خبيرة الصوتيات :

- ما هذا بالضبط ؟!

كان أمام عيونهم، عبر ذلك بالجدار الزجاجي الكبير، في نهاية القاعة، ديناصور ..

نعم .. ديناصور هائل الحجم ..

وعلى قيد الحياة ..

ديناصور من نوع (البرونتوساورس)(*)، يسير في هدوء، وعلى ظهره مقصورة كبيرة، جلس

(★) البرونتوسورس : ديناصور معشب، نصف مائي، ضخم الجسد، طويل الرقبة والذيل، يبلغ طوله ما يزيد على العشرين مترًا، ويتجاوز وزنه الثلاثين طنًا، وهو من الطراز المسالم، على الرغم من ضخامة حجمه.

داخلها عدد من الرجال والنساء ، فى استرخاء شديد ، وكأنهم فى نزهة خلوية ..

وفى توتر ، غمغم (نور) :

ـ لاحظوا أن المشهد لم يثر ذهول أحد سوانا ، مما يعنى أنهم يألفون التعامل مع تلك الحيوانات الضخمة ، فى هذا الزمن ..

قال الرائد (هيثم) فى اهتمام :

ـ ليس هذا فحسب يا سيادة المقدم ، وإنما روضوها أيضًا ، وأمكنهم استغلال ضخامتها فى حياتهم ..

وافقه (أكرم) بإيماءة من رأسه ، وهو يتمتم ، دون أن يرفع عينيه عن الديناصور ، الذى واصل سيره الهادئ ، بما يحمله على ظهره ، ليبتعد عن الجدار الزجاجى :

ـ تمامًا مثلما فعلنا نحن بالأفيال فى زمننا ..

تلفّت خبير الأشعة حوله فى خوف ، وتطلّع إلى كل العيون ، التى تراقبهما فى اهتمام ، وإلى الأجهزة العديدة ، المنتشرة فى القاعة ، والتى تشترك كلها فى

شفافيتها ، على نحو جعل المشهد كله عجيبًا ، ثم قال فى عصبية :

ـ ما هذا بالضبط ؟! لماذا يحتجزوننا هنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يفكّر فى عمق :

ـ يحاولون فهم كيفية وصولنا إليهم ..

غمغمت خبيرة الصوتيات ، فى يأس مرير :

ـ وكيف يتسنى هذا ، وهم عاجزون عن فهم لغتنا ؟!

ولوّح خبير الأشعة بذراعه ، مضيفًا فى إحباط :

ـ بل ، وربما يعجزون حتى عن فهم طبيعة الزمن ، الذى أتينا منه ، والذى من الواضح أنه بعيد جدًا ، فى أعماق ماضيهم ..

قال (نور) فى سرعة :

ـ أو مستقبلهم ..

تطلّع إليه الكل فى دهشة ، وداروا بعيونهم فيما حولهم ، بحركة آلية تلقائية ، قبل أن يتساءل (أكرم) فى حذر :

- ما الذى يعنيه قولك هذا يا (نور) ؟!

أدار (نور) عينيه مرة أخرى ، إلى ذلك الديناصور المبتعد ، وهو يجيب :

- يعنى أننا أمام لغز كبير أيها السادة .. لغز زمن نجهل ما إذا كان ينتمى إلى مستقبلنا البعيد ، أم إلى ماضينا العريق ..

وضاقت عيناه على نحو عجيب ، وهو يضيف :

- زمن مجهول ، إما أن نجد وسيلة للاتصال بمن فيه أو ....

توقَّف ، لتنطلق من أعماق صدره زفرة ملتهبة ، قبل أن يضيف :

- أو نبقى هنا إلى الأبد ..

وانتفضت أجسادهم كلها ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

٢ - المصيدة ..

انعقد حاجبا وزير الدفاع فى توتر ، وهو يراجع تقارير زورق المراقبة ، قبل أن يرفع عينيه إلى أركان حربه(*) ، قائلاً :

- على الرغم من التطوّر السريع فى الأمور ، إلا أن كل تقارير المراقبة سلبية تمامًا .. المدمرة (فجر) تستقر هادئة ساكنة ، دون أى أثر للحياة على سطحها ، أو من حولها ، وإلى جوارها الغوّاصة (ب.ن - ١٠٣) ، ولا أحد يجرؤ على الاقتراب منهما ، قبل فهم ما حدث لهما ، واستيعاب تلك الظواهر العجيبة ، التى أحاطت بها ، قبل أن تصل إلى هذا الأمر ..

وافقه أركان حربه بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

(★) أركان الحرب = لقب يُطلق على فئة متخصصة من الضباط ، يعاونون قائد التشكيل العسكرى ، فى الشئون العسكرية الفنية ، ويتلقى هؤلاء الضباط دراسات متخصصة ، فى كلية أركان الحرب ، التى تمنح درجة الماجستير ، فى العلوم العسكرية ، والدراسة فيها على مستوى عال من التخصص .

ـ ربما فى البحر يا سيِّدى ، ولكن الهجوم الشرس ، الذى تمَّ منذ ساعة تقريبًا ، على مقرِّ المخابرات العلمية ، والذى أدَّى إلى مصرع السيد مدير المخابرات العامة ، واختفاء السيِّد رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، يعنى أن الحرب قد انتقلت إلى البر ، وبمنتهى العنف والشراسة ..

لوَّح وزير الدفاع بذراعه ، وهو يقول :

ـ ولكن ماذا يريدون ؟! لماذا يفعلون كل هذا ؟!

أجابه أركان حربه فى حذر :

ـ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكن السؤال الأوَّل هو : من هم ؟!

انعقد حاجبا الوزير مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ سيادة الرئيس أخبرنى أنه هناك نظرية عجيبة بشأنهم ..

ثم أضاف فى عصبية :

ـ ولكنه اختفى مع الآخرين ، قبل أن يبلغنى التفاصيل ..

استشفَّ أركان الحرب ما يدور فى أعماق الوزير ، فى موقف عصيب كهذا فشدَّ قامته ، قائلاً :

ـ سيِّدى .. وفقًا لما يحدث من حولنا ، نحن فى حالة حرب ، واختفاء السيِّد رئيس الجمهورية ، وقائدى المخابرات ، ينقل مسئولية القيادة واتخاذ القرار إليك ، وفقًا للتعديل الدستورى الأخير ، فى ...

قاطعه وزير الدفاع ، قائلاً فى توتر :

ـ أعلم هذا يا رجل ..

ثم انطلقت من صدره زفرة حارة ، وهو يضيف :

ـ ولكننى لا أدرى حتى من نواجه ، ولا كيف نتصدَّى له ، وهذا يثير أعصابى ، و يغل يدى إلى حد مزعج .. بل إننا حتى لسنا أمام عدو تقليدى ، أو حتى ملموس ، بحيث يمكننا استنتاج استراتيجيته القادمة ، وفقًا لتصرفاته وردود أفعاله السابقة ..

تردَّد أركان الحرب لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويقول :

ـ الواقع أنه باستطاعتنا دومًا استنتاج هذا يا سيادة الوزير ، على نحو أو آخر ..

سأله الوزير فى اهتمام :

ـ حقًّا ؟!

أومأ أركان الحرب برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ إبان فترة احتلال العالم(*) ، لاحظنا جميعًا ظاهرة مهمة للغاية ، ألا وهى أن الغزاة يتصرفون بالكيفية ذاتها ، مهما اختلف منشؤهم .. إنهم دومًا يبدءون بإبراز قوتهم ، وفارق تفوّقهم ، عن طريق ضربة قوية مركَّزة ، بأسلوب لم يعهده الخصم ، بغضّ النظر عن أعداد الضحايا ، أو كميات الدماء المراقة ، وبعدها تبدأ عملية سحق رموز السلطة والقوة لدى الخصم ؛ لإحداث حالة من الارتباك والفوضى ، تتيح لهم محاصرة الكل ، وإحكام المصيدة حولهم ، والسيطرة الكاملة عليهم بعدها ..

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .

غمغم الوزير فى اهتمام :

ـ هذا صحيح ..

تابع أركان الحرب ، بنفس الحزم الواثق :

ـ ولقد حقق خصومنا ـ أيًّا كانوا ـ الخطوتين ، الأولى والثانية ، بعد أن افتعلوا حادثى الغوَّاصة (ب.ن ـ ١٠٣) ، والمدمرة (فجر) ، ثم هاجموا مقرّ قيادة المخابرات العلمية ، وفعلوا ما فعلوه بالقادة هناك ، وما ينتظرونه الآن هو حالة الفوضى ، التى ستعمّ البلاد ؛ ليحكموا سيطرتهم عليها وعلينا ..

وصمت لحظة ؛ ليلتقط أنفاسه ، ويرتب أفكاره ، قبل أن يضيف :

ـ هذا ما ينبغى أن نمنع حدوثه بأى ثمن ..

رمقه الوزير بنظرة طويلة ، قبل أن يسأله :

ـ وماذا تقترح يا أركان الحرب ؟!

شدّ الضابط قامته مرة أخرى ، قبل أن يجيب :

ـ أن ننتظر ..

تراجع وزير الدفاع بحركة حادة وعيناه تحملان كل الدهشة والاستنكار ، فاستدرك أركان الحرب فى سرعة :

- ونتأهَّب ..

عاد حاجبا الوزير ينعقدان ، وهو يقول فى عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أجابه أركان حربه فى سرعة :

- إننا نجهل أين خصومنا الآن ، وما الذى يستعدون لفعله بالضبط ، ولكننا نعلم أن هدفهم هو ضرب أحد أهدافنا الاستراتيجية ، لذا فسنستعد بقواتنا ، وبكل أسلحتنا الحديثة ، عند أهم الأهداف المحتملة ، ثم ننتظر ضربتهم القادمة ، و ...

صمت لحظة ، ثم أضاف بكل الحزم :

- ونبدأ حربنا ..

وانتقل حزمه وصرامته إلى الوزير ، وهو يقول :

- نعم يا رجل .. نبدأ حربنا ..

نطقها بكل حزم الدنيا ، على الرغم من أنه يجهل تمامًا متى ستبدأ الحرب ..

ولا كيف ؟!

وهذا هو السؤال ..

المخيف ..

* * *

كل ما يحدث فى تلك القاعة ، التى تناثرت فيها الأجهزة الشفَّافة ، كان يؤكِّد أن وصول (نور) ومن معه ، هو أخطر حدث شهده ذلك الزمن ..

على الإطلاق ..

ففى كل ركن ، كان هناك من يسجِّل البيانات ، على عدد من الكرات الشفَّافة ، التى تحلّ محل أجهزة الكمبيوتر ، فى حين كان هناك فريق آخر ، يسجل كل تصرفات (نور) ورفاقه ، وكل همسة يهمسون بها ، حيث تتواصل محاولات ترجمتها المستميتة ، على تلك الشاشة الطويلة ..

ولكن الإحباط المرتسم على كل الوجوه، والممتزج بالاهتمام والتوتر الشديدين، كان يعنى أن كل المحاولات لم تصل إلى أية نتيجة إيجابية ..

ومن داخل ذلك القفص الزجاجى، غمغم (نور):

- لابد أن نتعاون معهم، على تجاوز هذه المرحلة ..

تساءلت خبيرة الصوتيات، فى حيرة يائسة:

- ولكن كيف ؟! إننا نجهل كل شىء عن عالمهم وزمنهم، ونجهل حتى اللغة التى يتحدثون بها، و ...

قاطعها (أكرم)، وهو يقول فجأة:

- الرسم ..

التفت إليه الكل بحركة حادة، فارتبك، وهو يتابع بوجه محمرّ:

- فى الماضى، عندما كنت أعمل فى مجال البترول، أحضرت الشركة بعض العمال محدودى الثقافة، من جنوب شرق (آسيا)، ولما كنت أجهل لغتهم، ويجهلون لغتى، فقد استعنت ببعض الرسوم البسيطة، و ...

قاطعه (نور) هذه المرة، وهو يهتف بابتسامة كبيرة:

- أنت عبقرى يا صديقى ..

غمغم (أكرم)، فى دهشة فرحة:

- حقًّا ؟!

انعقد حاجبا خبيرة الصوتيات، وهى تغمغم، فى إعجاب واضح:

- كيف لم تخطر هذه الفكرة ببالنا ؟!

ابتسم الرائد (هيثم)، وهو يقول:

- لأننا نفكِّر بأسلوب علمى محض، أما السيِّد (أكرم)، فهو يفكِّر بتلقائيته الفطرية دومًا ..

كان العلماء، فى القاعة الخارجية، يراقبون انفعالاتهم فى اهتمام، فى محاولة لفهمها ودراستها، ولكن (نور) لم يلق لهم بالاً، وهو يمسك (أكرم) من كتفيه، قائلاً فى حماسة:

- فليكن يا صديقى .. حاول أن تتخيَّل أن هؤلاء بعض العمال ، الذين أتوا من جنوب شرق آسيا ، وأنك تجهل لغتهم ، كما يجهلون لغتك ، وتعامل معهم بأسلوب الرسوم البسيطة ..

اتسعت عينا (أكرم) ، وهو يهتف بشىء من الارتياع :

- أنا ؟!

أجابه (نور) فى حماسة :

- بالطبع يا صديقى .. أنت الوحيد هنا ، الذى لديه خبرة فى هذا المجال ..

حدَّق (أكرم) فى عينى (نور) بضع لحظات ، فى ذعر عجيب ، ثم لم يلبث أن تمتم ، وهو يتنحنح فى عصبية :

- فليكن .. سأحاول ..

وصمت لحظة ، وهو يتلفَّت حوله ، قبل أن يضيف فى حدة :

- ولكن ماذا أستخدم .. لا توجد هنا أوراق أو أقلام ..

أجابته خبيرة الصوتيات فى سرعة :

- استخدم إصبعك ..

استدار إليها فى دهشة ، فمنحته ابتسامة واثقة ، وهى تشير إلى العلماء ، مكملة :

- إنهم أذكياء .. وسيفهمون ..

غمغم (نور) :

- بالتأكيد ..

وأدار عينيه ، يتطلَّع بضع لحظات إلى العلماء ، الذين بدا عليهم الاهتمام الشديد ، قبل أن يتنحنح ، ويتجه نحو الزجاج ، الذى يفصله عنهم ، ويقف على مسافة خطوات منهم ..

وفى لهفة ، راح الكل يسجِّل انفعالاته ، ويراقبه ، و ...

« (أكرم) .. » ..

نطقها فى حزم ، وهو يشير إلى صدره ، فابتسم (نور) قائلاً :

- ألم أقل لكم : إنه عبقرى !

هتفت خبيرة الصوتيات فى انبهار :

- إنه مدهش ..

استدار إليها خبير الأشعة ، بحركة حادة مستنكرة ، فى حين ابتسم الرائد (هيثم) ، متمتمًا :

- ومتزوّج ..

انعقد حاجباها فى غضب فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت إليكترونى داخل قفصهم الزجاجى ، مرددًا اسم (أكرم) ، الذى ابتسم فى توتر ، ثم مدَّ سبَّابته نحو الجدار الزجاجى ، فتراجع العلماء بحركة حادة ، جعلت (نور) يبتسم ، مغمغمًا :

- رد فعلهم بشرى تمامًا ..

أجابه خبير الأشعة ، فى شىء من العصبية :

- تذكَّر أنهم هم يفحصوننا ، وليس العكس ..

قال (نور) فى حزم :

- كلانا يدرس ويفحص الآخر فى الواقع ..

مع كلماته ، كان (أكرم) يرسم بيده دائرة على الزجاج ، والكل يتابعه ببصره فى اهتمام ، فلوَّح بسبَّابته ، على نحو يوحى بالكتابة ..

ولثوان ، تطلَّع إليه العلماء فى صمت ، ثم اندفعوا فجأة يتناقشون فى اهتمام ، على نحو جعله يقول فى عصبية :

- عجبًا ! هل يعدّ ما فعلته هنا نوعًا من الإهانة أم ماذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم فى حذر :

- لست أعتقد هذا ، ولكن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، التقط أحد العلماء لوحًا أبيض ، وكرة سوداء صغيرة ، ودار بالكرة فوق اللوح ، فرسمت دائرة سوداء ، ما إن رآها (أكرم) ، حتى هتف فى انفعال :

- نعم .. هذا ما أريده بالضبط ..

عبارته هذه جعلتهم يندفعون مرة أخرى إلى نقاش منفعل ، قبل أن يميل أحدهم ، ويدفع اللوح الأبيض نحو جزء من جدار القفص الزجاجى ، فتموَّج ذلك الجزء فى نعومة ، ثم عبره اللوح على نحو مدهش ، وعالم آخر يشير إلى (أكرم) أن يلتقطه من ناحيته ..



ودار بالكرة فوق اللوح ، فرسمت دائرة سوداء ، ما إن رآها (أكرم) ؟!..

وفى توتر ، التقط (أكرم) اللوح الأبيض ، الذى تراقصت الكرة السوداء الصغيرة فوقه ، وشعر وكأنه يجذبه من داخل غلاف من الإسفنج اللين ، على نحو أثار فى جسده قشعريرة باردة ، وهو يغمغم :

ـ رباه ! يبدو أن هذه الوسيلة ستنجح ..

كان (نور) والآخرون يتطلعون إليه ، فى اهتمام بالغ ، عندما انعقد حاجباه ، وهو يتساءل بصوت مسموع :

ـ والآن ، كيف يمكن أن تعبّر بالرسوم ، على أنك قد أتيت من زمن آخر ، عبر فراغ زمنى كبير ؟!

باغتهم سؤاله جميعًا ، وكأنما لم يخطر الأمر ببالهم من قبل ..

والتقى حاجبا (نور) فى شدة ..

فهذه العقبة نسفت فكرة استخدام الرسوم ، كوسيلة للخروج من هذا الموقف العصيب ..

نسفتها من جذورها ..

تمامًا ..

* * *

لم يكن من الممكن أبدًا أن يرى (طارق) الخطر يهدد (نشوى) أمام عينيه ..

لقد قبل المهمة، وجازف بالغوص عكسيًا عبر الزمن، حتى يدافع عنها، ويدرأ كل ما يمكن أن يواجهها من مخاطر ..

ومن المستحيل تمامًا أن يكون سببًا لما سيصيبها ..

من المستحيل تمامًا ..

لذا، فقد وثب بكل كيانه نحوها، ليحميها بجسده من أسلحة الأشباح، فهتف زعيمهم فى صرامة :

- أريده حيًا ..

مع هتافه، انطلقت من سلاح أحدهم فقاعة زرقاء، شقت فراغ الحجرة بسرعة مذهلة، لترتطم بجسد (طارق) فى قوة ..

ارتطمت بظهره، وهو يندفع، محاولاً حماية (نشوى)، فتألق المكان بوهجها الأزرق، وصرخت (نشوى)، عندما اندفع جسده نحوها فى عنف، ليصطدم بها فى قوة، ويسقطا معًا أرضًا، وهو ينتفض فى شدة، قبل أن تهمد حركته تمامًا ..

وبكل ذعر الدنيا، صرخت (نشوى) :

- أيها الأوغاد .. لقد قتلتموه ..

نهض زعيمهم، وهو يتجه نحوها، قائلاً فى صرامة وحشية شامتة :

- كلاً .. إنه لم يمت .. لقد صعقناه فحسب ..

ودفع جسد (طارق) بقدمه فى قسوة، مستطردًا :

- وسيعود إلى وعيه، فى غضون نصف الساعة فحسب ..

لاحظت، فى تلك اللحظة فقط، أنه قد تخلى عن هيئته الشبحية، واستعاد كيانه المادى، ليدفع جسد (طارق)، قبل أن يطلق ضحكة ساخرة شرسة، ويقول :

- أراهن على أنك تتساءلين، عن سر عدم قتلى له ..

نهضت فى حذر، قائلة :

- هذا صحيح ..

أطلق ضحكة ساخرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ الواقع أننى قد سئمت عمليات القتل التقليدية ، منذ زمن طويل ..

أشار إلى رجاله ، فأسرعوا يتخلّون عن كيانهم الشبحى بدورهم ، ليرفعوا جسد (طارق) عن الأرض ، وهو يتابع :

ـ لذا ، فنفسى تتوق إلى القتل بأسلوب مبتكر ..

غمغمت فى مقت :

ـ يا للحقارة !

أطلق ضحكة ساخرة شرسة ، ردًا على كلمتها ، قبل أن يهتف برجاله ، فى صرامة مباغتة :

ـ قيدوهما ..

انقضَ الرجال عليها ، وراحوا يقيدونها فى قسوة ، وكذلك فعلوا مع (طارق) الفاقد الوعى ..

ولم تقاومهم هى قط ..

كل ما ملأ ذهنها ، هو مصير الصغيرين ، الراقدين فى الحجرة المجاورة ..

كانت تتمنى من كل قلبها أن يظلا نائمين ، حتى لاينتبه ذلك الشيطان ورجاله إلى وجودهما ..

نلك الشيطان ، الذى يدهشها بشدة أنه ابن مثلها الأعلى بعد والدها ..

السيِّد (أمجد صبحى) ..

وفى عصبية ، قالت :

ـ ألا يروق لك قتل الناس ، إلا وهم مقيدون ، وعُزّل من السلاح ؟!

قهقه ضاحكًا ، قبل أن يجيب فى شراسة :

ـ قلت لك : إننى قد سئمت القتل التقليدى ، ولقد كان من السهل علىّ أن أمحو مقاتلك المستقبلى من الوجود كله ، لو نسفت رأسك الآن ..

انتفض جسدها فى عنف مع عبارته هذه ..

ما الذى يعنيه بالضبط ؟!

ولماذا ربط وجود (طارق) بحياتها هى ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وفجأة، وعلى الرغم من دقة الموقف، استعاد عقلها ذكريات عديدة معه ..

مع (طارق) ..

« لن يمكنك أن تتصورّى مدى سعادتى برؤيتك أنت بالذات يا (نشوى)، فلم أكن أتصورَّ أن يتاح لى هذا قط .. » ..

عبارة قالها، فى رحلته السابقة لزمنها، وهو يتطلّع إليها ..(*)

تُرى ما الذى كان يقصده بقوله هذا حينذاك ؟!

« فى هذه المرة، سيموت أمام عينيك، بأسلوب مبتكر .. » ..

انتزعها زعيم الأشباح بعبارته هذه، من لجة أفكارها، فرفعت عينيها إليه فى مقت، وهو يتابع فى استمتاع :

(★) راجع قصة (الفارس الثانى) .. المغامرة رقم (١٢٠).

- إنه يحمل فى حزامه عددًا من القنابل الارتجاجية، التى يؤدّى انفجارها إلى خلل فى التوازن الزمنى .. سأعمل على إحاطة جسده كله بها، وتوصيلها بمؤقّت زمنى، بحيث تنفجر كلها، عندما نبتعد نحن عن هنا ..

وتراقصت فى عينيه ضحكة شيطانية ساخرة، وهو يضيف :

- وعندما يستعيد وعيه ..

هتفت فى مقت :

- يا للحقارة !

انطلقت من حلقه ضحكة عالية مجلجلة، وكأنما راقت له الكلمة، ومسح شفتيه بذراعه، قائلاً :

- المشكلة أن انفجار كل هذا العدد من قنابل الزمن الارتجاجية لن يؤدّى إلى الإخلال بالتوازن الخلوى له فحسب، وإنما لك أيضًا، وربما للمكان كله ..

ثم مال، ليقترب منها بشدة، حتى لفحت أنفاسه وجهها، وعيناه كادتا تلتصقان بعينيها، مع استطرادته الوحشية ..

كانت يداها مقيدتين أمام جسدها ، فرفعتهما بحركة سريعة غير متوقعة ، وغرست إظفر سبابتها اليسرى فى وجهه ..

وانطلقت من حلق زعيم الأشباح صرخة ألم ، وهو يتراجع فى حدة ، هاتفًا بكل ألمه وغضبه :

- أيتها الحقيرة :

قالها ، وهوى على كفها بلطمة عنيفة ، شعرت معها وكأن كيانها كله يرتجّ فى قوة ، فصاحت به فى غضب :

- أيها الحقير ..

اشتعلت عيناه بنيران الغضب هذه المرة ، والتفت إلى رجاله ، صائحًا :

- من الغبى ، الذى قيَّد يديها أمامها ، وليس خلفها ؟!

غمغم أحدهم فى ارتباك :

- الواقع أننى لم أتصوَّر أن ..

قاطعه فى غضب :

- لست أريد تفسيرات .. أعيدوا تقييدها فى إحكام ، وراجعوا قيود هذا المقاتل ..

وتطلَّع إليها فى غضب ، وهم يعيدون تقييدها ، قبل أن يضيف :

- ثم أعدوا الكعكة لهما ..

ومرة أخرى ، انتفض جسد (نشوى) فى عنف ، عندما زرعوا تلك القنابل الارتجاجية الزمنية حول جسد (طارق) الفاقد الوعى ، قبل أن ينصرفوا ، وزعيمهم يقول ، فى شماتة ظافرة مقيتة :

- أبلغى تحياتى للرفاق فى الجحيم ..

هتفت به فى غضب :

- الجحيم ستذهب إليه أنت أيها الحقير ..

أطلق ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يشير إلى رجاله ، ويغادرون المكان ، ثم يغلقونه خلفهم فى إحكام ، والعدد التنازلى للمفجّر الميقاتى يتناقص ..

ويتناقص ..

ويتناقص ..

* * *

٣ ـ صراع الكلمات ..

« أعتقد أن لدىَّ وسيلة .. » ..

نطق (نور) العبارة فى حزم ، وهو يلتقط اللوح الأبيض ، والكرة الصغيرة السوداء ، من يدى (أكرم) ، الذى سأله فى لهفة :

ـ حقًا يا (نور) ؟!

راح (نور) يحرِّك الكرة فوق اللوح ، وهو يجيب :

ـ أعتقد هذا ..

تطلَّع الكل إلى ما يرسم فى اهتمام شديد ، قبل أن تهتف خبيرة الصوتيات فى دهشة :

ـ إنك تكتب اسمك ..

أدار عينيه إليها ، قائلاً :

ـ بالضبط ..

نطقها ، وأدار عينيه ولوحه الأبيض ، نحو العلماء ، الذين بدا عليهم الاهتمام البالغ ، وهم يتابعون ما يحدث ، ثم نطق اسمه ، فى بطء وتركيز ، وهو ينقل سبَّابته ، بين حروف الاسم ، التى كتبها منفصلة ، وليس متصلة ..

ولثوان ، بدا وكأن أحدًا لم يستوعب الأمر كله ، حتى إن خبير الأشعة قد غمغم فى توتر :

ـ أظن أن ..

قبل أن تكتمل كلماته ، ظهرت على الشاشة الطويلة بغتة تلك الحروف ، التى كتبها (نور) ، وانبعث فى الوقت ذاته ذلك الصوت الإليكترونى ، قائلاً :

ـ (نور) ..

هتفت خبيرة الصوتيات فى انفعال :

ـ رباه ! لقد نجحت ..

أجابها (نور) فى حماسة ، وهو يكتب اسمه مرة أخرى ، بحروف متصلة هذه المرة :

ـ الفكرة نجحت ، وبقليل من الجهد ، سيعرفون مفرداتنا ..

أدار اللوح مرة أخرى إليهم ، وهو يكرِّر اسمه ..

وفى هذه المرة ، ارتسم الاسم على الشاشة فى سرعة ، مع ترديد ذلك الصوت الإليكترونى لاسمه مرة ثانية ، فتساءل (أكرم) فى حيرة :

ـ لماذا التكرار ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ بهذا سيعلمون أنه لدينا حروف ، يصنع اتصالها كلمات ..

انعقد حاجبا الرائد (هيثم) ، وهو يقول :

ـ تمامًا مثلما نفعل ، مع طفل يتعلَّم الكلمات لأوَّل مرة ..

هتف (نور) ، وهو يكتب اسم (أكرم) بحروف منفصلة هذه المرة :

ـ بالضبط ..

كان من الواضح أن الأجهزة الإليكترونية ، التى يستخدمونها فى ذلك الزمن ، شديدة التعقيد والتقدُّم ؛

لأنها راحت تستوعب الأمر فى سرعة ، حتى إن (أكرم) قد بدأ الانتقال إلى ربط الرسوم بالكلمات ..

رسم لقرص يشعَ بالضوء ، وربطه بكلمة (شمس) ..

ورسم لجبل ..

وديناصور ..

ورجل ..

وامرأة ..

ويد ..

وقدم ..

وهكذا ..

لثلاث ساعات متصلة ، راح صراع الكلمات هذا يتواصل ، وعلماء ذلك الزمن يتابعون بمنتهى الشغف والاهتمام ، دون كلل أو ملل ، تلك الشاشة الطويلة ترسم الحروف ، والكلمات ، وتلك الكرات الشفافة تسجِّل كل هذا ، وتعمل على تنسيقه ، وتحليله ، وربطه بالكلمات نفسها ، المستخدمة فى اللغة الأصلية ..

وفى إرهاق واضح ، هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ كم تتوقعون أن يستمر هذا ؟! إننى أكاد أتضوَّر جوعًا ..

وهنا تساءل خبير الأشعة فى توتر :

ـ ألن يطعمونا هنا ؟!

غمغم (نور) :

ـ بلى .. ولكننا لم نبلغهم أننا جياع بعد ..

تساءل الرائد (هيثم) فى حذر ليس له ما يبرره :

ـ وكيف سنبلغهم هذا ؟!

هتف (أكرم) فى صرامة :

ـ باللغة الدولية ..

ثم اتجه نحو جدار القفص الزجاجى ، وهو يحرِّك يديه ، مضيفًا :

ـ لغة الإشارة ..

قالها ، وهو يشير إلى فمه ومعدته ، قائلاً :

ـ نحن جياع .. نريد طعامًا ..

ولدهشة الجميع ، انبعث الصوت الإليكترونى ، فى اللحظة نفسها ، ليكرِّر نفس كلماته ، قبل أن ترتسم على الشاشة صورة ملوَّنة للحم مشوى ، وكرَّر الصوت الإليكترونى :

ـ طعام .. طعام ..

وهنا تألَّقت عيونهم فى لهفة ..

فما حدث الآن ، وبعد تلك الفترة القصيرة نسبيًا ، كان يعنى قفزة ، فى الصراع لبناء جسور الحوار بين الطرفين ..

قفزة جبَّارة ..

* * *

فجأة ، ارتفع بكاء (محمود) الصغير ، من الحجرة المجاورة ، وهو يهتف :

ـ ماما .. أين أنت ؟!

خفق قلب (نشوى) فى لوعة ، وهى تهتف ، على الرغم من قيودها :

ـ أنا هنا يا صغيرى .. لا تقلق ..

كان قلبها يرتجف بين ضلوعها ، وهى تتطلَّع إلى الميقاتى الزمنى ، وإلى شاشة العدّ التنازلى ، التى تقترب من الصفر ، عندما خرج (محمود) الصغير من الحجرة ،

وهو يفرك عينيه ، متسائلاً بطفولته التلقائية ، من بين دموعه ، التى تغرق وجهه :

ـ أين نحن ؟! أين أبى ؟!

كان قلبها ينفطر لوعة ، وهى تتخيَّل ذلك الانفجار الزمنى الارتجاجى ، الذى يمكن أن يودى بالصغيرين أيضًا ، فسالت دموعها على وجهها بدورها ، وهى تقول :

ـ ابق فى حجرتك يا صغيرى .. لا تقف هنا ..

حدَّق الصغير فى قيودها ، والقيود التى تربط (طارق) إلى الجدار ، وهو يتساءل فى خوف :

ـ ماما .. ما هذا ؟!

عضت شفتها فى لوعة ، وبذلت جهدًا خارقًا ؛ للسيطرة على أعصابها ، وهى تقول :

ـ لا تخف يا صغيرى .. إنها لعبة .. مجرَّد لعبة ..

فوجئت بصوت (طارق) ، يقول فى إرهاق :

ـ هل تحب أن تلعب معنا ؟!

التفتت إليه فى لهفة ، هاتفة :

ـ (طارق) .. هل استعدت وعيك ؟! لقد استخدم أولئك الأوغاد قنابلك الارتجاجية الزمنية ، و ...

قاطعها (طارق) فى حزم ، على الرغم من الدوار العنيف ، الذى يكتنف كيانه كله ، والقيود التى تؤلم معصمه :

ـ لقد لاحظت ذلك ..

سألته فى رعب :

ـ هل توجد وسيلة للخلاص من هذا ؟!

أدار عينيه إلى الميقاتى الزمنى ، وقال فى حزم :

ـ هناك دائمًا وسيلة ما ..

ثم عاد يلتفت إليها ، مكملاً :

ـ إذا ما أحسنا استخدام عقولنا ..

بدت لها العبارة مألوفة بشدة ، وتتفق مع منطقها إلى حد مدهش ، حتى إنها حدَّقت فى وجهه ، مغمغمة :

ـ من أين تعلَّمت هذا ؟!

تطلَّع إلى عينيها بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يدير بصره إلى الميقاتى الزمنى ، ثم يلتفت إلى (محمود) الصغير ، مكررًا :

- هل تحب أن تلعب معنا ؟!

هتفت (نشوى) فى عصبية :

- لا تقحم ابنى فى الأمر .. إنه ليس ...

قاطعها فى حزم :

- هل تتصورين أنه من الممكن أن أوذيه ، مهما كان الثمن ؟!

كلماته بالأسلوب الذى نطقها به ، جعلتها تطبق شفتيها ، وتحدق مرة أخرى فى وجهه بدهشة ، فى حين أدار هو عينيه إلى الصغير ثانية ، وقال وهو يرسم على شفتيه ابتسامة عذبة :

- محمود .. هل ترى هذا الزر الأحمر الكبير فى حزامى ؟

كان يتحدَّث عن حزامه هو ، وليس عن ذلك الحزام الشبحى ، الذى استعاده الأشباح عند رحيلهم ، فتطلَّع الصغير إلى الزر الأحمر الكبير فى حذر ، قبل أن يلتفت إلى أمه متسائلاً ، مما جعلها تبتسم فى صعوبة ، قائلة :

- افعل ما يطلبه منك العم (طارق) يا صغيرى ..

عاد الصغير يتطلَّع إلى الزر الأحمر الكبير فى حذر ، فقال (طارق) ، وهو يحتفظ بابتسامته ، على الرغم من أن العد التنازلى يشير إلى أربعين ثانية فحسب ، قبل انفجار القنابل الارتجاجية الزمنية :

- هيا .. اضغطه بيدك الصغيرة ، لتبدأ اللعبة ..

خفق قلب (نشوى) مرة أخرى فى عنف ، وعيناها معلقتان بالميقاتى الزمنى ، وقالت فى توتر ، لم تستطع كبحه :

- هيا .. أطع ما طلبه منك العم (طارق) ..

تردَّد الصغير لحظة ، والعد التنازلى يتواصل ..

خمس وثلاثون ثانية ..

أربع وثلاثون ..

ثلاث وثلاثون ..

« هيا يا صغيرى .. افعلها .. افعلها .. » ..

هتفت (نشوى) بالعبارة ، وكل ذرة فى كيانها تنتفض ، فانتفض جسد الصغير مع هتافها ، وانفجر باكيًا فى عنف ..

والعد التنازلى يتواصل ..

تسع وعشرون ثانية ..

ثمان وعشرون ..

سبع وعشرون ..

ست وعشرون ..

« اضغط الزر الأحمر الكبير يا (محمود) ، وستنهال عليك الحلوى .. » ..

تردَّد الصغير مرة أخرى فى حذر ..

والوقت يمضى فى سرعة مخيفة ..

عشرون ثانية ..

تسع عشرة ..

ثمان عشرة ..

وبصوت يفوح بالهدوء العذب ، غمز (طارق) بعينه ، مستطردًا :

ـ ناهيك عن الأضواء الجميلة ..

مسح الصغير دموعه ، وهو يمد يده إلى الزر الأحمر الكبير ..

وخفق قلب (نشوى) مرة أخرى ..

وضغط (محمود) الصغير الزر ..

ومع الضغطة ، تألَّق حزام (طارق) كله ، بضوء فيروزى هادئ ، لم يلبث أن انتشر فى جسده كله بسرعة كبيرة ، والعد التنازلى يتواصل ، على نحو مخيف ..

عشر ثوان ..

تسع ..

ثمان ..

وبحركة قوية ، قبض (طارق) عضلاته ، التى انبعثت فيها قوة هائلة مؤقَّتة ، و ...

ومزَّق قيوده دفعة واحدة ..

وبكل ذهولها ، هتفت (نشوى) ..

ـ مستحيل !

وثب (طارق) نحو القنابل الارتجاجية الزمنية ، وراحت أصابعه تتعامل مع الميقاتى الزمنى المتصل بها ، بأقصى

سرعة ممكنة ، وقلب (نشوى) يخفق بمنتهى العنف ، وهى تتابع العد التنازلى ..

خمس ثوان ..

أربع ..

ثلاث ..

ثانيتان ..

ثانية واحدة ..

وانتفض جسدها فى عنف ..

وانطلقت من حلقها شهقة مذعورة ..

ومن كل ذرة فى كيانها ، تصوَّرت أن الانفجار الارتجالى الزمنى سيحدث ، و ...

ولكن الميقاتى توقَّف عند الرقم واحد ..

وفى لحظة واحدة ، تحوَّل كل الانفعال فى كيانها إلى صرخة فرح :

ـ لقد نجحت يا (طارق) .. نجحت فى الـ ...

اختنقت الكلمات بغتة فى حلقها ، عندما امتقع وجهه فجأة ، على نحو نافس وجوه الموتى ، قبل أن يسقط على وجهه ، على قيد خطوة واحدة من (محمود) الصغير ، الذى عاد ينفجر بالبكاء فزعًا ، فى حين اتسعت عينا أمه (نشوى) عن آخرهما ، واختنقت الكلمات فى حلقها ..

اختنقت على نحو مؤلم ..

جدًا ..

* * *

الكل كان متحفزًا ومتأهبًا ، فى كل المواقع الاستراتيجية العسكرية فى (مصر) كلها ..

وزارة الدفاع ..

مجلس الشعب ..

الأمن القومى ..

المطارات الحربية ..

الموانى العسكرية ..

وحدات الرادار والمراقبة ..

الدفاع الجوى ..

وكل الأماكن الأخرى ، التى يفترض تعرُضها للهجوم ، فى ظلّ هذه الظروف ..

وفى مركز استقبال صور الأقمار الصناعية الجديد ، بدا التوتر واضحًا على كل الوجوه ، وقائد المكان يقول فى صرامة ، حملت قدرًا واضحًا من العصبية :

ـ الفجر سينبلج بعد قليل .. لا أريد أن يغمض لأحدكم جفن ، مهما بلغت درجة تعبكم وإرهاقكم ..

كانت كلماته تعنى الكثير للرجال ، الذين تأهّبت وتحفَّزت عضلاتهم وأعصابهم ، على نحو لم يحدث من قبل ، حتى إبان احتلال الأرض ..

ولقد نال منهم التوتر ، والتحفُّز المستمر ، حتى أصبح من المرهق أن يحتفظ الواحد منهم بعينيه مفتوحتين ..

ثم إن عملهم نفسه ، يحتاج منهم إلى منتهى الدقة والانتباه ..

وطوال الوقت ..

وفى تلك الظروف بالذات ، كان عليهم أن يستقبلوا كل صورة أو معلومة ، تنقلها الأقمار الصناعية بكل أنواعها ، والعمل على دراستها وتحليلها ، وتقييم نتائجها ، وإرسال التقارير أوّلاً فأولاً ، لوزير الدفاع ، وطاقم أركان حربه ومعاونيه ..

ولكن العجيب أن كل النتائج كانت تأتى سلبية ..

سلبية تمامًا ..

ولقد أثار هذا حيرتهم ، وارتباكهم ، وتوترهم ..

وإلى أقصى حد ..

فمن بين كل رجال الأمن ، فى (مصر) كلها ، كان هؤلاء بالذات أكثر من يعرف ما حدث ..

وأكثر من رصده ..

وأدركه ..

لذا ، فالتساؤل الذى ملأ النفوس هو أين ؟!

ولماذا ؟!

أين ذهب من فعلوا هذا كله ؟!

ولماذا فعلوا ما فعلوه ؟!

ثم لماذا أصبحت النتائج كلها سلبية ، بعد حالة عنيفة من النشاط والتوتر ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

كان السؤال نفسه يدور فى ذهن قائد المركز ، عندما وقع الهجوم المتوقَّع ..

بغتة ..

فعلى الرغم من كل وسائل التأمين والمراقبة ، والتى استخدمت أحدث وأقوى الأجهزة الدفاعية ، وأعلى درجات التكنولوجيا المتاحة ، فوجئ الكل بتلك الأشباح المستقبلية تقتحم المكان بغتة ..

وبأقصى قدر ممكن من العنف ..

ودون سابق إنذار ، تفجَّرت الفقاعات الصفراء ، والأرجوانية الداكنة ، فى كل مكان ..

ومع عنف المفاجأة ، انهار النظام كله دفعة واحدة ، وراح رجال الأمن يطلقون مدافعهم عشوائيًا ، فى كل الاتجاهات ، و ...

وفجأة ، سطع فى المكان كله ذلك الضوء القوى ..

ثم خبا دفعة واحدة ..

وساد المكان هدوء تام ..

بل سكون تام ..

فباستثناء الآلات ، التى تواصل عملها ، فى التقاط صور الأقمار الصناعية ، وكل ما ترسله من معلومات ، لم يعد هناك رجل واحد ، من كل من ينبغى تواجدهم .. فقط هؤلاء الأشباح ، الذين أطلق أحدهم ضحكة عالية مجلجلة وحشية ، وهو يهتف :

ـ انتصار ساحق كالمعتاد ..

برز شبح زعيمهم ، وعيناه تتألقان فى ظفر واضح ، وهو يقول :

ـ أمر طبيعى .. إن كل أسلحتهم ، على الرغم من قوتها ، تبدو أشبه بلعب الأطفال ، بالنسبة للزمن الذى أتينا منه ..

قال رجل آخر ، فى جشع واضح :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فقد تساوى ثروة طائلة ، فى زمن آخر ..

انعقد حاجبا زعيمه ، وهو يضغط زرًا فى حزامه ، ليستعيد كيانه المادى ، قائلاً فى صرامة :

ـ بالتأكيد ..

ثم أشار بذراعه ، وهو يكمل بلهجة آمرة قاسية :

ـ والآن هيا .. لن نضيع الوقت فى الزهو بانتصار متوقَّع .. ابدءوا عملية الانتشار والسيطرة ، وفقًا للخطة .. طاقم الحماية والتأمين يظلّ محتفظًا بشبحيته ، فى حين يستعيد الباقون ماديتهم .. أريد إعادة تشغيل هذا المركز بالكامل ، خلال دقائق معدودة فحسب ..

وتضاعف انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف بصرامة حملت رنة وحشية :

ـ أنتم تدركون أهمية هذا ، بالنسبة لوجودنا ..

اندفع الكل لتنفيذ أوامره ، دون أدنى مناقشة أو اعتراض ، فى حين عادت عيناه هو تتألقان ، على نحو غير طبيعى ، وهو يتجه إلى مركز الاتصالات الفضائية الفائقة ، الذى أقيم منذ بضع سنوات قليلة ، لتأمين الاتصال بالمركبات الفضائية ، التى يتم إطلاقها خارج حدود المجرة ..

ولثوان ، وقف يتطلَّع إلى أجهزة المركز ، قبل أن يغمغم ، فى ظفر جعله أكثر وحشية من كل وحوش الأرض :

ـ الآن تبدأ العملية الحقيقية ..

وبسرعة مدهشة ، تفوق سرعة الإنسان العادى ، راحت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر ، ليبث رسالة طويلة ، عبر أجهزة الاتصالات الفائقة ، إلى الفضاء البعيد .. البعيد جدًا ..

* * *

« السفر عبر الزمن ، هو أكبر تهديد يواجه العالم يا (طارق) .. » ..

نطق القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية الحربية بهذا ، وهو يواجه (طارق) ، الذى شدّ قامته ، فى وقفته العسكرية الثابتة ، دون أن ينطق بكلمة واحدة ، فتابع القائد الأعلى :

ـ فعندما أثبت (ألبرت أينشتين) ، فى نظريته النسبية ، فى بدايات القرن العشرين ، إمكانية السفر عبر الزمن ، لم يكن فريق كبير من العلماء يؤمن بإمكانية تحقيق هذا عمليًا ، كما تم تحقيقه فى المعادلات الرياضية ..

ثم توقَّف ، واستدار إليه ، متسائلاً :

ـ هل تعلم لماذا ؟!

شدّ (طارق) قامته أكثر ، وهو يقول :

ـ بسبب نظرية السببية يا سيِّدى(*) ..

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالضبط ..

ثم عاد يتحرَّك فى المكان ، مواصلاً :

ـ فمنذ ظهر احتمال السفر إلى الماضى ، فى ظل معادلات (أينشتين) ، بدأ العلماء يدرسون ما يمكن أن يفعله هذا ، قبل أن يضع فريق منهم نظرية السببية ، التى تتحدَّث باختصار عن كل ما يمكن أن يسببه السفر إلى الماضى ، من مشكلات معقَّدة للحاضر والمستقبل ، وتناقش قضية بعينها ، وهى أنه لو سافرت أنت إلى الماضى مثلاً ، ثم تسبَّب سفرك هذا فى مصرع أحد والديك ، قبل أن تولد ، فهذا سيعنى أنك ستمحى أساسًا من الوجود ، فما يؤدى إلى أنه لن يكون لك مستقبل ،

(*) نظرية علمية حقيقية .

لتسافر منه إلى الماضى ، وبالتالى ، سيصبح من المستحيل أن تتسبَّب فى مصرع أحد والديك ..

وتوقَّف ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف :

ـ هل ترى كيف يبدو الأمر معقَّدًا ؟!

غمغم (طارق) :

ـ للغاية !

أطلق القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية الحربية زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق صدره ، وهو يقول :

ـ ما فعله أولئك القراصنة الزمنيون إذن ، برحلتهم الشرسة إلى ماضينا ، قد يهدد حاضرنا ، ومستقبلنا أيضًا بالفناء ، وربما كان وجودنا ، حتى هذه اللحظة ، يعنى أن ما أرادوه لم يتحقَّق فعليًا .. أو ربما يعنى أن منحنى التغير الزمنى لم يأخذ مساره بعد ..

ورفع ذراعيه ، وخفضهما ، مكملاً فى مرارة :

ـ لا أحد يدرى .. ولا أحد يمكنه أن يدرى .. ربما ننمحى فجأة من الوجود ، إذا ما نجح القراصنة فى مهمتهم القذرة ، أو يتغيَّر ماضينا فنجد أنفسنا فى واد آخر ، ووظائف أخرى ..

ومال بجسده ، وهو يلوّح بسبَّابته ، متابعًا فى حزم متوتر :

ـ ولكن الأمر المؤكَّد ، هو أننا لن نعرف أبدًا ماذا حدث ؛ لأنه عندئذ سيكون جزءًا من واقعنا ، منذ لحظة الانحراف الزمنى ..

اعتدل مرة أخرى ، وانطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة كاللهب ، وهو يضيف :

ـ أمر رهيب ..

ثم وضع يده على كتف (طارق) ، وتطلَّع إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول ، بكل الحزم :

ـ وهذا يعنى أن حاضرنا ومستقبلنا ، ومستقبل ومصير الأرض كلها ، يعتمد عليك ، بعد اللـه (سبحانه وتعالى) ، فلا تخذلنا قط .. مهما كان الثمن ..

أجابه (طارق) ، بكل القوة والحماسة :

ـ سأبذل حياتى ، لو اقتضى الأمر يا سيِّدى .. من أجل المستقبل .. مستقبلنا جميعًا ..

« من أجل المستقبل .. » ..

« من أجل من تحب .. » ..

« من أجلها .. » ..

« (نشوى) .. » ..

هتف (طارق) باسمها ، وهو يستعيد وعيه بحركة مباغتة ، تلاشت معها كل أحلام وذكريات البداية ، وفتح عينيه يتطلَّع إليها ، وإلى الدموع التى أغرقت وجهها ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .. تصوَّرت بعض الوقت أنك لن تستيقظ أبدًا ..

هبَّ من رقاده ، وهتف ، وهو يندفع ليحلّ قيودها :

ـ هل بقيت طويلاً فاقد الوعى ؟!

أجابته من وسط دموعها :

ـ ما يقرب من الساعة ..



هتف (طارق) باسمها ، وهو يستعيد وعيه بحركة مباغتة ..

ألقى نظرة متوترة ، على (محمـود) الصغير ، النـائم علـى الأرض ، والدمـوع تغرق وجهـه البرىء كلـه ، وغمغم فى عصبية :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

شعرت بارتياح غامر ، عندما استعاد وجهه نضرتـه ، وتلاشى منه ذلك الشحوب المخيف ، الذى سيطر عليـه ، طوال فترة فقدانه لوعيه ، ولم يكد يحلّ قيودها ، حتى أسرعت تلتقط صغيرها ، وتضمه إلى صدرها فى حنان ، متسائلة فى لهفة وفضول :

ـ ماذا أصابك ؟!

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يجيب فى توتر :

ـ ذلك الزر الأحمر مصنوع للطـوارئ القصـوى ، حيث يؤدى الضغط عليه إلى إطلاق هرمون صناعى خاص فى الدم ، يفوق تأثيره مادة الأدرينـالين (*) ، بست مرات علـى الأقل ، بحيث يضاعف من قوة الجسم مرحليًا ، على نحو مدهش ..

(★) الأدرينالين : هرمون يفرزه نخاع الغدة الكظرية ، وظيفته الرئيسية هى الإعانة على تعبئة موارد الجسم ، فى أوقات الإجهاد أو الخطر ، حيث يتم إفرازه فى الدم بكثرة ، فى هذه الحالات ، لذا فهو يعرف باسم (هرمون الطوارئ) .

هتفت بدهشة :

ـ ولكنك فقدت الوعى بعدها ..

أومأ برأسه ، مجيبًا :

ـ هذا رد فعل حيوى طبيعى ، فعندما تجبرين جسدك على تجاوز قدراته الطبيعية ، لابد وأن يصاب بعدها بالسكون والاسترخاء التامين ؛ لاستعادة الطاقة المستهلكة ، شئت أم أبيت(*) ..

لم تدر لماذا شعرت بمزيج من الحنان والزهو ، وهى تتطلّع إليه ، ولا لماذا دفعها هذا إلى احتضان صغيرها (محمود) على هذا النحو ، ولكن تلك الخفقات فى قلبها جعلتها ترتجف ، ودفعت قشعريرة باردة فى عروقها ، و ...

« من أنت بالضبط يا (طارق) ؟! » ..

انطلق السؤال من بين شفتيها ، فى لهفة عجيبة ، ودون أن تدرى حتى كيف ، فاستدار هو إليها بحركة حادة ، وتطلّع إلى عينيها مباشرة ، فى صمت مهيب عجيب ..

(*) حقيقة علمية .

وفى عينيه قرأت الكثير ..

والكثير جدًّا ..

ولقد ذكّرها ذلك بعينى شخص قريب إليها ..

قريب جدًّا ..

وانتفض جسدها ، وهى تحدّق فى تلك العينين الهادئتين العميقتين ، و ...

وفجأة ، أبعد (طارق) عينيه ، وأشار إلى الكمبيوتر ، متسائلاً :

ـ أهناك وسيلة هنا ، لمعرفة ما فاتنا ؟!

كانت تعلم أنه يحاول التهرُّب من الجواب ، ولكنها لم تبذل أدنى جهد لدفعه إلى العكس ، وإنما أجابته فى سرعة وحسم :

ـ بالتأكيد ..

أعادت صغيرها إلى حجرته ، ثم اتجهت نحو الكمبيوتر مباشرة ، متابعة :

- عندما أنشأنا مخبأ الطوارئ هذا، كان أول ما حرصت عليه، هو ربطه بكل شبكات المعلومات، وكل أجهزة الكمبيوتر الأمنية، فى (مصر) كلها، تحسبًا لموقف كهذا..

بدأت أصابعها تجرى على أزرار الكمبيوتر لبضع لحظات، قبل أن تسأله بغتة، فى اهتمام وفضول:

- ماذا سيحدث لى فى المستقبل ؟!

ابتسم، مجيبًا فى حذر:

- ستصبحين رمزًا للعبقرية والبطولة..

سألته فى حزم:

- أعنى ماذا سيحدث لى جسديًا ؟!

انعقد حاجباه، وهو يراقبها فى صمت، فأدارت عينيها إليه، متسائلة فى توتر:

- هل سألقى مصرعى؟!

تطلع إلى عينيها مباشرة، لثانية أو ثانيتين، قبل أن يبتسم، قائلاً:

- لدينا، فى مستقبلكم، قاعدة تقول: إنه لو علم المرء مستقبله لهدَّد وجوده كله بالفناء..

تساءلت فى دهشة:

- ولماذا ؟!

أشار بسبَّابته، مجيبًا:

- لأن هذا قد يمنعه من القيام بأعمال، سيكون لها تأثير مهم جدًا فى مستقبله..

وصمت لحظة، ثم أضاف، فى بطء حذر:

- وربما فى مستقبل الأرض كلها..

هذه المرة، تحاشت النظر إلى عينيه العميقتين، وعادت تعمل على الكمبيوتر، فتأملها هو بضع لحظات أخرى فى حنان، قبل أن يقول:

- ثم إننا، عندما بدأنا عملنا، فى المخابرات الزمنية، وهو جهاز جديد، تم إنشاؤه، بعد كشف السفر عبر الزمن، أقسمنا على كتمان كل الأحداث المستقبلية، عن الأزمنة التى نسافر إليها، ومن الضرورى أن أبرّ بقسمى..

وتنهَّد مضيفًا:

- هذا واجبى..

تمتمت فى عصبية ، وأصابعها تواصل عملها ، على أزرار الكمبيوتر :

- لو أننى فى موضعك ، لفعلت المثل تمامًا ، ولكن ...

بترت حديثها بشهقة مباغتة ، جعلته يهتف :

- ماذا هناك ؟!

أجابته فى انفعال :

- لقد استولى غزاة الزمن على مركز استقبال صور الأقمار الصناعية الرئيسى ، ومركز الاتصالات الفضائية الفائقة ..

هتف ، وهو يندفع نحوها :

- يا إلهى ! لم أتوقَّع هذا أبدًا ..

بدا وجهها شاحبًا ممتقعًا ، وهى تقول :

- ولكنه يخيفنى بشدة ..

انعقد حاجباه ، وهو يقول ، وقد تضاعف توتره :

- بالتأكيد ، فسعيهم للسيطرة على الأقمار الصناعية ، ووحدات الاتصالات الفائقة ، يعنى أنهم يخططون لأمر بعيد المدى ..

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

- الأمر لا يقتصر على هذا ..

وتضاعف شحوب وجهها وامتقاعه ، وهى تضيف :

- لقد بثوا رسالة ، إلى الفضاء البعيد ..

ردَّد ، وكل ذرة فى كيانه تنتفض :

- رسالة ؟!

أجابته فى انفعال :

- نعم .. رسالة شفرية طويلة ، لم أعمل على حل رموزها بعد ، ولكن ما يخيفنى هو تردُّد البث ..

سألها فى حذر قلق :

- ولماذا ؟!

ارتجف صوتها أكثر ، وهى تجيب :

- لأن هذا الترددُ يكفى ، لبث رسالة إلى كوكب بعيد ، نعرفه جميعًا هنا ..

أطلَّ التساؤل من عينيه ، فتابعت فى شىء من الذعر :

- (أرغوران) [*] ..

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة ..

* * *



(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

٤ـ أعماق الزمن ..

بدت خبيرة الصوتيات مبهورة ، وهى تدير عينيها فيما حولها ، هاتفة :

- يا له من تغيير تام ! لقد أخرجونا من ذلك القفص الزجاجى الكبير ، الذى كان يجعلنا نشعر وكأننا حيوانات تجارب ، ونقلونا إلى هذا المكان الفاخر ، حيث توجد لكل منا حجرة منفصلة ، لها دورة مياه خاصة ، ودرجة حرارة مدهشة ..

تلفَّت (نور) حوله بدوره ، وهو يقول :

- ولكننا مازلنا سجناء إلى حد ما ، فأبواب المكان تُفتح من الخارج فقط ..

غمغم الرائد (هيثم) :

- إنه انتقال إلى الأفضل على الأقل ..

أطلق (أكرم) زفرة ملتهبة من صدره، وهو يقول، فى شىء من العصبية :

- أتعشَم هذا ..

تطلَّعت إليه خبيرة الصوتيات بضع لحظات، فى إعجاب واضح، قبل أن تميل نحوه، لتسأله فى دلال :

- ألأنت متزوَّج حقًّا ؟!

أجابها فى شىء من الخشونة :

- نعم ..

هزَّ خبير الأشعة رأسه، وهو يقول فى عصبية :

- السؤال هو لماذا ؟!

قال (أكرم) فى دهشة :

- لماذا تزوَّجت ؟!

لوَّح خبير الأشعة بيده نفيًا، وهو يقول، فى عصبية أكثر :

- بل لماذا هذا الانتقال ؟!

فوجئ الكل بصوت إليكترونى، يجيب :

- لأنكم تستحقون هذا ..

استدار الكل بحركة واحدة، إلى مصدر الصوت، ووقفت أبصارهم على شخص مهيب الطلعة والهيئة، يغرق كله فى البياض، بثوبه الأبيض الناصع، وشعره ولحيته الأشيبين، وهو يقف عند أحد الجدران، وحوله رجلان أصغر سنًّا، يحمل كل منهما عصا بيضاء قصيرة، وحقيبة صغيرة مستديرة، من اللون نفسه ..

وفى دهشة عصبية، هتف (أكرم) :

- كيف دخلتم إلى هنا ؟! إنكم لم تكونوا داخل المكان، منذ لحظة واحدة ..

تحرَّكت شفتا ذلك المهيب بكلمات هادئة، انبعث بعدها ذلك الصوت الإليكترونى، قائلاً بالعربية :

- من الواضح أنه هناك أمور عديدة هنا، لايمكنكم فهمها أو استيعابها ..

قال (نور) فى حذر :

ـ أعتقد أنه على رأسها قدرتكم المدهشة ، فى فهم واستيعاب لغتنا ، فى هذه الفترة القصيرة جدًا ..

ابتسم المهيب ، قائلاً :

ـ لقد حصلنا على الكثير من عقولكم ، فى أثناء غيبوبتكم الطويلة ، وكنا نحتاج فقط إلى بعض المفاتيح ، التى قدمتموها أنتم إلينا ، بذكاء أدهش فريق علمائنا ، وجعلنا ندرك مدى عبقريتكم ، على الرغم من تخلفكم الحضارى الواضح ..

هتفت خبيرة الصوتيات فى استنكار غاضب :

ـ تخلُفنا الحضارى ؟!

اتسعت ابتسامة المهيب ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالنسبة لنا على الأقل ..

لم تكن حركات شفتى المهيب تتفقان ، مع الكلمات الإليكترونية المنطوقة ، لذا فقد سأله (نور) :

ـ هذا جهاز ترجمة فورية إليكترونى .. أليس كذلك ؟!

أدار المهيب عينيه إليه ، مجيبًا بنفس الهدوء :

ـ بالضبط .. لقد سجلنا كل كلمة نطقتم بها ، وكل حديث تبادلتموه ، فى أثناء فترة احتجازكم ، وقمنا بمزج هذا بكل انفعال بدر منكم ، وكل رد فعل ، وأضفنا هذا كله إلى ما استخرجناه من عقولكم ، لنصنع هذا البرنامج الجديد ..

قال الرائد (هيثم) ، فى صوت حمل نبرة صارمة :

ـ إذن فأنتم تعلمون الآن أننا بشر مثلكم ..

أجابه المهيب فى هدوء :

ـ لقد تأكَّدنا من هذا ، عندما فحصنا أجسادكم ، ظاهريًا وداخليًا ، فى أثناء فترة فقدانكم الوعى ..

اندفع (نور) يسأله بغتة :

ـ وكم استغرق هذا ؟!

أشار المهيب بيده ، مجيبًا :

ـ ما يزيد قليلاً على دورة قمرية واحدة (*) ..

(★) الدورة القمرية : القمر جسم مظلم ، ينعكس عليه ضوء الشمس ، ويتغيَّر الجزء المستضىء المرئى منه ، فى الحجم والشكل ، من هلال رفيع إلى بدر مكتمل ، وبالعكس ، وتستغرق دورة القمر حول مساره (٢٧,٥) يومًا ، وتستغرق الدورة ، ما بين كل هلال وآخر (٢٩,٥) يومًا .

اتسعت عيونهم فى ذهول ، وهتف خبير الأشعة مستنكرًا :

ـ هل تعنى أننا فقدنا الوعى ، لما يقرب من شهر كامل ؟!

تردَّد المهيب لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لو أن هذا ما تطلقونه على الدورة القمرية المكتملة ..

تبادل الكل نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم (نور) :

ـ رباه ! لم أكن أظن أن الخروج من فراغ زمنى ، يدمر الجسد إلى هذا الحد ..

بدا الاهتمام والانتباه على وجه المهيب ، وهو يقول ، عبر ذلك المترجم الإليكترونى :

ـ فراغ زمنى ؟! إذن فقد أتيتم من زمن آخر بالفعل ، كما اتفق رأى بعض علمائنا ..

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ ماذا كنتم تظنوننا إذن ؟!

أجابه المهيب بنفس الهدوء :

ـ فى البداية ، عندما كشفتكم إحدى دورياتنا ، داخل تجويف مبهم فى السماء ، تصوَّرنا أنكم مخلوقات من عالم آخر ، أو من بعد زمنى آخر ، ولقد ظلَّ هذا الاعتقاد لدى البعض ، حتى بعد أن تأكَّدنا من بشريتكم ، على الرغم من جباهكم الضيقة ، التى جعلت البعض يتصورَّ أن معدلات الذكاء لديكم ستكون منخفضة عنا ..

غمغم (أكرم) فى حدة :

ـ يا للغرور !

لم يبد حتى أن المهيب قد سمعه ، وهو يواصل :

ـ ولأن ثيابكم كانت تختلف عما ألفناه ، وكذلك الأدوات التى تحملونها ، وتلك الخوذات الداكنة العجيبة ، فقد افترض البعض أنكم تنتمون إلى حضارة أخرى ، فى مكان مجهول ، من عالمنا المحدود ..

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ ما الذى تعنيه بعالمكم المحدود هذا ؟!

تجاهله المهيب تمامًا ، وهو يكمل بنفس الهدوء :

ـ ثم ظهرت نظرية الزمن الآخر ..

صمت عند هذه النقطة ، وأدار عينيه فى وجوههم ، قبل أن يتابع :

ـ فريق من علمائنا افترض أنكم تنتمون إلى زمن آخر ، وأنكم قد انتقلتم إلى زمننا بوسيلة ما ، لم يمكنهم تحديدها بالضبط ، ولكن هذه النظرية لاقت الاعتراض من فريق آخر ، نظرًا لأن كل ما يتعلّق بكم لم يكن له مثيل ، فى أى زمن قديم ، وفقًا للتاريخ المسجّل لدينا ، وكل الشواهد التى عثر عليها علماء دراسات الزمن والأحداث الماضية ..

قال (نور) فى حزم :

ـ ألم يدر بخلدكم قط أننا قد ننتمى إلى مستقبلكم ؟!

ابتسم المهيب ، وهو يقول :

ـ هذا غير وارد بالتأكيد ..

سألته خبيرة الصوتيات فى تحد :

ـ ولِمَ لا ؟!

أجابها فى هدوء وبساطة :

ـ لأن المنطق العلمى يرفض هذا ، بكل المعايير والمقاييس ؛ فكل شىء لديكم يعد بالنسبة لنا بدائيًا ، إلى حد ما ، والمفترض أن يمضى التقدّم إلى الأمام دائمًا ،و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ ليس بالضرورة ..

انعقد حاجبا المهيب ، وهو يقول فى دهشة :

ـ وكيف هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ بكارثة طبيعية مثلاً .. نيزك يتجاوز الغلاف الجوى الأرضى ، ليسبب دمارًا شاملا ، ويقضى على حضارات كاملة ، بحيث يضطر الناجون إلى البدء من الصفر ، بقواعد جديدة ، وأهداف مختلفة ..

تردّد المهيب لحظة ، قبل أن يهزّ رأسه نفيًا فى قوة ، قائلاً :

ـ لا .. إنه احتمال بعيد ..

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ ولكنه احتمال قائم ، والعلماء فى زمننا ، يؤكدون أن الديناصورات قد امحت من الأرض ، بسبب كارثة طبيعية مشابهة (*) ..

بدت الدهشة مرة أخرى على وجه المهيب ، وهو يتساءل :

ـ الديناصورات ؟! وما هى هذه الديناصورات ؟!

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ ألا تعرف ما هى الديناصورات ؟! إنها تلك الحيوانات الضخمة ، التى تستخدمونها هنا ، كوسائل للركوب ..

ابتسم المهيب ، وهو يقول :

ـ آه .. تقصدون (الكواركات) ؟!

هتفت خبيرة الصوتيات :

ـ ماذا ؟!

(*) نظرية علمية حقيقية .

اتسعت ابتسامته ، مع قوله :

ـ (الكواركات) هى تلك الحيونات الضخمة ، التى أثار أحدها انتباهكم واهتمامكم بشدة ، فى أثناء وجودكم داخل ناقوس الاختبار ..

تساءل الرائد (هيثم) فى حذر :

ـ هل تطلقون على الديناصورات اسم (الكواركات) ؟!

صمت المهيب بضع لحظات ، قبل أن يسألهم فى اهتمام :

ـ ما معلوماتكم عن هذه الـ ... الديناصورات ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ أنها حيوانات ضخمة ، سادت الأرض ، فى عصور ما قبل التاريخ المكتوب ، بعدة ملايين من السنين ، قبل أن تفنى وتنقرض ، بسبب كارثة طبيعية عنيفة ..

التقى حاجبا المهيب فى شدة ، وهو يردِّد :

ـ عصور ما قبل التاريخ ؟! ملايين السنين ؟! تنقرض ؟! أية معلومات هذه ؟!

تبادل الجميع نظرة متوترة ، قبل أن يسأله (نور) :

ـ وما معلوماتكم أنتم ، عن هذه (الكواركات) ؟!

أجابه المهيب ، وكأنه يتحدَّث عن أمر لاجدل فيه :

ـ (الكواركات) مجرَّد حيوانات تخليقية ..

سألته خبيرة الصوتيات فى توتر :

ـ ماذا تعنى بمخلوقات تخليقية ؟!

أجابها فى حزم :

ـ أعنى أنها حيوانات لم يكن لها وجود حقيقى فى الطبيعة ، حتى أمكننا تخليقها فى المعامل ، باستخدام ما نطلق عليه اسم (هندسة الجينات الوراثية) ..

اتسعت عيون الكل ، و(أكرم) يهتف فى انفعال :

ـ حديقة الديناصورات ..

فقد كان هذا يعنى أنهم بالفعل فى الزمن ، الذى توقعته خبيرة الصوتيات منذ البداية ..

المستقبل ..

المستقبل البعيد ..

جدًا ..

* * *

، « لقد سيطروا على كل الأقمار الصناعية الدفاعية أيضًا ، يا سيادة الوزير .. » ..

نطق أركان حرب وزير الدفاع بالعبارة ، فى توتر بالغ ، قبل أن يشير بيده ، مستطردًا فى ارتباك :

ـ وهذا يعنى أنه من المحتم أن تنتقل القيادة ، إلى مخبأ الطوارئ النووية فورًا يا سيِّدى ..

عقد الوزير كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل تظن أن هذا سيوقفهم ؟!

تضاعف توتر أركان الحرب ، وهو يقول :

ـ سيطرتهم على الأقمار الدفاعية ، يعنى قدرتهم على توجيه مدافع الليزر بها ، إلى أى هدف أرضى ، وتدميره فى خلال ثوان معدودة ، والمكان الوحيد ، الآمن من تلك المدافع ، هو مخبأ القيادة العليا ، للطوارئ النووية ..

التقط الوزير نفسًا عميقًا ، وقال فى حزم :

ـ وماذا عن باقى الضباط والجنود ؟!

هتف أركان الحرب :

ـ سيِّدى ..

قاطعه الوزير ، وهو يكمل فى حدة :

ـ وماذا عن المواطنين .. الرجال ، والنساء ، والشيوخ ، والأطفال ؟! هل يمكن نقلهم جميعًا ، إلى المخبأ النووى ؟!

قال أركان الحرب :

ـ سيادة الوزير .. القواعد تنصّ على حماية القيادات العليا أوّلاً ..

صرخ الوزير فى وجهه :

ـ خطأ .. أكبر خطأ ..

ثم شدّ قامته ، وهو يكمل فى اعتداد :

ـ إننى لم أحصل على كل هذه الأوسمة ، التى تزين صدرى ، لكى أهرع لحماية نفسى ، فور أن يحيط الخطر بموطنى ، تاركًا الشعب كله خلفى ..

هتف أركان الحرب :

ـ إنه إجراء استراتيجيى محض يا سيادة الوزير ، ولا شأن له بالمشاعر والصفات الشخصية ..

صاح به الوزير ، فى حزم صارم :

ـ لن أغادر موقع القيادة أبدًا ..

ودق سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا :

ـ سأقاتل من هنا ..

كاد ضابط أركان الحرب ينهار ، وهو يهتف به :

ـ سيادة الوزير .. أرجوك ..

قبل أن يتمّ هتافه ، انطلق أزيز جهاز الاتصال الخاص ، فى ساعة يده ، فرفعها إليه فى لهفة متوترة ، وضغط زرًا بها ، قائلاً فى انفعال :

ـ ماذا هناك ؟!

لم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى امتقع وجهه بشدة ، ورفع عينيه الذاهلتين إلى الوزير ، قائلاً فى اضطراب شديد :

ـ لقد .. لقد هاجمت تلك الأشباح مخبأ الطوارئ النووى ، و ... و ..

أكمل الوزير فى صرامة :

ـ وأبادت كل من فيه .. أليس كذلك ؟!

أومأ أركان الحرب برأسه إيجابًا ، فى امتقاع أكثر ، فشدّ الوزير قامته مرة أخرى ، قائلاً :

ـ أرأيت .. كان هذا إجراءً متوقَّعًا منهم ، مادام تنصّ عليه القواعد الجامدة ، التى يعلمون أننا سنطبقها حتمًا ..

وعاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

ـ لقد كنت على حق .. سنقاتل من هنا ..

هزّ أركان الحرب رأسه فى مرارة ، قائلاً :

ـ هذا مستحيل !

هتف به الوزير فى غضب :

ـ ولماذا ؟!

أجابه فى يأس :

ـ لأنهم أيضًا يتبعون القواعد ، وماداموا يسعون للسيطرة الكاملة ، فلابد أن يتجهوا الآن إلى الهدف التالى الحتمى ..

أطلّ التساؤل من عينى الوزير ، فتابع أركان حربه بصوت منخفض :

ـ سيادتك ..

ومع آخر حروف كلمته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، أطاح بحجرة الأمن الرئيسية ، فى مدخل الممر ، الذى يقود إلى حجرة الوزير ، وارتجّ معه باب مكتبه فى قوة ، فهتف أركان الحرب ، وهو يسحب مسدسه الليزرى :

ـ سيِّدى الوزير ..

لم يكد هتافه يكتمل ، حتى اخترق قراصنة الزمن جدران حجرة الوزير ، فى هيئتهم الشبحية الرهيبة ، يتقدَّمهم شبح زعيمهم ، الذى تألَّقت عيناه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظافرة ساخرة ، وهو يقول :

ـ آه .. وزير الدفاع الشجاع ، الذى أفسد خطتنا كلها ، فى محاولتنا الثانية ..



ومع قوله ، رفع أحد رجاله فوهة سلاحه نحو أركان الحرب ، لتنطلق منها فقاعة صفراء قاتلة ..

أطلق أركان الحرب أشعة مسدسه نحوه ، صارخًا :

ـ لن تمسّوا شعرة من رأس الوزير ، إلا على جثتى ..

هزّ شبح الزعيم كتفيه بلا مبالاة ، عندما تجاوزته أشعة الليزر ، دون أن تمسّه بسوء ، وقال :

ـ فليكن ..

ومع قوله ، رفع أحد رجاله فوهة سلاحه نحو أركان الحرب ، لتنطلق منها فقاعة صفراء قاتلة ..

وسقط ضابط أركان الحرب جثة هامدة ، عند قدمى وزير الدفاع ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يهتف :

ـ أنتم أكثر حقارة ، من كل ما تصوّرته ..

ارتسمت على وجوههم ابتسامات ساخرة شرسة ، فى حين أدار زعيمهم فوهة سلاحه إلى الوزير ، قائلاً :

ـ حقًا ؟! أهذه آخر كلماتك ، كما سيسجلها تاريخ الحمقى ؟!

التقى حاجبا الوزير ، فى حزم صارم ، وشدّ قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ـ كلاً .. لدى كلمة أخرى ..

ثم هتف بكل الحسم :

- تحيا (مصر) ..

ومع هتافه ، ضغط زعيم الأشباح زناد سلاحه ..

وانطلقت فقاعته الأرجوانية ..

وتألق المكان بوهجها الأرجوانى ..

الرهيب ..

* * *

شحب وجه (نشوى) ، وهى تتراجع فى مقعد سيارتها ، وتخفض منظارها الليلى ، مغمغمة فى مرارة :

- لقد سيطروا على وزارة الدفاع أيضًا ..

كانت الشمس قد بدأت تشرق فى الأفق بالفعل ، فتطلَّع إليها (طارق) بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

- إنهم يتقدمون بسرعة مخيفة ، ولا أحد يمكنه التصدّى لأسلحتهم القوية المتطوِّرة ، كما أن كيانهم الشبحى هذا يحول دون النيل منهم ، بأية وسيلة معروفة ..

تنهَّدت (نشوى) فى توتر شديد ، وهى تلقى نظرة على الصغيرين ، النائمين فى الأريكة الخلفية للسيارة ، قائلة :

- من العجيب أنك أيضًا تجهل طبيعة أسلحتهم ..

هزَّ رأسه ، قائلاً :

- إننى لم أرها فى حياتى قط ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- من الواضح أن عجلة التطوّر تدور أسرع مما نتوقَّع دومًا ..

رفعت يدها إلى وجهها ، وتطلَّعت إلى أظفارها لحظة ، قبل أن تقول فى حزم ، على الرغم من توترها :

- ربما كان هناك تفسير آخر ..

التفت إليها ، متسائلاً :

- مثل ماذا ؟!

تطلّعت إلى أظفارها بضع لحظات أخرى ، قبل أن تجيب بسؤال آخر :

- قل لى : كيف انتقل ابن السيّد (أمجد) إلى المستقبل ، وبقى ليتزعّم تلك المنظمة صهيونية النزعة هناك ، دون أن يختلّ توازنه الزمنى ، باعتباره ينتمى بيولوجيًّا إلى زمن آخر ؟!

هزّ كتفيه ، وهو يجيب فى بطء ، على نحو يوحى بأن سؤالها قد مسّ نقطة ما فى عقله :

- ربما وجدوا فى المستقبل سبيلاً لـ ...

قاطعته فى حزم :

- لماذا لايمكنهم أن يستمروا فى البقاء فى زمننا إذن ؟!

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، قبل أن يسألها فى اهتمام :

- فيم تفكرين بالضبط ؟!

أشارت إلى الصغيرين ، فى الأريكة الخلفية ، قائلة :

- إننا نحتاج إلى مكان مأمون ، نترك فيه الصغيرين ؛ حتى نواصل قتالنا ، ومحاولتنا لإنقاذ مستقبل الأرض ..

لم يفهم العلاقة بين سؤاله وجوابها ، فتراجع فى حذر ، متمتمًا :

- ماذا يدور فى رأسك ؟!

أجابته وهى تدير محرك سيارتها :

- أسئلة .. عشرات الأسئلة ..

سألها ، وهى تنطلق بها :

- مثل ماذا ؟!

صمتت بضع لحظات ، قبل أن تجيب فى حزم :

- هناك نظرية تعربد فى نظرى ، وترهق ذهنى بشدة ، وأريد أن أتأكّد من صحتها أو خطئها ..

سألها :

- أية نظرية تلك ؟!

رفعت سبّابتها ، مجيبة :

- نظرية التشابه ، بين الآباء والأبناء ..

مرة أخرى ، بدا له أنه لم يفهم أبدًا ما تعنيه ، فتساءل :

ما الذى تريدين قوله بالضبط يا سيِّدة (نشوى) ؟! ليست أميل كثيرًا للألغاز ..

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ ليست ألغازًا يا (طارق) .. إنها مجرَّد نظرية .. نظرية تحتاج إلى خبير ..

ثم أدارت عينيها إليه ، مستطردة فى حزم :

ـ أو خبيرة ..

ولم يفهم (طارق) ما تعنيه ، فى هذه المرة أيضًا ..

لم يفهم أبدًا ..

★ ★ ★



٥ ـ الأب .. والابن ..

لم يشعر عقل (نور) بالارتياح أبدًا ، مع هذه المعلومة الأخيرة ..

لم يقتنع عقله قط ، بأن ما يحيط بهم هو مستقبل الأرض ..

مستقبلها البعيد ..

جدًا ..

صحيح أن كل شىء كان يوحى بهذا ..

حتى مع وجود تلك الديناصورات ، أو (الكواركات) ، كما يطلقون عليها ، فى هذا الزمن ..

فكما قال ذلك المهيب ، لقد تم تخليقها ، بوساطة هندسة الجينات الوراثية ..

تمامًا مثلما فعلوا ، فى فيلم حديقة الديناصورات ..

ولكن تبقى عقبة واحدة ..

اللغة ..

فاللغة المستخدمة ، فى هذا الزمن ، لغة مختلفة تمامًا ..

مختلفة عن أية لغة معروفة ، فى تاريخ كوكب الأرض كله ..

وفى الوقت ذاته ، فهم يعتبرون لغتهم العربية لغة مجهولة ..

لغة أمة كاملة ..

لغة القرآن الكريم ..

لغة اللغات الحية ، يعتبرونها مجهولة !!

فما الذى يعنيه هذا ؟!

وسرت فى جسده قشعريرة كالثلج ، عندما توصَّل إلى الاحتمال الوحيد ، لتفسير هذا الأمر ، باعتبار أنهم بالفعل فى المستقبل البعيد ..

إن الحضارة التى تركوها خلفهم ، فى زمنهم ، قد فنيت ، وأبيدت عن آخرها ..

فنيت بعلومها ..

ومنجزاتها ..

وتطوراتها ..

وحتى لغاتها ..

فنيت ، لتولد حياة جديدة ..

وحضارة جديدة ..

ومن أعمق أعماقه ، انطلقت موجة رافضة ، متمردة ، عنيدة ..

موجة لا تستطيع استيعاب حدوث هذا ..

أبدًا ..

صحيح أنه ليس بالاحتمال المستحيل ..

إلا أنه يرفضه ..

وبشدة ..

« مهلاً .. » ..

انطلق هتافه فجأة ، بلهجة حملت كل ما يشتعل فى نفسه ، فاستدارت إليه العيون كلها ، فى تساؤل قلق ، عبَّر عنه المهيب ، بقوله :

- ماذا هناك ؟!

سأله (نور) ، فى شىء من الانفعال :

- كيف قمتم بتخليق تلك (الكواركات) ؟!

أجابه المهيب فى حيرة :

- قلت لك : إن هذا عن طريق هندسة الجينات الوراثية ..

سأله (نور) :

- كيف ؟!

صمت المهيب لحظة ، وكأنما يحاول استيعاب ما يعنيه (نور) ، ثم لم يلبث أن أجاب ، بنفس الهدوء ، من خلال جهاز الترجمة الإليكترونى :

- لقد مزج العلماء جينات أحد الثدييات ضخمة الحجم ، مع جينات بعض الزواحف ، و ...

قاطعه (نور) بتنهيدة ارتياح قوية ، قبل أن تتألق على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وهو يقول :

- حمدًا لله .. هذا ما تمنيت سماعه ..

بدا مزيج من الدهشة والحيرة ، على وجوه الجميع ، وتساءل (أكرم) فى توتر :

- ماذا تقصد بهذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم واضح :

- أقصد أن ما سمعتموه الآن يعنى أننا لسنا فى مستقبل الأرض البعيد ، كما كنا نتصوَّر ..

سألته خبيرة الصوتيات فى لهفة :

- أين نحن إذن ؟!

دار (نور) عينيه إلى المهيب ، وهو يجيب فى حزم أكثر :

- فى الماضى ..

التقى حاجبا المهيب ، وهو يكرِّر فى دهشة حذرة :

- الماضى ؟!

اعتدل (نور) ، فى وقفة قوية ، وهو يجيب :

ـ نعم .. الماضى السحيق ..

واتسعت العيون كلها عن آخرها ، فأضاف بمنتهى الثقة والحزم :

ـ جدًا ..

وحان دور المهيب ، ليمتلئ كيانه كله بالدهشة .. حتى النخاع ..

* * *

ارتجف جسد الخبيرة البيولوجية (هناء حماد) ، وهى تهب من فراشها ، فى تلك الساعة المبكرة جدًا ، إثر رنين جرس باب منزلها ، وشملها توتر بلا حدود ، وهى تسرع إلى الباب ، مغمغمة :

ـ تُرى من القادم ، فى هذه الساعة المبكرة ؟!

امتلأت نفسها بدهشة قوية ، عندما تطلّعت إلى شاشة المراقبة الصغيرة ، المجاورة للباب ، ورأت عليها (نشوى)

و(طارق) ، وكل منهما يحمل أحد الصغيرين ، فهتفت ، عبر جهاز الاتصال المباشر :

ـ (نشوى) .. أية مفاجأة تلك، التى ...

قاطعتها (نشوى) فى حزم :

ـ افتحى الباب أوّلاً يا (هناء) .. الأمر عاجل بحق ..

لم تكن لديها ذرة واحدة من الشك فى هذا ، مع قدوم (نشوى) على هذا النحو ، ولكن مصاحبتها لـ(طارق) ، الذى لم تره (هناء) من قبل ، أصابها بشىء من التوتر ، فمرّرت يدها على شعرها ، فى محاولة بدائية لتصفيفه ، وهى تفتح الباب ، مغمغمة :

ـ معذرة .. لقد استيقظت على رنين الجرس ، و ...

مرة أخرى ، قاطعتها (نشوى) ، قائلة :

ـ ألديك مكان للصغيرين ؟!

أشارت (هناء) بيدها ، وهى تجيب فى حذر :

ـ هناك حجرة الضيوف ..

اندفعت (نشوى) بصغيريها نحو الحجرة، التى أشارت إليها (هناء)، فى حين غمغم (طارق)، وهو يتبعها :

- معذرة يا سيدتى .. الوقت غير مناسب، ولكن ...

قاطعته هى هذه المرة، وهى تجاهد للابتسام :

- لا عليك .. لقد اعتدت هذا ..

أرقدا الصغيرين فى رفق، على ذلك الفراش الكبير، فى حجرة الضيوف قبل أن يعودا إليها مسرعين، و(نشوى) تقول :

- (هناء) .. ألديك هنا ما يكفى، لإجراء فحص جينى كامل ؟!

ارتفع حاجبا (هناء) فى دهشة، وسرت فى جسدها قشعريرة باردة، وهى تستعيد ذكريات مخيفة، لمغامرة جمعتها مع فريق (نور)(*)، وهى تجيب، فى حذر متوتر :

- فحص جينى كامل ؟! ولماذا ؟!

(*) راجع قصة (الحرباء) ... المغامرة رقم (١٠١).

كررَت (نشوى) سؤالها فى عصبية :

- ألديك ما يكفى أم لا ؟!

نقلت الخبيرة البيولوجية بصرها بينهما، فى توتر شديد، قبل أن تقول :

- الفحص الجينى الكامل، ما زال يحتاج إلى تجهيزات خاصة، وأجهزة متطوِّرة، و ...

كان من الواضح أن أعصاب (نشوى) مشدودة ومتوترة للغاية، عندما قاطعتها فى عصبية :

- إذن فنحن مضطرون للذهاب إلى معملك ..

انعقد حاجبا (هناء)، وهى تتطلَّع إليها فى دهشة قلقة، قبل أن تعتدل، قائلة فى حزم :

- كلا .. لسنا مضطرين إلى هذا ..

ثم اتجهت بخطوات حازمة قوية إلى حجرتها، واختفت داخلها، فغمغم (طارق) فى توتر :

- مازلت أجهل ما تسعين إليه ..

أجابته فى صرامة أدهشته :

ـ ستفهم كل شىء بعد قليل ..

عادت (هناء) من حجرتها ، وهى تحمل جهازًا أشبه بأجهزة الكمبيوتر النقّالة ، وضعته إلى جوار الكمبيوتر ، قائلة ، فى لهجة حملت رنة زهو :

ـ هذه أحدث صيحة ، فى عالم الفحوص الجينية ، تم ابتكارها خصيصًا لرجال الطب الشرعى ، الذين تقتضى الظروف قيامهم بإجراء بعض الفحوص الجينية ، فى مسرح الجريمة ..

وراحت توصل الجهاز بالكمبيوتر ، مستطردة :

ـ بعد دقيقة واحدة ، سيصبح هذا الجهاز الصغير متصلاً بكل الأجهزة الكبيرة فى معملى ، وكل ما علىَّ هو أن أضع فيه العينة المطلوبة ، لتقوم أجهزة المعمل بتحليلها ، وإجراء الفحص الجينى الكامل عليها ، عن طريق موجات و ...

قاطعتها (نشوى) ، فى صرامة غير مألوفة :

ـ أعلم كل هذا ..

استدارت إليها (هناء) بنظرة مستنكرة ، فتابعت ، فى شىء من الخشونة :

ـ لقد شاركت فى وضع برنامجه ..

انعقد حاجبا (هناء) فى ضيق ، وهى تسألها بخشونة مماثلة :

ـ الاتصال تم .. كل ما نحتاج إليه الآن هو العينة المطلوب تحليلها ..

واعتدلت فى وقفة صارمة ، مضيفة :

ـ أين هى ؟!

رفعت (نشوى) سبابتها إليها ، قائلة :

ـ هنا ؟!

انعقد حاجبا (طارق) فى شدة ، فى حين تساءلت (هناء) فى دهشة :

ـ هل سنجرى الفحص الجينى الكامل لك ؟!

هزّت (نشوى) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ كلاً ، ولكنك ستجدين عينة صغيرة للغاية ، تحت إظفرى هذا عينة حصلت عليها ، عندما خدشت أحدهم عمدًا ..

غمغم (طارق) فى انفعال :

ـ خدشت أحدهم عمدًا ؟! ومن أحدهم هذا ؟!

التفتت إليه فى عصبية ، مجيبة :

ـ زعيمهم ..

هتف بكل دهشته :

ـ ابن السيّد (أمجد) ؟!

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تقول :

ـ ربما ..

أصابه جوابها بحيرة بالغة ، جعلته يتطلّع إليها فى توتر ، فى حين تطلّعت (هناء) إليها لحظة ، ثم قالت فى حزم :

ـ أرينى سبّابتك ..

استخدمت عدسة قوية ، مع ملقط دقيق ، لتلتقط تلك العينة الصغيرة جدًا ، من تحت إظفر (نشوى) ، و(طارق) يتساءل :

ـ هل فعلت هذا ؛ حتى يمكنك إجراء الفحص الجينى له ؟!

غمغمت فى عصبية :

ـ لو نجونا ..

تألّقت عيناه ببريق إعجاب ، وهو يقول :

ـ كم أشعر بالفخر ؛ لأننى ...

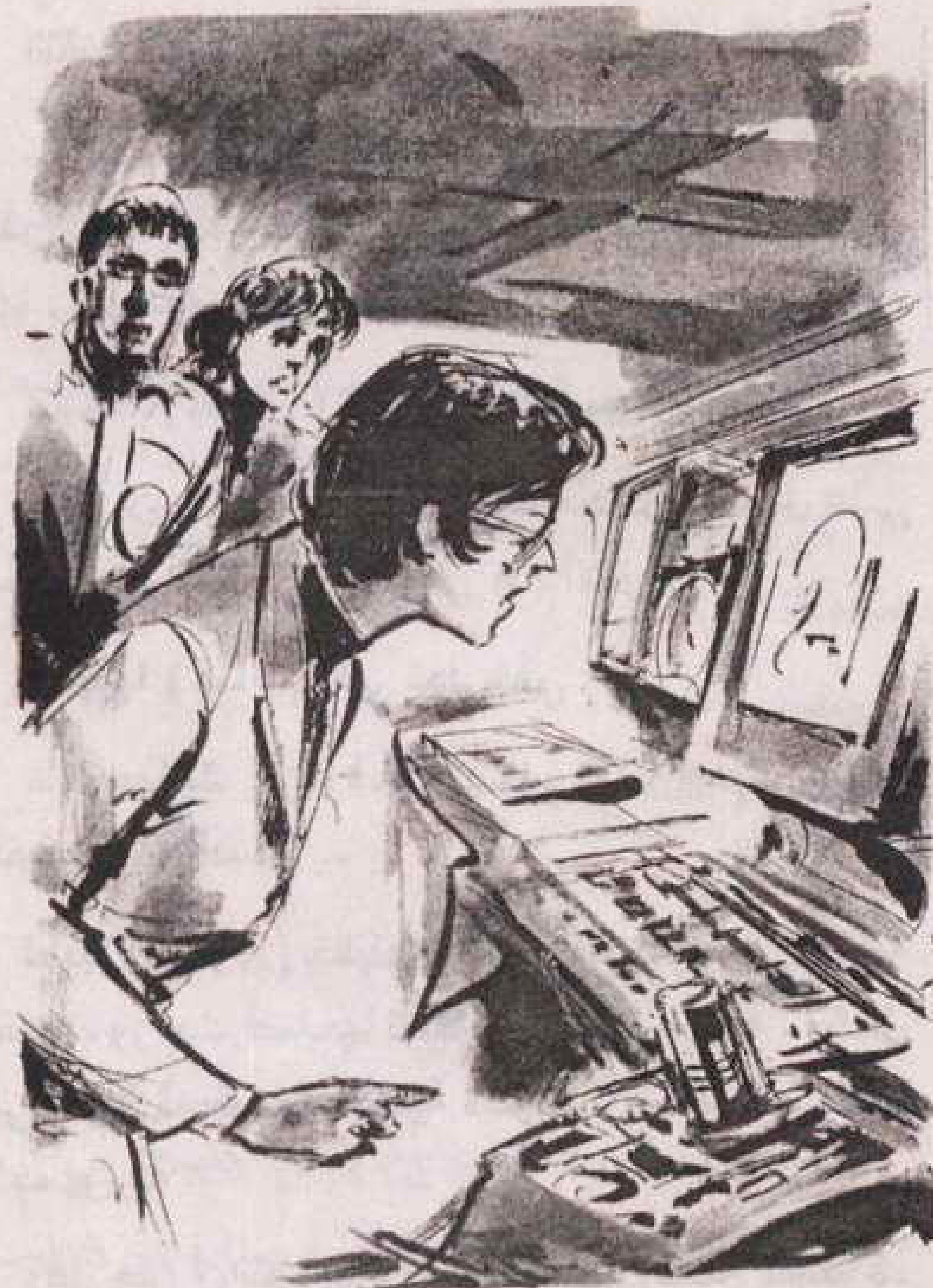
قطع كلماته بغتة ، فسألته فى حدة :

ـ لأنك ماذا ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يجيب :

ـ لأننى قد عملت يومًا إلى جوارك ..

استدارت تتطلّع إلى عينيه مباشرة ، فى نفس اللحظة التى وضعت فيها (هناء) تلك العينة الصغيرة فى جهازها ، وضغطت أزرار عمله ..



كان جواب السؤال المخيف ، الذى يعربد طوال الوقت فى رأسها ، يبدو واضحًا لها ، على نحو أصابها بالفزع ..

كان جـواب السؤال المخيف ، الذى يعربد طوال الوقت فى رأسها ، يبدو واضحًا لها ، على نحو أصابها بالفزع ..

ولكنها لم تجرؤ أبدًا على الإفصاح به ...

أبدًا ..

« ما الذى تريدينه بالضبط ؟! » ..

ألقت (هناء) سؤالها ، لتنتزعها من أفكارها العصبية ، فالتفتت إليها ، قائلة :

ـ أريد فحصًا جينيًّا كاملاً ، مع مقارنة بالبصمة الجينية للسيِّد (أمجد) ..

سألتها (هناء) فى آلية عملية :

ـ (أمجد) من ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم متوتر :

ـ السيِّد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى الخاص ، بالسيد رئيس الجمهورية ..

التفتت إليها (هناء) ، قائلة فى دهشة :

ـ وكيف يمكننى الحصول على بصمة جينية له ؟! هذا يندرج تحت بند السرية المطلقة ، وفقًا للقوانين المعمول بها ، منذ عام ألفين وسبعة ..

اتجهت (نشوى) إلى جهاز الكمبيوتر ، قائلة :

ـ لو أن جهاز الكمبيوتر لديك مجهَّز ، للعمل على محورين ، فيمكننى أن أتولَّى هذا الأمر ..

أجابتها (هناء) ، فى تحد خفى :

ـ مرحبًا بك إذن ؛ فأنا أستخدم دومًا أحدث أجهزة الكمبيوتر وأفضلها ..

لم تبال (نشوى) بتعليقها ، والتقطت لوحة أزرار لاسلكية أخرى ، وراحت أصابعها تتقافز فوقها فى سرعة ، لتدخل إلى شبكة المعلومات الأمنية السرية ، الخاصة برياسة الجمهورية :

وقبل حتى أن تتم (هناء) فحصها الجينى للعينة الصغيرة ، كانت (نشوى) تتراجع ، قائلة :

ـ ها هى ذى البصمة الجينية للسيِّد (أمجد) ..

ضغطت (هناء) أزرار لوحتها ، قائلة :

ـ عظيم .. يمكننا إجراء عملية المقارنة والتوافق مباشرة ، بين جينات الأب والابن و ...

قاطعها فجأة أزيز قوى ، انطلق من جهازها ، فاتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تحدِّق فى شاشته الخاصة الصغيرة ، على نحو جعل (طارق) يسألها فى توتر ملحوظ :

ـ ماذا هناك ؟!

هتفت (هناء) :

ـ مستحيل !

سألها فى توتر أكثر :

ـ ما هو المستحيل ؟!

بدا صوتها شديد الانزعاج ، وهى تجيب :

ـ من المستحيل أن تكون هناك أدنى صلة ، بين البصمة الجينية للأب ، والأخرى للابن ..

تراجع (طارق) بحركة حادة، فى حين هتفت (نشوى) فى انفعال:

- إنه ليس ابن السيد (أمجد) .. أليس كذلك ؟!

حدّقت (هناء) فى وجهها بذعر عجيب، وهى تجيب:

- ليس هذا فحسب ..

وارتجف صوتها بشدة، مع استطرادته:

- إن جيناته ليست بشرية أيضًا .. ليست كذلك على الإطلاق ..

واتسعت عينا (طارق) عن آخرهما، فى حين أطلقت (نشوى) شهقة قوية، بدا معها وكأن قلبها سيثب من حلقها ..

فالمفاجأة هذه المرة كانت عنيفة ..

عنيفة بحق ..

* * *

« انتصارنا ساحق فى هذا الزمن أيها الزعيم .. » ..

هتف أحد قراصنة الزمن بالعبارة، فى لهجة تفوح بالظفر، وهو يلوّح بسلاحه الرهيب، قبل أن يطلق ضحكة وحشية مجلجلة، مضيفًا:

- هذه الأسلحة المدهشة، مع الأحزمة الشبحية، سحقت مقاومتهم سحقًا، وحادث غوّاصتهم فى البداية، كان كفيلاً بتحطيم معنوياتهم تمامًا ..

تألّقت عينا الزعيم، دون أن يُعلق بكلمة واحدة، فاندفع رجل ثان، يقول فى حماسة:

- الخطة كانت عبقرية بحق، والمركبات التى أتينا بها، مع قدراتها المذهلة، بالنسبة لهذا العصر، وضعتنا على طريق النصر، فى عشية وضحاها فحسب ..

هتف ثالث:

- وكل هذا بفضل عبقريتك أيها الزعيم .. لقد حققت لنا السيطرة الكاملة، على المستقبل كله ..

أجابه الزعيم، فى لهجة واثقة صارمة:

- ليس بعد ..

بدت الدهشة على وجوه الرجال ، وتبادلوا نظرة حائرة ، قبل أن يتساءل أحدهم فى حذر :

- ألم نحقّق كل ما سعينا إليه بالفعل ؟!

كرَّر الزعيم ، فى صرامة أكثر :

- ليس بعد ..

ثم واجههم جميعًا ، مستطردًا :

- مازلنا مضطرين إلى العودة ، قبل أن يهزمنا الاختلال الزمنى ؛ لأننا لا ننتمى فعليًا إلى هذا الزمن ..

تبادلوا نظرة أكثر توترًا وحيرة ، قبل أن يقول آخر ، فى حذر أكثر :

- ربما ينطبق هذا علينا ، ولكنه لا ينطبق عليك أيها الزعيم ، فالمفترض أنك تنتمى فعليًا إلى هذا الزمن ..

اندفع ثالث يقول :

- ومازلنا نذكر جيِّدًا ، ذلك الجزء من الخطة ، فبعد أن تتحقَّق لنا السيطرة الكاملة على (مصر) ، فى هذا

الزمن ، ستقوم باستدعاء كل قيادات هذا الزمن ، من منظمتنا الصهيونية ، وتسلّمهم زمام ومقاليد الأمور ؛ ليصبحوا الأسياد الفعليين ، خلال السنوات القادمة ، وحتى يأتى زمننا ، فنصبح ، كامتداد لهم ، سادة العالم ..

قال الزعيم فى صرامة :

- الأمر ليس بهذه البساطة :

قال رجل رابع ، فى حيرة بلغت أوجها :

- ولكنك قلت ...

قاطعه الزعيم بصرخة هادرة :

- دعك مما قلت سابقًا ..

اتسعت عيونهم فى دهشة بالغة ، فتابع بكل الصرامة والوحشية :

- الموقف الفعلى صنع معطيات جديدة ، تختلف عن الافتراضات ، التى بنينا عليها خطتنا فى البداية ..

وعادت عيناه تتألقان على نحو مخيف ، وهو يضيف :

- وهذا يجعل من المحتم أن نضع خطة جديدة ..

تبادلوا النظرات الصامتة المتوترة مرة أخرى ، ثم غمغم أحدهم :

- نحن رهن إشارتك أيها الزعيم ..

شدّ الزعيم قامته فى حزم ، وهو يقول فى صرامة شرسة :

- العالم ليس (مصر) وحدها ..

سأله أحد الرجال ، فى حذر شديد :

- ماذا علينا أن نفعل إذن ؟!

لوَّح بقبضته ، هاتفًا :

- نفعل كل ما يمكننا ، لتحويل سيطرتنا إلى العالم كله ..

هتف أحدهم :

- العالم كله ؟! ولكن الطاقة التى نستنزفها هنا ، تجعل فترة بقائنا فى هذا الزمن محدودة ، وغير مأمونة العواقب ..

قال آخر ، فى عصبية واضحة :

- ووفقًا للتقدير العلمى ، لابد أن نعود إلى زمننا ، قبل منتصف الليل ، وإلا ...

قاطعه الزعيم ، فى صرامة عجيبة :

- سنسيطر على العالم كله ، قبل هذا التاريخ ..

هتف معظمهم ، فى آن واحد :

- كيف ؟!

بدا لهم وكأنه قد ازداد قامة وضخامة ، وهو يجيب :

- لدينا كل ما نحتاج إليه ..

قالها ، ثم التقط كرة الاتصالات الخاصة من حزامه الشبحى ، وقال :

- من الزعيم إلى وحدة الأقمار الصناعية .. حدد موقفك الآن ..

خاطبه رئيس المجموعة ، التى تسيطر على وحدة الأقمار الصناعية ..

- تحققت لنا السيطرة الكاملة ، على كل الأقمار الدفاعية ..

سأله فى صرامة :

- وماذا عن مدافعها الليزرية ؟!

أتاه الجواب بسرعة :

- تحت السيطرة التامة ..

تألَّقت عيناه ، وهو يقول :

ـ عظيم ..

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول بلهجة صارمة آمرة :

ـ ابدأ عملية إعادة البرمجة ، لتوجيه مدفع الليزر نحو أهداف جديدة ..

تساءل رئيس المجموعة فى اهتمام :

ـ أية أهداف ؟!

صمت الزعيم لحظة ، قبل أن يقول ، بكل شراسة وصرامة الدنيا :

ـ كل وحدات الدفاع الفضائية ، فى (مصر) ، و(روسيا) ، و(أوروبا) ، و(أمريكا) ، و(الصين) ..

وتفجَّرت دهشة عارمة ، فى نفوس كل رجاله ، بلا استثناء ..

فوفقًا لمعلوماتهم ، كانت وحدات الدفاع الفضائية هذه مقامة ، من أجل هدف واحد ..

صد أى غزو فضائى محتمل ..

فقط ..

لذا ، فإن أحدهم لم يفهم أبدًا ما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

ولا لماذا يهتمّ الزعيم بتدمير تلك الوحدات ؟!

إلا لو كان له هدف آخر ..

هدف يجهلون كل شىء عنه ، منذ بدءوا مهمتهم هذه ..

هدف فضائى بعيد ..

بعيد ..

إلى أقصى حد ..

* * *



٦ ـ الثعبان ..

لدقيقة كاملة تقريبًا ، لم ينبس أحد الموجودين بحرف واحد ، وهم يحدقون فى وجه (نور) ، فى دهشة أقرب إلى الذهول ، قبل أن يقطع المهيب ذلك الصمت الثقيل ، وهو يقول ، عبر المترجم الإليكترونى :

ـ أى قول هذا يا رجل ؟! ما تقوله مستحيل تمامًا !

أجابه (نور) فى حزم :

ـ بل هو التفسير المنطقى الوحيد ..

هتف (أكرم) ، فى عصبية شديدة :

ـ كيف يا (نور) .. كيف يكون الماضى السحيق أكثر تطورًا من المستقبل ؟!

أجاب (نور) فى سرعة :

ـ لا يوجد مستحيل ، فى دورة الزمن يا صديقى ..

لقد رأيت بنفسى كيف كانت قارة (أطلانطس) فى ذروة تقدّمها ، قبل أن تجرى تجربة واحدة ، أفنت حضارتها كلها ، فى دقائق معدودة (*) ..

قال المهيب فى توتر :

ـ لا .. لا يمكننى أن أصدّق هذا ..

تابع (نور) ، وكأنه لم يسمعه :

ـ عندما وصلنا إلى هنا لأوّل مرة ، تصوّرنا أننا فى مستقبل الأرض البعيد ، ولكن اللغة المختلفة تمامًا ، جعلتنى أشعر بالقلق والحيرة ، فاللغات قد تتطوّر وتتغيّر بمرور الزمن ، ولكنها لا تفنى قط ، إلا بفناء الحضارات نفسها .. اللغة الهيروغليفية مثلاً ، اندثرت لفترة طويلة ، بعد احتلال الرومان لـ (مصر) ، واختلاط حضارتهم بالحضارة البيزنطية ، والإغريقية ، والقبطية ، والإسلامية ، ولكن

(★) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢) .

دورة العلم أرسلت من يعثر على حجر (رشيد) ،(*) ليتم حل رموزها وتعود مرة أخرى إلى الوجود ..

هزَّ المهيب رأسه ، وهو يقول :

ـ ولكنك قلتها بنفسك .. ربما فنيت حضارتكم كلها لسبب ما ، و ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ تبقى مشكلة (الكواركات) .. أو ما نطلق عليه فى زمننا اسم الديناصورات ..

قال المهيب ، فى شىء من الحدة هذه المرة :

ـ قلت لك : إنها مجردً حيوانات تخليقية ، لم يكن لها وجود فى الطبيعة من قبل ، بشكلها الحالى هذا ..

(★) حجر رشيد : حجر عثر عليه جندى فرنسى ، فى أثناء فترة الحملة الفرنسية على (مصر) ، (١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) ، فى مدينة (رشيد) ، بمحافظة (البحيرة) حاليًا ، وكان العثور عليه بداية لفك رموز اللغة الهيروغليفية ، عن طريق الترجمة اليونانية ، المصاحبة للنص الهيروغليفى ، ولقد بذل الكثير من العلماء جهودهم فى هذا الشأن ، ونجح (شامبليون) الفرنسى فى حل رموز الهيروغليفية ، والحجر موجود الآن فى المتحف البريطانى .

هتف (نور) :

ـ بالضبط ، وهذا ما يحسم الأمر تمامًا ..

تبادل الرائد (هيثم) نظرة حائرة ، مع خبيرى الأشعة والصوتيات ، فى حين قال (أكرم) فى عصبية زائدة :

ـ (نور) .. أهناك ما لا يمكننى استيعابه ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً :

ـ كلا يا صديقى .. الأمر بسيط للغاية ، فما حدث هنا يختلف تمام الاختلاف ، عما فعلوه فى فيلم (حديقة الديناصورات) القديم .. فى الفيلم حصلوا على عينة من دماء الديناصورات ، من داخل البعوض ، المتجمِّد داخل الكهرمان ،(*) منذ ملايين السنين ، واستخدموا مادة (DNA) بداخلها ؛ لإعادة إنتاج حيوانات منقرضة ، يعثرون على هياكلها منذ زمن طويل ، أما هنا ، فى هذا الزمن ، فتلك الديناصورات لم يكن لها وجود فى الطبيعة ، وهم مزجوا المادة الوراثية لبعض الثدييات والزواحف لإنتاجها .. ألا يبدو الفارق واضحًا ؟!

(★) الكهرمان : صمغ أورانتج حفرى ، صلد ، ومصفر اللون ، تصنع منه بعض أدوات الزينة ، وحبات العقود ذات الثمن المرتفع .

انعقد حاجبا المهيب بشدة، فى حين غمغم (أكرم)، فى توتر شديد:

- ليس بالصورة الكافية..

لوّح (نور) بذراعيه، قائلاً فى حماسة:

- فكر فى الأمر جيدًا يا صديقى.. هم أنتجوا تلك الديناصورات الضخمة فى معاملهم، باستخدام هندسة الجينات الوراثية، فى حين عثرنا نحن على هياكلها، واعتبرناها حيوانات منقرضة، منذ ملايين السنين، فمن منا سبق الآخر إذن ؟!

اتسعت عينا (أكرم) عن (آخرهما) وهو يهتف:

- يا إلهى! هذا صحيح..

انعقد حاجبا المهيب فى شدة أكثر، وخبيرة الصوتيات تهتف:

- ولكن لو أنهم أنتجوا الديناصورات هنا، من مزج

المادة الوراثية لمخلوقات مختلفة (*)، فلماذا ينتجون بعض الأنواع الوحشية المفترسة، مثل (التيرانوساورس) ؟!

هزّ (نور) كتفيه، قائلاً:

- طفرات وراثية يا سيدتى.. أخطاء فى التكوين، أو نتائج غير متوقعة، أنتجت أنواعًا غير مرغوب فيها.. هذا ما حدث لدينا أيضًا، فى بدايات إنتاج المخلوقات المخلقة وراثيًا.. (**)

ثم مال نحوها، مستطردًا:

- وهذا هو العقاب العادل، لكل من يعبث فى خلق الله (سبحانه وتعالى)..

قالها، وصمت لحظة، ثم استدار إلى المهيب، قائلاً:

- أليس كذلك ؟!

(★) هذا ما يحدث الآن بالفعل، فى بعض معامل الهندسة الجينية الوراثية، حيث يتمّ مزج بعض جينات كائن ما، بجينات كائن آخر، لتخليق حالة ثالثة، ولقد نجحت بعض المحاولات فى إنتاج حيوانات أو مخلوقات جديدة، لم يكن لها وجود فى الطبيعة من قبل، حتى إن بعض العلماء يسعى لتسجيل هذا الإنتاج الجديد، كحقوق ملكية فكرية.

(★★) حقيقة.

بدا لهم المهيب غارقًا فى شحوب عجيب ، اشترك مع ثوبه وشعره الأشيب ليجعله أشبه بتمثال من الرخام ، وهو يقف صامتًا جامدًا لبضع لحظات ، قبل أن تنفرج شفتاه فى صعوبة ، ويقول عبر المترجم الإليكترونى :

ـ قصة عسيرة التصديق ..

وبإشارة من يده ، تحرك حاملا الحقيبتين نحو (نور) ورفاقه ، فتراجعوا بحركة حذرة ، ولكن المهيب قال فى بطء شاحب :

ـ لا داعى للتوتر أو الشك .. إنها أجهزة ترجمة أكثر تطورًا ، لم نشأ استخدامها فى البداية ، قبل أن نتأكَّد من نجاح برنامج الترجمة الفورية هذا ..

فتح الرجلان الحقيبتين ، وقدما لكل شخص كرة صغيرة سوداء ، والمهيب يقول ، فى لهجة فقدت هدوءها ورصانتها :

ـ كل ما عليكم هو إلصاق تلك الكرة خلف آذانكم ، وسيتم كل شىء فى بساطة :

أطاعه كل منهم فى شىء من الحذر ، و(أكرم) يتساءل متوترًا :

ـ وما الداعى لهذا ؟! لقد كنا نتبادل الحديث جيدًا ..

أشار المهيب إلى سقف المكان ، مجيبًا فى شحوب :

ـ هنا كنا نستخدم جهازًا مثبتًا فى السقف ، ولكن فى الخارج ، لابد من استخدام تلك المترجمات الفورية المحدودة ..

سألته خبيرة الصوتيات فى لهفة :

ـ هل سنغادر هذا المكان ؟!

أجابها فى اقتضاب :

ـ نعم .. سنعود إلى قاعة العلماء ..

امتقع وجهها مع قوله هذا ، وتراجعت بحركة حادة ، وهى تتخيَّل نفسها مرة أخرى ، داخل ذلك القفص الزجاجى ، والعيون تتطلَّع إليها فى فضول ، فى حين هتف خبير الأشعة فى حدة :

ـ أعقابٌ هذا ، على ما قاله المقدَّم (نور) ..

هتف المهيب فى دهشة :

ـ مطلقًا ؟ من أوحى إليكم بهذا ..

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى توتر :

ـ سنعود إلى القاعة ، لأنه من الضرورى أن يسمع العلماء نظرية قائدكم ، وأن تتم مناقشتها بمنتهى الدقة ..

سأله (نور) فى دهشة :

ـ قلت : إنها قصة عسيرة التصديق ..

أومأ المهيب برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح ..

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف فى مرارة :

ـ ولكنها أقنعتنى ..

وكان قوله هذا مفاجئًا للجميع ..

فهو يعنى حدوث تحوّل كبير فى الأمر كله ..

تحوّل خطير ..

وجذرى ..

★ ★ ★

بكل انفعال وتوتر الدنيا ، هتفت (نشوى) ، وهى تحدّق ذاهلة ، فى وجه الخبيرة البيولوجية (هناء) :

ـ إذن فذلك ، الذى يدّعى أنه ابن السيّد (أمجد) ، هو فى حقيقته مخلوق من عالم آخر ..

أجابتها (هناء) فى سرعة وتوتر :

ـ أنا لم أقل هذا ..

انعقد حاجبا (طارق) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ قلت : إنه ليس بشريًا ..

هتفت (هناء) فى حدة :

ـ هذا لايعنى أنه من عالم آخر ..

صاح بها :

ـ ما الذى يعنيه إذن ؟!

ازدردت لعابها فى صعوبة ، عبر حلقها الجاف ، قبل أن تجيب :

ـ الهيئة التى يبدو عليها ، تعود إلى أن جزءًا من مادته الوراثية ينتمى إلى طبيعة بشرية ، وإلى خلايا مأخوذة بالفعل ، من ابن السيِّد (أمجد) ، ولكن العجيب أنها ، وعلى الرغم من هيمنتها على شكله البشرى الخارجى ، لا تمثل إلا ثلاثين فى المائة من تركيبته الجينية بالفعل ..

سألتها (نشوى) فى توتر :

ـ وماذا عن السبعين فى المائة الأخرى ؟!

ازدردت الخبيرة البيولوجية لعابها ، فى صعوبة أكثر ، وهى تجيب ، بصوت ارتجف كل حرف من حروفه :

ـ ثعبان ..

اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، فى ذهول شديد ، فى حين هتف (طارق) :

ـ ماذا ؟!

أجابته (هناء) ، فى حدة عصبية :

ـ ثعبان .. ألم تسمع جيدًا ؟!

وانتقل ذهول (نشوى) إليه ، وهو يهتف :

ـ مستحيل !

هزّت (هناء) رأسها فى قوة ، وهى تقول فى توتر :

ـ هذا ليس رأيًا شخصيًا .. إنها تحليلات الكمبيوتر ..

التقى حاجبا (طارق) فى شدة ، وهو يلتفت إلى (نشوى) ، ويتبادلان نظرة عصبية ، قبل أن تغمغم الأخيرة :

ـ كنت أتصوَّر أن هذا مستحيل ..

قالت (هناء) فى عصبية :

ـ كان مستحيلاً ، منذ بضع سنوات فحسب ، حتى ابتكروا عقار (أنتيجرافيكشن) ، الذى جعل من الممكن مزج أية مواد وراثية ببعضها ..

هتف (طارق) :

ـ إذن ، فنحن نواجه ثعبانًا ، فى هيئة بشرية ..

اومأت (هناء) برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـ بالضبط ..

حدّقت فيها (نشوى) بضع لحظات ، قبل أن تتراجع فى مقعدها ، مغمغمة فى توتر مذعور :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

كان عقلها يعتصر كل خلية ، من خلايا مخها الرمادية ، فى محاولة لإيجاد خيط واحد ، يمكن أن يربط بين كل هذا ..

السفر عبر الزمن ..

السيطرة على (مصر) ..

نظم الأقمار الصناعية الدفاعية ..

المواد الوراثية ..

الثعابين ..

أمور بدت كلها عجيبة متناقضة ، على نحو لم يرتح له ذهنها قط ، فعادت تدير عينيها إلى (طارق) ، مردِّدة :

ـ لماذا ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو غارق بدوره ، فى لجة من الأفكار ، محاولاً مزج معارفه المستقبلية بهذه المعلومات الرهيبة ، و ...

« هذا المزج تم هنا على الأرجح .. » ..

رفع (طارق) و(نشوى) عيونهما إلى (هناء) ، التى نطقت العبارة الأخيرة ، فتنحنحت فى عصبية ، متابعة :

ـ هذا مجرد استنتاج علمى بالطبع ، باعتبار أن المواد الوراثية الممزوجة ببعضها ، تعود كلها إلى مصادر أرضية ..

أشارت (نشوى) بسبابتها ، قائلة :

ـ فليكن .. ولكن السؤال يبقى كما هو : لماذا ؟! لماذا يتم إنتاج مخلوق كهذا ، يجمع بين البشر والثعابين ؟!

تردَّدت (هناء) لحظة ، قبل أن تقول فى حذر :

ـ هناك عشرات الاحتمالات .. طفرة وراثية .. خطأ غير مقصود .. عبث علمى مجنون .. أو ...

توقَّفت عند هذه النقطة ، فأكمل (طارق) فى حزم :

ـ أو هدف بعيد المدى ..

سألته (نشوى) فى سرعة :

ـ فيم تفكِّر بالضبط ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ـ فى الربط بين (أرغوران) ، وإنتاج جيل من الثعابين ، ذات المظهر البشرى ، التى تدين له بالولاء ..

وشرد بصره ، وهو يضيف :

ـ فى محاولة للسيطرة على عالم بأكمله ، على المدى الطويل ..

اتسعت عينا (هناء) فى رعب ، وهى تحدِّق فى وجهه ، قبل أن تهتف ، بكل عصبية الدنيا :

ـ اسمع يا هذا .. لو أنك ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، انطلق أزيز مباغت ، من ساعة يد (نشوى) ، فهتفت مقاطعة (هناء) فى توتر ، وهى تلتفت إلى جهاز الكمبيوتر:

ـ مركز المتابعة السرى تلقَّى معلومة جديدة ..

جرت أصابعها فى سرعة ، على أزرار الكمبيوتر الخاص بـ (هناء) ، والتى قالت فى توتر :

ـ هل ستصلك المعلومات إلى هنا ؟!

أجابتها فى حزم :

ـ بل أنا التى سأصل إليها من هنا ..

مضت لحظات قصيرة ، تعلَّقت خلالها عيون ثلاثتهم بالشاشة ، قبل أن ترتسم عليها المعلومة الجديدة ، الخاصة بتصويب المدافع الليزرية القوية ، فى الأقمار الصناعية العسكرية ، نحو أكبر مراكز الدفاعات الفضائية فى العالم ..

وما إن قرأ الثلاثة الخبر ، حتى شهقت (نشوى) فى ارتياع ، وهتفت (هناء) فى رعب :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

أما (طارق) ، فقد عاد حاجباه ينعقدان بمنتهى الشدة ، وهو يعتدل فى موقفه ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ الآن فقط فهمت ، لماذا كان كل هذا ..

واستدارت الامرأتان إليه بكل الدهشة واللهفة ..

فما لديه، كان يحلّ لغزًا ضخمًا ..

لغز الهدف ..

هدف قراصنة الزمن ..

* * *

ارتسم ذعر واضح، فى عيون علماء ذلك الزمن البعيد، و(نور) يشرح لهم نظريته، عن موقع زمنهم من زمنه ..

ومع منطقه السليم، وأسلوبه المرتب المنمّق، وحديثه العلمى المدروس، كان من الطبيعى أن تستقبل العقول المتفتحة هذا الأمر بالاقتناع ..

والرعب ..

وبكل الارتياح، هتفت إحدى أفراد الفريق العلمى :

- ولكن هذا يعنى أن حضارتنا كلها ستفنى وتندثر يومًا ..

أجابها (نور) فى سرعة :

- لا أحد يعلم متى سيأتى ذلك اليوم، فهناك ملايين السنين تفصل زمننا عن زمنكم ..

غمغم عالم آخر فى مرارة :

- المهم أن حضارتنا ستفنى فى النهاية ..

تنهَّد (نور)، قائلاً :

- من يدرى ! ربما لستم أوَّل حضارة، يشهدها هذا الكوكب .. ربما كانت هناك قبلكم حضارات وحضارات، سادت الأرض يومًا، وتطوَّرت، وتقدَّمت، ثم أفنت نفسها بنفسها ؛ بسبب تقدّمها الفائق للحد، أو أفنتها كارثة طبيعية رهيبة .. أو حتى سحقها غزو فضائى مجهول .. وربما كان هذا مصير حضارتنا أيضًا ذات يوم، بأحد تلك الأسباب نفسها .. من يدرى !

هَزَّ المهيب رأسه، وقال فى أسى :

- حتى لو كانت هذه حقيقة مؤكَّدة، وحتى لو كان هذا سيحدث بعد ملايين السنين، فالمرء لا يملك سوى الحزن والأسى، وهو يتصوَّر أن كل ما سيفعله سيئول يومًا إلى الفناء ..

غمغم (أكرم) :

ـ هذا أمر طبيعى ، فلا شىء يدوم إلى الأبد ..

وافقه المهيب بإيماءة من رأسه ، مغمغمًا :

ـ بالتأكيد ..

ثم تنهَّد فى عمق ، قبل أن يقول فى اهتمام :

ـ فليكن .. لقد أقنعتنا يا سيِّد (نور) .. وعلى الرغم من كل ما توحى به الظواهر ، نحن نعلم الآن أنكم من مستقبلنا .. أعنى من مستقبل الأرض .. مستقبلها البعيد ..

ومال نحو (نور) ، مضيفًا :

ـ والآن ، ما الذى يمكن أن يضيفه هذا إلى موقفكم ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، أمام السؤال الحاسم ، وتطلَّع إلى المهيب لحظة ، قبل أن يتساءل فى حذر :

ـ قل لى يا سيِّدى : المفترض ، وفقًا لما نعرفه ، عن قواعد السفر عبر الزمن ، ألا تحتمل أجسادنا البقاء

طويلاً ، فى زمن يخالف الزمن الذى تنتمى إليه ، وعلى الرغم من هذا ، فأنتم تؤكدون أننا هنا ، منذ دورة قمرية كاملة ، فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟!

غمغم (أكرم) :

ـ (طارق) بقى معنا لبعض الوقت ..

التفت إليه (نور) ، قائلاً فى حزم :

ـ (طارق) كان يستخدم تكنولوجيا أمنية خاصة ، غير متاحة للمسافر الزمن العادى ..

ثم عاد يستدير إلى المهيب ، وهو يكمل :

ـ فماذا عنكم ؟!

تبادل علماء ذلك الزمن نظرة صامتة ، قبل أن تشخص أبصارهم إلى المهيب ، الذى صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم :

ـ نحن أيضًا نستخدم تكنولوجيا متقدِّمة ، فى هذا الشأن ..

تساءل الرائد (هيثم) فى توتر :

- هل استخدمتموها معنا ؟!

صمت المهيب بضع لحظات أخرى ، قبل أن يجيب ، فى بطء حذر :

- بالتأكيد ..

هتفت خبيرة الصوتيات :

- ولكن لماذا ؟! إنكم لم تكونوا حتى واثقين ، من أننا ...

قاطعها (نور) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- ليس هذا هو المهم الآن .. السؤال الأكثر أهمية هو : لماذا يقوم علماؤكم بتطوير نظام خاص ، لإيقاف الخلل التوازنى الزمنى ؟! لماذا يبذلون الوقت والجهد والنفقات من أجل أمر كهذا ؟! التفسير المنطقى الوحيد هو أن لديكم تجارب بالفعل فى مجال السفر عبر الزمن ..

ومال نحوه ، مضيفًا فى حزم :

- أهذا صحيح ؟!

مرة أخرى ، تطلَّع العلماء كلهم فى صمت إلى المهيب ، الذى شاركهم صمتهم بضع لحظات ، وكأنما يدرس كل الاحتمالات ، التى يمكن أن يُسفر عنها تصريحه بالأمر ، ثم لم يلبث أن أجاب ، فى بطء عجيب :

- نعم ..

جاء جوابه أشبه بماء بارد منعش ، يسقط على جسد شخص يعانى الحرارة الشديدة ، فتألقت عيون الجميع ، وهتف خبير الأشعة :

- رباه ! هناك أمل إذن فى أن نعود إلى زمننا ..

ران صمت ثقيل على المكان ، إثر هتافه ، وبدا وكأن عبارته قد مسَّت شعرة شديدة الحساسية ، فى أعماق الكل ؛ فقد تطلَّعت كل العيون إلى (نور) ورفاقه ، فى صمت متوتر ، حتى تنحنح المهيب ، الذى يبدو من الواضح أنه أكبرهم منصبًا وسلطة ، وقال :

- للأسف .. هذا غير ممكن ..

شهقت خبيرة الصوتيات فى لوعة ، وانعقد حواجب (أكرم) ، والرائد (هيثم) فى توتر ، وارتجفت شفتا خبير الأشعة ، فى حين قال (نور) فى حدة :

- لماذا ؟! لا يمكن أن تكون لديكم كل هذه الاهتمامات ، الخاصة بدراسات علوم السفر عبر الزمن ، دون أن تكون لديكم آلة زمن واحدة على الأقل ..

صمت المهيب بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- المشكلة ليست فى آلة الزمن ، ولكن فيكم أنتم ..

قال (نور) فى عصبية :

- وما المشكلة فينا نحن ؟!

تراجع المهيب ، مجيبًا فى بطء :

- لدينا هنا آلة زمن واحدة ، تصلح لرحلة واحدة ، وتكفى راكبًا واحدًا فقط ، وتجهيزها لتلك الرحلة المنفردة ، يحتاج إلى دورة شمسية أرضية واحدة .. أو ما تطلقون عليه فى لغتكم اسم اليوم الواحد ..

ومال نحو (نور) ، مضيفًا فى أسف :

- وأجسادكم ، على الرغم مما فعلناه ، لن تحتمل الاختلال الزمنى ، لأكثر من هذا اليوم ..

واتسعت العيون كلها فى ارتياع ..

فالمعنى كان مخيفًا رهيبًا ..

وبشدة ..

* * *



٧ ـ الهدف ..

« ما الهدف يا (طارق) ؟! » ..

نطقت (نشوى) السؤال ، بكل لهفة الدنيا ، وهى تتطلَّع مع (هناء) إلى (طارق) ، الذى انعقد حاجباه على نحو زائد ، وهو يقول فى توتر بالغ :

ـ إنه أمر يتعلَّق بعملية تطوير نظم الدفاعات الفضائية العالمية ، الذى ستشاركين فى إعداد برامجه ، بعد خمس سنوات تقريبًا من الآن ..

نقلت (هناء) بصرها بينهما فى ذهول ، قبل أن تهتف فى عصبية :

ـ بعد خمس سنوات تقريبًا ؟! أى قول عجيب هذا ؟!

أشارت (نشوى) بيدها ، وهى تقول فى نفاد صبر :

ـ (طارق) من المستقبل ، ويعلم الكثير عما سيحدث ، خلال عدة سنوات قادمة ..

حدَّقت (هناء) فى (طارق) بذهول ، قبل أن تهتف :

ـ من المستقبل ..

تجاهلتها (نشوى) تمامًا ، وهى تسأل (طارق) فى لهفة :

ـ ماذا سيحدث لنظم الدفاعات الفضائية فى المستقبل يا (طارق) ؟!

هتفت (هناء) :

ـ تتحدثان كما لو أنه من الطبيعى أن ألتقى بشخص من المستقبل ..

صاحت بها (نشوى) فى عصبية :

ـ لو واصلت مقاطعتنا على هذا النحو ، لن يكون هناك أى مستقبل ..

احتقن وجه (هناء) فى غضب ، ولكنها أطبقت شفتيها فى عصبية ، فى حين أجاب (طارق) سؤال (نشوى) ، قائلاً :

ـ بعد خمس سنوات تقريبًا ، وبعد حدوث طفرة جبارة ،

فى نظم ووسائل الدفاعات الفضائية ، ستظهر فكرة جديدة ، لربط كل النظم الدفاعية الفضائية ببعضها ، عن طريق شبكة معلومات تحليلية ذكية ، بحيث تصنع فيما بينها غلافًا واقيًا للأرض ، يستحيل أن يخترقه أى شىء ، باستثناء أشعة الشمس والأشعة الكونية الطبيعية ، دون أن يتمّ رصده ، وتحليله ، وتدميره تمامًا ، فى خلال ثوان معدودة ..

هتفت (نشوى) :

ـ يا إلهى ! أهذا ممكن حقًّا ؟!

أجابها فى حزم :

ـ سيصبح ممكنًا فى المستقبل ، وستنجح الفكرة نجاحًا مذهلاً ، بحيث يصبح كوكب الأرض منطقة منيعة ، غير قابلة للإصابة أو الغزو ، من قبل أية قوة أخرى فى الكون ، إلا بمشيئة اللّه (عزّ وجلّ) بالطبع ..

غمغمت الاثنتان فى آن واحد :

ـ ونعم باللّه ..

شدّ قامته ، وبدا صلبًا صارمًا ، وهو يقول :

ـ ومن الواضح أن الهدف الوحيد والأساسى ، لغزاة الزمن هؤلاء ، هو منع حدوث هذا ، وبأى ثمن ..

هتفت (هناء) :

ـ ولكن لماذا ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم :

ـ لأنه هناك غزو قادم بالتأكيد .. غزو فشل فى احتلال الأرض ، بسبب غلافها الدفاعى المنيع ، فأعدّ خطة كبيرة ، لعبور مجرى الزمن عكسيًّا ، ومنع تكوين ذلك الغلاف الدفاعى من الأساس ..

أمّن (طارق) على قولها ، قائلاً بحزم مماثل :

ـ بالضبط ..

هتفت فى انفعال :

ـ لابد إذن أن نمنع تدمير النظم الدفاعية الفضائية العالمية .. وبأى ثمن ..

عاد حاجباه يلتقيان فى شدة ، وهو يغمغم :

- نعم .. بأى ثمن ..

بدا من الواضح أنه قد غرق فى تفكير شارد لبضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم شديد :

- سيِّدة (نشوى) .. هل يمكنك اختراق شبكة معلومات وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى حذر :

- يمكننى هذا بالتأكيد ، ولكن شبكة المعلومات هناك قوية للغاية ، ومؤمَّنة ضد كل محاولات الاختراق الخارجية ، للحفاظ على أمن وخطورة المكان ، وإذا ما تمت أية محاولة لاختراقها ، فهى تتعقَّب مصدرها ، بسرعة تبلغ مائتى جيجا بايت ، فى الثانية الواحدة ، وتنسف مصدر الاختراق بموجة خاصة مباشرة ..

سألها ، فى اهتمام أكثر :

- وماذا عن نظم أمن المبنى نفسه ؟!

فكَّرت لحظة ، ثم لم تلبث أن هزَّت كتفيها ، قائلة :

- يمكننى اختراقها ، وإيقافها لمدة محدودة للغاية ..

سألها بسرعة :

- كم تقريبًا ؟!

أجابته بمنتهى الحذر :

- بالأجهزة المتاحة ، لن يزيد هذا عن ثلاثين ثانية ..

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول :

- إنها تكفى ..

ثم مدّ يده إليها ، مستطردًا فى حزم :

- هل لى فى مفاتيح سيارتك ؟!

ناولته المفاتيح ، وهى تسأله فى قلق :

- ما الذى تنوى فعله بالضبط ؟!

أجاب فى صرامة :

- سأوقف عملية تدمير المستقبل .. بأى ثمن ..

هوى قلبها بين قدميها ، وهو يندفع نحو الباب ، مضيفًا :

- عندما تبلغك إشارتى ، أوقفى نظم تأمين مبنى وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية فورًا ..

هتفت به :

ـ ماذا ستفعل ؟!

لم يسمع عبارتها ، وهو يندفع خارج المكان ، ويغلق الباب خلفه ، فتساءلت (هناء) فى توتر :

ـ ما الذى ينوى هذا المستقبلى فعله ؟!

هزّت (نشوى) رأسها ، وهى تجيب بصوت مرتجف :

ـ لست أدرى ..

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف فى توتر بالغ :

ـ ولكننى أشعر بالقلق .. القلق بلا حدود ..

وكم كانت مشاعرها صادقة حينئذ ..

ولو أنها أدركت ، ما الذى قرَّر (طارق) أن يفعله ، لتضاعف قلقها ألف مرة ومرة ..

أو ربما أكثر ..

بكثير ..

★ ★ ★

احباط ويأس شديدان ، أصابا (نور) ورفاقه ، عند سماعهم ما قاله ذلك المهيب ، بشأن انهيار أجسادهم الوشيك ..

ولدقيقة أو يزيد ، هبط عليهم صمت رهيب ، قبل أن تغمغم خبيرة الصوتيات ، بكل حزن ومرارة الدنيا :

ـ كنت أعلم أن النجاة من هذا الموقف مستحيلة ..

أما خبير الأشعة ، فقد انهار على أقرب مقعد إليه ، ودفن وجهه فى كفيه ، قائلاً :

ـ وأنا الذى كنت أخشى أن نبقى فى هذا الزمن إلى الأبد ..

هتف به (أكرم) فى صرامة :

ـ تماسك يا رجل .. لو أن الموت آت لا ريب ، فلتمت كالرجال ..

زفر خبير الأشعة فى مرارة ، قائلاً :

ـ كل الكائنات الحية تموت يا رجل ، ولا فارق لدى

الموت ، بين الأقوياء والضعفاء .. إنه المساواة الحتمية الوحيدة ، بين كل مخلوقات الكون ، مهما اختلفت أنواعها وأشكالها ..

وفى صمت ، تابع الرائد (هيثم) الحديث ، دون تعليق واحد ، فى حين التقى حاجبا (نور) عن آخرهما ، وهو يدرس الموقف كله ، والمهيب يقول :

ـ لم نكن نرغب فى إخباركم بهذا ، باعتبار أنه لاتوجد لدينا أيةوسيلة لمنع هذا الانهيار الزمنى ، ولكن الحديث عن آلة الزمن ، هو الذى اضطرنا إلى هذا .. تقبَّلوا اعتذارنا ..

قال (نور) فى خفوت :

ـ كان من الضرورى أن نعلم ..

غمغم أحد العلماء :

ـ الأمر لم يكن لينجح ، على أية حال ، فآلتنا ، التى كلفتنا عامًا كاملاً ، من الدراسات والجهد والمال ، ليست لديها سوى فرصة لرحلة واحدة ، ونحن لانعلم حتى أين موقع زمننا منكم بالتحديد ، ولا متى ينبغى أن تتوقَّف

الرحلة ، ليصل أحدكم على الأقل إلى زمنه سالمًا ، ولو أننا نعلم هذا ، لما تردَّدنا لحظة واحدة ، فى منحكم آلة زمننا هذه ..

سأله (نور) فجأة :

ـ ولكن لو أن آلتكم مجهَّزة لرحلة واحدة فقط ، فما الذى كنتم تتوقعونه منها ؟!

أشار المهيب بيده ، مجيبًا :

ـ كل ما أردناه منها هو أن ترسل رسالة منا ، إلى أى زمن مستقبلى ، يمتلك القدرة على فهمها .. رسالة تقول : إننا كنا هنا ذات يوم ..

بدا الاهتمام فى صوت (نور) ، وهو يسأل :

ـ وكيف كان لها أن تعرف متى تتوقَّف ؟!

أجابه عالم آخر :

ـ آلتنا لا تنطلق عبر الزمن فحسب ، ولكنها مزوَّدة أيضًا براصد زمنى ، له سعة هائلة ، بحيث يمكنها ، فى أثناء رحلتها عبر نهر الزمن ، أن تسجِّل كل ما تمرّ به ، وتختزنه ،

وتقوم بتحليله أوَّلاً فأوَّلاً ، فإذا ما توافقت المعلومات على البرنامج المسجَّل لديها ، توقَّفت رحلتها تمامًا ..

تساءل (أكرم) فى انبهار :

ـ أهناك آلة يمكنها هذا ؟!

أجابه المهيب :

ـ بالتأكيد .. إنها ثمرة دورات شمسية كاملة من العمل ..

التقى حاجبا (نور) وهو يغرق فى تفكير عميق ، و(أكرم) يتساءل :

ـ وماذا لو ..

أمسك الرائد (هيثم) يده فجأة ؛ ليقاطعه هامسًا :

ـ سيادة المقدَّم (نور) يفكِّر ..

استدار (أكرم) إلى (نور) بحركة حادة ، ملؤها اللهفة والاهتمام ، وكذلك فعل الباقون ، مما أثار اهتمام المهيب وفريق علمائه ، وغمغم أحدهم فى فضول :

ـ يبدو أنه عقلهم المدبِّر ..

غمغم المهيب :



اجابه المهيب :

ـ بالتأكيد .. إنها ثمرة دورات شمسية كاملة من العمل ..

ـ لا تنس أنه أكثرهم ذكاءً وحكمة ، كما تقول دراساتكم عنه ..

غمغم العالم :

ـ هذا صحيح ..

لم يسمع (نور) حرفًا واحدًا مما قيل عنه ؛ فقد غرق فى لجة من الأفكار ، استولت على عقله كله ،وهو يدرس الأمر ويحلّله ، و ...

« هناك وسيلة للنجاة .. » ..

نطقها بحزم وثقة ليس لهما من مثيل ، فهتف (أكرم) فى لهفة :

ـ حقًّا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) بمنتهى الحسم :

ـ نعم .. حقًّا يا (أكرم) ..

ثم التفت إلى المهيب ، يسأله :

ـ ألا يمكن أن نتعاون جميعًا ؛ لضغط زمن الاستعداد للرحلة الوحيدة عبر الزمن ، إلى ما يقلّ عن اليوم الواحد ؟

سأله المهيب :

ـ وبم سيفيد هذا ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

ـ سنرسل آلة زمنكم فى رحلتها ..

قال المهيب ، محاولاً توضيح الصورة :

ـ قلت لك : إن الآلة تتسع لرجل واحد ، و ...

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ وذلك الراكب الواحد مستعد ..

هتف المهيب :

ـ أنت ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

ـ نعم .. أنا .. أنا الملاح ، الذى سيقود الآلة ، عبر نهر الزمن ، إلى هدفها الأوحد والأخير ..

تساءل أحد العلماء ، بكل دهشة زمنه :

- هل ستتخلَّى عن رجالك ، لتنقذ حياتك وحدك ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- على العكس يا سيِّدى .. إننى أجازف بحياتى وحدى ، كأمل أخير لإنقاذ الجميع ..

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، و(أكرم) يهتف مستنكرًا :

- وكيف هذا ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- ارجع بذهنك إلى السبب الرئيسى ، لوصولنا إلى ما نحن فيه الآن .. إنهم هؤلاء المستقبليون ، الذين اخترقوا حاجز الزمن ، إلى ما نطلق عليه اسم حاضرنا ، وأفسدوا كل الأمور ، وأرسلونا إلى ذلك الفراغ الزمنى ، مع عشرات غيرنا ولا شك ، مما انتهى بنا إلى هذا الزمن ، الذى عثرنا فيه ، لحسن حظنا ، على آلة زمنية ، يمكنها القيام برحلة واحدة ، حاملة راكبًا واحدًا .. ولو أننا أحسنا

استخدام تلك الآلة الزمنية ، بحيث وصلنا إلى منطقة هبوط قراصنة الزمن ، ونسفنا بوَّابتهم الزمنية إلينا ، فسنفسد خطتهم ، ونمنع وصولهم إلى زمننا ، أو نبيدهم فور الوصول إليه ، وقبل أن ينفذوا عملية الغوَّاصة (ب.ن - ١٠٣) ..

سأله (أكرم) فى توتر :

- وما الذى سيفعله هذا ؟!

اندفعت خبيرة الصوتيات تجيب :

- منعهم من الوصول إلى زمننا ، سيغيِّر مجرى الأحداث كلها ، فلا يعود هناك مستقبليون ، ولا يحدث ما يرسلنا إلى الفراغ الزمنى ، وبالتالى لن نواجه هذا الموقف الرهيب ..

هتف بها (أكرم) فى عصبية :

- ولن نعثر على الآلة الزمنية بالتالى ، ولن نرسلها إلى زمننا ، مما يمنع تغيير الأحداث بالتالى ..

غمغم الرائد (هيثم) :

ـ أمر معقَّد .. لن يمكننى أبدًا فهم فلسفة السفر عبر الزمن هذه ..

قال (نور) فى حسم :

ـ كثيرون عجزوا عن فهمها، ولكن هذا لم يمنع قراصنة الزمن من الخوض فيه ، والسعى لتغيير التاريخ ..

قالت خبيرة الصوتيات فى توتر :

ـ الأمر يبدو مثاليًا ، وفقًا لطريقة تحليلك له أيها المقدَّم ، فلو نسفت أولئك القراصنة ، فور وصولهم إلى زمننا ، لن يحدث كل ما أعقب هذا ..

هتف خبير الأشعة فى حماسة :

ـ بل إننا ندرك عندئذ ما حدث ..

أجابته خبيرة الصوتيات فى حزم :

ـ من الناحية النظرية فحسب ، ولكن خطة سيادة المقدَّم بها ثغرة كبيرة ..

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ وما هى ؟!

أجابه المهيب هذه المرة :

ـ إن زمن وصول أولئك الذين تتحدَّث عنهم ، هو زمن تواجدت أنت فيه بالفعل ، ووفقًا لكل النظريات الزمنية المؤكَّدة ، من المستحيل أن تتواجد مرتين فى زمن واحد ..

هزَّ (نور) رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح ، ولكن خطتى تعتمد على أداء دقيق للغاية ، بحيث لن أتواجد فعليًا مرتين ، فى زمن واحد ..

سأله المهيب :

ـ وكيف هذا ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

ـ لو أمكننا ضبط لحظة تجسُّد آلة الزمن ، بحيث تتوافق بمنتهى الدقة ، مع لحظة وصول أولئك القراصنة إلى زمننا ، وزوَّدناها بقنبلة نووية محدودة ، أو أية وسيلة تدميرية قوية نظيفة فى زمنكم ، فالأمر سيتم فى جزء من الثانية ..

قال المهيب :

- جزء من الثانية يكفى ، ليفنى كيانك كله ، عبر الزمان والمكان ، عندما تتواجد على نحو مزدوج ، فى زمن واحد ..

شَدّ (نور) قامته فى اعتداد ، قائلاً :

- لن أتردَّد لحظة ، فى التضحية بحياتى نفسها ، فى سبيل عالمى وزمنى ، ومستقبل من أحب ..

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين قالت خبيرة الصوتيات فى توتر :

- ليست هذه هى الثغرة ، التى كنت أقصدها ..

التفت إليها الجميع ، فى اهتمام متسائل ، فتابعت :

- ما كنت أقصده ، هو أننا لا نعرف المسافة ، التى تفصل زمننا عن هذا الزمن ، فكيف سنحدّد النقطة ، التى ستتوقّف عندها آلة الزمن ، لتنسف أولئك القراصنة ، فور عبورهم لحاجز الزمن ؟!

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- لقد وجدت حلاً لهذا ..

بدا الاهتمام على وجوه الجميع ، حتى علماء ذلك الزمن ومهيبهم ، وكلهم ينتبهون إلى (نور) ، الذى تابع :

- آلة الزمن ترصد ، خلال رحلتها الطويلة ، كل المتغيرات التى تمَرّ بها ، وتسجلها ، وتقوم بتحليلها ، وفى زمننا علامات خاصة ، لايمكن تكرارها مرتين ، مثل أوَّل بث إذاعى ، والذى درسنا توقيته بالضبط ، باليوم والساعة والدقيقة والثانية ، فى كتب العلوم فى شبابنا .. ونحن نعرف المسافة التى تفصلنا عن ذلك البث الأوَّل ، والفترة الزمنية بينه ، وبين حادثة الغوّاصة (ب.ن ـ ١٠٣) فى زمننا ، كما نعرف موقع عبور حاجز الزمن ، الذى حدَّدته (سلوى) ، من الموضع الذى تولد عنده بقع الضوء ، فى أعماق البحر الأبيض المتوسِّط ، فإذا مازوَّدنا آلة الزمن هنا بكل هذه المعلومات ، وغذيناها ببرنامج يحوى كل نظم حساب الوقت فى عالمنا ، وهو برنامج موجود بالفعل فى ساعة يدى ، فيمكن للآلة أن تعبر ملايين السنين ، حتى ترصد أوَّل بث إذاعى ، فى المستقبل البعيد لهذا الزمن ، لتبدأ من عنده عملية الحساب ، وتواصل رحلتها ، عبر الزمان والمكان ، إلى

منطقة الهبوط، فى أعماق البحر الأبيض المتوسّط، على أن تقوم ببرمجتها، بحيث ترصد عملية عبور حاجز الزمن، وتتجه إليها، لتنفجر وسط أولئك القراصنة، وينتهى كل شىء ..

انتهى من شرح فكرته، فران على المكان كله صمت مهيب، والكل يتطلّع إليه مباشرة، قبل أن يهتف أحد العلماء فجأة فى انبهار :

- هذا الشاب عبقرى ..

انطلقت من أعمق أعماق خبيرة الصوتيات تنهيدة قوية، وهى تهتف :

- حمدًا للّه ..

وهتف خبير الأشعة :

- كنت أعلم أنك ستفعلها يا سيادة المقدّم .. كنت أعلم أنك ستفعلها ..

وبابتسامة إعجاب وانبهار، تمتم الرائد (هيثم) :

- من الواضح أن ما كنا نسمعه عنك، يقَل كثيرًا عن حقيقتك يا سيادة المقدّم ..

أما (أكرم)، فلم ينبس ببنت شفة ..

فقط ازداد حاجباه انعقادًا، وعقله يحمل فكرة خطيرة ..

فكرة لا يمكن أن تخطر ببال أحد من المحيطين به ..

أبدًا ..

* * *

لم يحتج الأمر لأكثر من دقيقة واحدة؛ ليعدّ (طارق) سيارة (نشوى)، للهدف الذى يستخدمها من أجله ..

فمن حزام أسلحته، أخرج أسطوانة صغيرة، ثبتها فى إحكام، فى مقدّمة السيارة، قبل أن يجلس خلف عجلة القيادة، ويدير المحرّك، وينطلق إلى الهدف ..

إلى وحدة التحكُم الرئيسية، فى الأقمار العسكرية الصناعية ..

وعبر جهاز اتصال محدود، بينه وبين (نشوى)، قال فى حزم :

- هل نجحت فى اختراق شبكة الأمن ؟!

أتاه صوتها شديد التوتر ، عبر جهاز الاتصال المحدود ، وهى تقول :

- هذا ليس بالأمر الصعب .. إننى داخلها بالفعل ، وكل ما يحتاج إليه الأمر هو ضغطة زر ، ليتوقَّف نظامها كله ، لمدة ثلاثين ثانية ، ولكن أخبرنى باللَّه عليك ، ما الذى تنوى أن تفعله ؟!

أجابها فى حزم صارم :

- أن أؤدِّى واجبى ..

هتفت :

- كيف ؟!

لم يجب تساؤلها ، وهو ينطلق بالسيارة ، وحاجباه ينعقدان بشدة ..

« مستقبل الأرض كله بين يديك يا (طارق) .. » ..

تردَّدت العبارة فى أعماقه ، فسرى الانفعال فى كل ذرة من كيانه ، وهو ينطلق نحو هدفه ، بمنتهى الحزم والحسم ..

لقد استخدم آخر وأقوى سلاح فى جعبته ..

قنبلة (دلنا) ..

قنبلة شديدة الانفجار ، تكفى لنسف وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية العسكرية ، وسحقها سحقًا ، بكل ما فيها .. ومن فيها ..

بهذا فقط يمكنه منع ما سيحدث ..

بهذا فقط يمكنه إنقاذ حاضر الأرض ..

ومستقبلها ..

وحريتها ..

« أخبرنى يا (طارق) باللَّه عليك .. » ..

انبعث هتاف (نشوى) ، من جهاز الاتصال المحدود ، حاملاً كل لوعتها ورعبها .. وانهيارها أيضًا ..

صحيح أنه لم يخبرها بما ينتوى ..

ولكنها فهمت ..

إنه سيفعل نفس ما فعلته هى ؛ لتنقذ الأرض كلها يومًا ، من احتلال بغيض .. (*)

سيضحى بحياته ..

تمامًا كما كانت ستفعل هى ، لو أنها فى موضعه ..

ولكنها لا تستطيع احتمال هذا أبدًا ..

وخاصة بعد أن أدركت من هو ..

من يكون ..

وكيف ينتمى إليها ..

بشدة ..

وبكل ما يتمزَّق فى أعماقها ، صرخت :

ـ لا تفعل هذا يا (طارق) .. أرجوك ..

وتفجَّرت دموعها كالسيل ، وهى تضيف :

ـ لن أحتمل هذا أبدًا ..

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

لاحت له الوحدة ، على مدى البصر ، فهتف بها :

ـ الآن يا سيِّدة (نشوى) .. الآن ..

صاحت :

ـ لا .. لن أضغط هذا الزر أبدًا .. لن أفعلها ..

زاد من سرعة السيارة ، وهو يصرخ :

ـ إننى أنطلق نحو الهدف ، ولن أتوقَّف لحظة واحدة ، سواء ضغطت ذلك الزر أم لا .. الفارق الوحيد هو أن النظم الدفاعية ستعمل ، فور دخولى إلى مجالها ، وستسحق السيارة سحقًا .. الفارق الوحيد هو أننى سأموت بلا طائل ، ودون أن أفعل بموتى شيئًا لك .. أو للعالم كله ..

استعادت موقفًا مماثلاً ، وهى تضحى بنفسها ، لتمحو آخر قوة للغزاة ، وصوت أمها وهى تصرخ ، وتناشدها ألا تفعل ، فانهارت قائلة :

ـ لا .. لا يمكننى أن أفعل هذا ..

صرخ ، وهو ينطلق بالسيارة نحو الوحدة كالصاروخ :

ـ اضغطى الزر باللَّه عليك .. مستقبل العالم كله يتوقَّف على ضغطة زر واحدة ..

صرخت بدورها :

ـ لا .. لا أستطيع ..

لم يكن بإمكانها حقًّا أن تفعل ..

كان من المستحيل نفسيًّا أن تضغط زرًّا ، يتيح له هو بالذات ، أن ينسف نفسه نسفًا ..

حتى ولو كان فى هذا إنقاذ الأرض ..

أو حتى الكون كله ..

هذا مستحيل !

مستحيل !

مستحيل !

وعند وحدة التحكُّم فى الأقمار الصناعية العسكرية ، رصدت وسائل الأمن الدفاعية تلك السيارة ، التى تنطلق نحو المبنى كالصاروخ ..

وبرزت مدافع الليزر ..

وصوِّبت إلى الهدف بدقة ..

« اضغطى الزر باللَّه عليك .. افعليها من أجل مستقبل الأرض .. » ..

صرخ بكل كيانه ، وهو يواصل الانطلاق نحو المبنى ..

واستعدت مدافع الليزر للعمل ..

وصرخت (نشوى) ، فى انهيار تام :

ـ لا أستطيع .. لا أستطيع ..

ولكن (هناء) فقدت أعصابها تمامًا ، عند هذه النقطة ، ووثبت نحو الكمبيوتر ، وهى تصرخ :

ـ أنا سأفعلها ..

صرخت (نشوى) ، بكل انهيار الدنيا :

ـ لا .. لا تفعلى ..

ولكن (هناء) ضغطت الزر ..

وتوقَّفت وسائل الأمن الدفاعية ..

واندفع (طارق) بالسيارة نحو المبنى ..

واخترق بوَّابته ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار هائل رهيب ، سحق المبنى كله ..

وسحق معه قلب (نشوى) ..

بلا رحمة ..

* * *

٨ ـ الختام ..

بدا ذلك المكان ، فى الزمن البعيد ، أشبه بخلية نحل ، وجيش من العلماء يعمل ، بمنتهى الهمة والنشاط ، بمعاونة خبيرة الصوتيات وخبير الأشعة ، فى فريق الرائد (هيثم) ؛ لإعداد آلة الزمن ، التى بدت أشبه بكرة زجاجية هائلة ، للانطلاق فى رحلتها الواحدة ، فى أقصر وقت ممكن ..

وفى إرهاق ، هزَّ الرائد (هيثم) رأسه ، قائلاً :

ـ على الرغم من كل ما يحيط بنا ، ومما أصابنا حتى الآن ، ولكننى أعتبر أننا محظوظون ..

رمقه (أكرم) بنظرة جانبية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فتابع :

ـ لقد وجدنا من يخرجنا من الفراغ الزمنى ، ووصلنا إلى زمن متقدِّم وعثرنا على آلة زمن صالحة للعمل .. والأهم من هذا كله ، هو أن هؤلاء القوم هنا متعاونون ، إلى أقصى حد ممكن ..

غمغم (أكرم) :

ـ هذا صحيح ..

أكمل (هيثم) فى ارتياح :

ـ هل تصدق أنهم يضحون بجهد ضخم ،وبآلـة الزمن الوحيدة لـديهم ؛ لإنقاذ زمن ، يعلمون جيدًا أنهم لـن يروه قط .. لا هم ، وحتى أحفاد أحفاد أحفاد أحفادهم ؟! ليس من السهل أبدًا أن تجد من يفعل الصواب ، دون انتظار أجر ..

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يتابع ما يحدث ، قبـل أن يضيف :

ـ وكلهم هنا على هذا المنوال ..

تمتم (أكرم) ، فى شىء من الشرود :

ـ لقد التقينا بفئة واحدة منهم فحسب ..

ابتسم الرائد (هيثم) ، وهو يقول :

ـ إنها تكفينا .. المهم أن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، وامتقع وجهه بشدة ، واتسعت عيناه على نحو عجيب ، جعل (أكرم) يهتف به :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟!

دارت عينا الرائد (هيثم) فى محجريهما ، وارتجفت كلماته ، وهو يهتف فى ضعف :

ـ يا إلهى ! التوازن الزمنى .. لقد .. لقد ..

انهار فجأة ، بين ذراعى (أكرم) ، الذى هتف فى ذعر :

ـ ماذا أصابك أيها الرائد ؟! ماذا أصابك ؟!

جذب هتافه انتباه الجميع ، فأسرعوا إليه ، واتسعت عينا خبيرة الصوتيات ، وهى تصرخ :

ـ رباه ! إنه .. إنه يتلاشى ..

كان جسد الرائد (هيثم) يتلاشى بالفعل ، بين ذراعى (أكرم) ، الذى صاح بكل عصبيته وانفعاله :

ـ افعلوا شيئًا .. أى شىء .. لاتسمحوا بحدوث هذا ..

غمغم المهيب فى مرارة :

ـ للأسف .. ليس لدينا ما يمكن فعله ..

مع آخر حروف كلماته ، اختفى جسد الرائد (هيثم) تمامًا ، فهبَّ (أكرم) فى حركة حادة ، وهتف :

ـ رباه ! لقد .. لقد اختفى ..

غمغم (نور) فى توتر :

ـ بل تلاشى يا صديقى .. اختلَّ توازنه الزمنى ، ولم يعد ينتمى إلى أى زمن كان ..

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وخبير الأشعة يقول فى انهيار :

ـ هذا ما سيحدث لنا جميعًا .. سننمحى من الوجود ..

عاد حاجبا (أكرم) ينعقدان فى شدة ، و(نور) يقول :

ـ ربما لا يحدث هذا أبدًا ؛ لو نجحت فكرتى ، وتحقَّقت نظريتى ..

قال المهيب فى حزم :

ـ آلة الزمن جاهزة للانطلاق الآن .. هيا .. سيساعدك بعض علمائنا على ارتداء الزى الواقى ، ويمكنك أن تذهب ، خلال دقائق معدودة ..

هتف (نور) فى حزم :

ـ بالتأكيد ..

أمسك (أكرم) ذراعه بغتة ، وهو يسأله فى صرامة عجيبة :

ـ (نور) .. هل تعتقد أنه لو نجح الأمر ، وأتت رحلتك الزمنية هذه ثمارها ، لن يصيبنا كل هذا ..

أجابه (نور) ، محاولاً تهدئته :

ـ بل ولن نعلم حتى بحدوثه ..

سأله (أكرم) بصرامة أكثر :

ـ فى هذه الحالة إذن ، لن تتعرَّض (ب.ن ـ ١٠٣) للحادث ، ولن يتم نفينا إلى الفراغ الزمنى ، الذى قادنا إلى هذا الزمن ، ولن يختلَّ توازن الرائد (هيثم) الزمنى ..

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ كل الأحداث ، التى تلت وصول قراصنة الزمن إلى عصرنا ، ستصبح وكأنها لم تكن ، لأن كل شىء سيتغيَّر ، منذ تلك اللحظة ، وكل ما ترتَّب على وصولهم سينمحى ، وكأنه لم يكن أبدًا ..

سأله (أكرم) ، وقد بلغت صرامته ذروتها :

- وماذا عنك أنت ؟! ماذا سيصيبك فى هذه الرحلة ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يجيب :

- الله (سبحانه وتعالى) أعلم ..

ثم هتف به فى توتر :

- ماذا دهاك يا (أكرم) ؟! لماذا تتصرَّف بهذا الأسلوب ؟!

أجابه (أكرم) ، فى حزم مخيف :

- لأننى اتخذت قرارى ..

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، و(نور) يسأله فى حذر :

- أى قرار ؟!

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وقال :

- سامحنى يا (نور) ..

فهم (نور) ما يعنيه هذا القول على الفور ، فجذب يده بقوة ، من أصابع (أكرم) الفولاذية ، و ...

ولكن قبضة (أكرم) تحرَّكت بسرعة البرق ..

وهوت على فك (نور) كالقنبلة ..

وأمام العيون المذعورة ، سقط (نور) فاقد الوعى ، وأغلق (أكرم) عينيه فى قوة ، مكرِّرًا :

- سامحنى ..

ثم التفت إلى المهيب ، مضيفًا بكل حزم الدنيا :

- أين من سيعاوننى ، على ارتداء الزى الواقى ؟!

وفهم الجميع ما يعنيه هذا ..

فهموه على الفور ..

وخفقت قلوبهم ..

بكل العنف ..

* * *

انعقد حاجبا زعيم أشباح الزمن فى غضب ، وهو يقول :

- إذن فقد فعلها ذلك المقاتل ، ونسف خطتنا الرئيسية نسفًا ..

أجابه أحد رجاله فى توتر :

ـ لم يكن هذا متوقعًا أبدًا أيها الزعيم .. لقد استخدم واحدة من قنابل (دلنا) على الأرجح ، ونسف نفسه مع المبنى كله ، قبل لحظة واحدة ، من تنفيذ ما أمرت به ، ولقد سحق معه نصف رجالنا بضربة واحدة .. ولولاوجودنا هنا ، فى مبنى وزارة الدفاع ، لقضت خطته علينا جميعًا بلا هوادة ..

غمغم الزعيم ، فى غضب وحشى :

ـ حتى فى هذه المرة ، كانت هناك أخطاء ..

أجابه رجل آخر :

ـ كان من الخطأ ألا نقتله على الفور ..

رفع الزعيم عينيه إليه فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ بل كان من الخطأ ألا نقتلها هى ، فور وصولنا إلى هنا ..

سأله ثالث فى حيرة :

ـ ولماذا هى ؟!

أجابه فى صرامة غاضبة :

ـ لأن هذا كان كفيلاً بمحوه تمامًا من الوجود ..

ثم تألقت عيناه على نحو رهيب ، وهو يضيف :

ـ ولكن كل شىء يمكن إصلاحه ..

تساءل أحد الرجال :

ـ وكيف ؟!

أجابه الزعيم فى حدة :

ـ بالأسلوب نفسه يا رجل ..

وأشار بيده إلى الكل ، قائلاً :

ـ هيا .. استعدوا ..

سأله رجل ضخم منهم :

ـ نستعد لماذا ؟!

أجابه فى صرامة مخيفة :

ـ لإصلاح ما حدث ..

وضاقت عيناه، حتى بدا أشبه بثعبان أرقط، وهو يضيف:

- وللقيام بالمحاولة الرابعة، التى نتحاشى خلالها كل الأخطاء السابقة ..

وبدا صوته أشبه بالفحيح، مع استطرادته:

- المحاولة الأخيرة ..

وكان هذا يعنى أن الخطر سيتواصل ..

عبر الزمن ..

★ ★ ★

«لماذا فعلت هذا ؟!» ..

ألقى المهيب السؤال، فى اهتمام بالغ، على (أكرم)، الذى استعَد للقيام برحلته الزمنية، فالتقى حاجبا هذا الأخير، وهو يجيب فى صرامة:

- (نور) أكثر أهمية منى ..

سأله المهيب، فى اهتمام أكثر:

- لماذا ؟!

أجابه (أكرم) فى حزم، وهو يعدّ الأجهزة للانطلاق، كما علَّمه فريق من علماء ذلك الزمن:

- (نور) هو القائد، والأكثر ذكاءً وشجاعة، والكل يحتاج إليه أكثر منى، ولا يحق له أن يخاطر بوجوده كله ..

ابتسم المهيب، وهو يقول:

- ألهذا قرَّرت أن تحلّ محله، فى هذه الرحلة ؟!

سعل (أكرم) بافتعال، وأشاح بوجهه، قائلاً فى عصبية:

- هل يكفى الوقت، للحديث عن كل هذا ؟!

اتسعت ابتسامة المهيب، وهو يقول:

- بعد دقيقة واحدة، سيصبح الوقت كله ملكًا لك ..

قالها، وتراجع، مستطردًا فى هدوء:

- إنه لمن دواعى سرورى أن أعرفك، حتى ولو انتمى كل منا إلى زمن آخر ..

كتم (أكرم) انفعاله ، ولم ينبس ببنت شفة ، والكرة تغلق عليه ، ثم تبدأ عدها التنازلى ، برموز لم يفهمها قط ..

وعندما ظهر ذلك الرمز ، الذى جعلوه يحفظه عن ظهر قلب ، ضغط الزر الكبير ، المحاط بحلقة زجاجية ..

وتألَّق المكان كله بضوء أبيض ..

ثم انطلقت آلة الزمن ..

وخفق قلب (أكرم) فى عنف ..

كانت الشاشة الكروية أمامه ، ترسم عشرات الألوان ، التى تمتزج ببعضها ، على نحو كاد يدير رأسه ، فأغلق عينيه ، واسترخى فى مقعده ، أو أنه قد حاول هذا على الأقل ، وعقله ينطلق على نحو مرهق ..

تُرى هل ستنجح تلك الرحلة ؟!

هل سيتمكَّن حقًا من سحق أولئك القراصنة الزمنيين ، فى نفس لحظة وصولهم إلى زمنه ؟!

هل ؟!

انطلقت من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، وهو يطرح على عقله المجهد سؤالاً ثانيًا .. ماذا سيكون مصيره ، عندما تصل به الآلة إلى زمن ، تواجد فيه بالفعل ؟!

علماء ذلك الزمن الآخر يؤكدون ، أن جزءًا من الثانية يكفى ، لتدمير كيانه كله عبر الزمن ..

وربما كانوا على حق ..

ربما ..

ولو أنهم كذلك ، فسينمحى كيانه ، فور تجسُّد الآلة ، فى لحظة وصول أولئك القراصنة إلى زمنه ..

وسرت فى جسده قشعريرة باردة كالثلج ، وهو يعيد التفكير فى هذا الاحتمال المخيف ..

ترى كيف سيشعر ، عندما ينمحى كيانه ؟!

هل سيمضى الأمر دون أن يتألَّم ؟!

أم أن الألم سيكون رهيبًا ؟!

أهو شىء أشبه بالموت ؟!

أم بالفناء ؟!

مرة أخرى ، انطلقت من أعماقه زفرة ملتهبة ، وهو يغمغم :

- لقد فعلتها من أجلكم جميعًا يا (نور) ..

وعاد يغلق عينيه ، مستطردًا :

- من أجلكم ..

لم يكن يدرى كم ستستغرق آلة الزمن الكروية هذه فى رحلتها ..

ولا متى يصل إلى زمنه ..

ولكنه لم ينجح فى الاسترخاء أبدًا ..

وفتح (أكرم) عينيه ، وتطلّع إلى تلك الكرة أمامه ، والتى واصلت الألوان الزاهية امتزاجها على سطحها ، وهو يتمتم :

- ترى كم تبقى أمامنا ..

لم يكد ينطقها ، حتى تألّقت الكرة بغتة ، ثم خبت كل الألوان عليها ، وراحت تشعّ بضوء أبيض هادئ ، فاعتدل فى مقعده ، هاتفًا :

- رباه ! إنها سريعة للغاية !! لقد التقطت البث الإذاعى الأوّل ..

استعاد عقله ما علموه إياه ، وأسرع يجذب ذراعًا شفافة ، ثم يضغط زرًّا أزرق صغيرًا ..

وانخفضت سرعة آلة الزمن نسبيًّا ..

وراحت تنطلق ، عبر الزمن ، فى أعماق القرن العشرين ..

ثم وثبت إلى القرن الحادى والعشرين ..

وعلى الشاشة ، راح اللونان ، الأبيض والأحمر يمتزجان ، على نحو بدا عشوائيًّا فى البداية ، ثم لم يلبث أن تحوّل إلى إيقاع منتظم هادئ ، جعله يغمغم ، بكل توتر الدنيا :

- لقد اقتربنا ..

كانت الآلة تشق طريقها بالفعل ، عبر نهر الزمن ، وعبر المكان أيضًا ، لتبلغ الإحداثيات التى غذاها بها (نور) ..

وفى التوقيت المناسب بالضبط ..

وهناك ، فى أعماق البحر الأبيض المتوسِّط ، كانت هناك بقعة ضوء تتكوَّن ..

وتتكوَّن ..

وتتكوَّن ..

وداخل آلة الزمن ، بدأ اللون الأحمر يهيمن على تلك الكرة تمامًا ، فجَفّ حلق (أكرم) ، وكل التساؤلات تطرح نفسها عليه ثانية ..

ورصدت الآلة ما يحدث ، فى قاع البحر الأبيض المتوسِّط ..

وحدَّدت هدفها بدقة مدهشة ، عبر الزمان والمكان ..

وفى الأعماق ، تحوَّلت بقعة الضوء إلى فجوة عجيبة ، عبرتها مركبة ضخمة ، تحمل قراصنة الزمن ، و ...

والتقت المركبة المستقبلية بآلة الزمن ، القادمة من الماضى السحيق ..

وتحوَّلت الكرة ، داخل آلة الزمن ، إلى اللون الأحمر الصرف ..

وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه ..

ودوى الانفجار ..

بكل عنف الدنيا ..

والزمن ..

* * *

ارتسمت ابتسامة كبيرة ، على شفتى (نور) ، وهو يستقبل السيِّد (أمجد صبحى) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، فى منزله ، قائلاً :

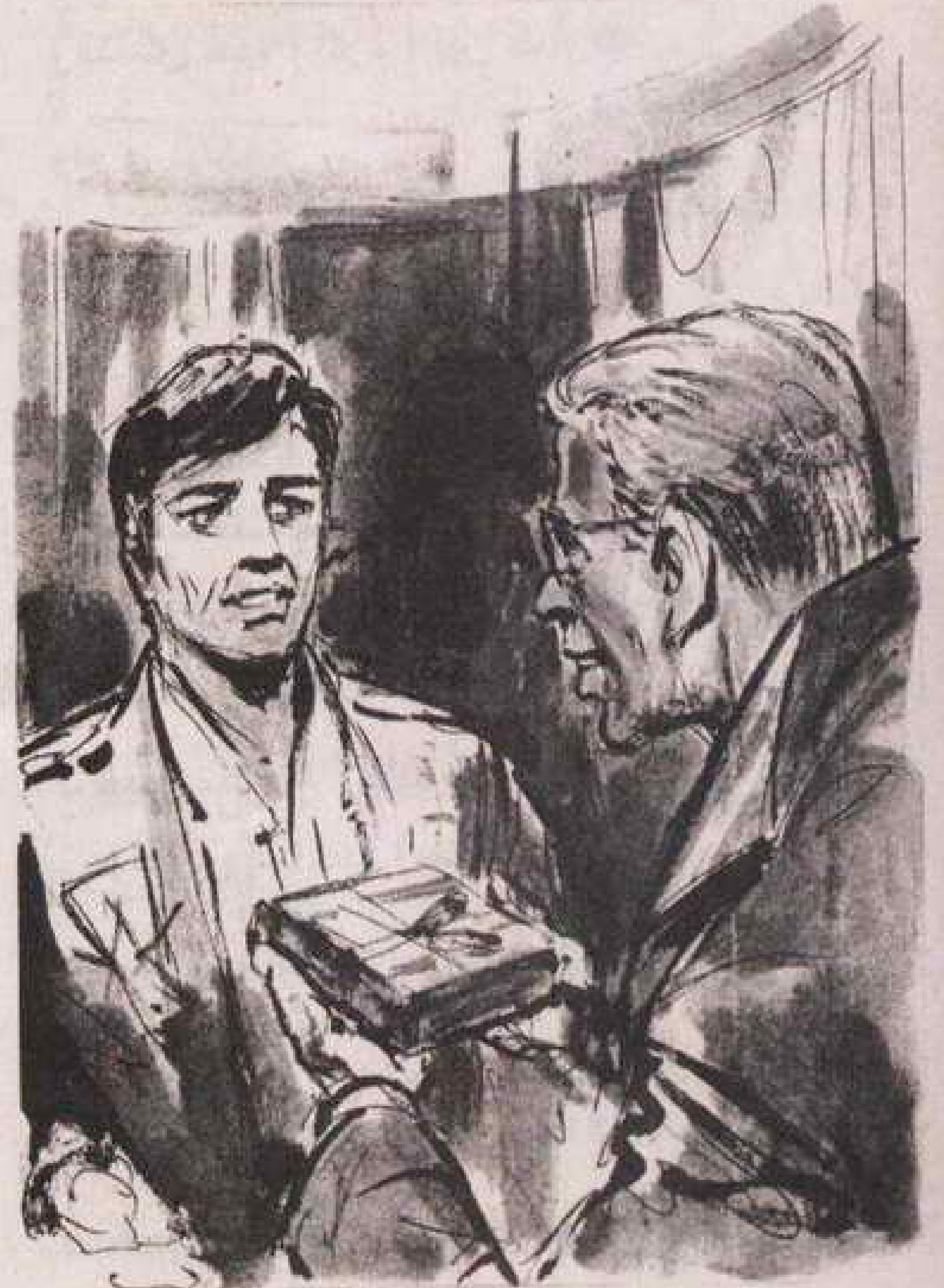
ـ جميل منك أن وافقت على حضور حفل عيد ميلاد ابنى (طارق) يا سيِّد (أمجد) ..

ابتسم السيِّد (أمجد) ، وهو يقدِّم إليه هدية الصغير ، قائلاً :

ـ وكيف يمكن أن يفوتنى هذا ؟!

صافحته (سلوى) بدورها ، وهى تقول مبتسمة :

ـ لم نكن لنبدأ أبدًا بدونك يا سيِّد (أمجد) ..



ابتسم السيِّد (أمجد) ، وهو يقدِّم إليه هدية الصغير ، قائلاً :

ـ وكيف يمكن أن يفوتنى هذا ؟!..

ضحك (أمجد) ، قائلاً :

ـ مجاملة ورقيقة أنت دائمًا يا (سلوى) ..

هتفت (نشوى) فى مرح :

ـ أمى وحدها ؟!

هزَّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً بابتسامة كبيرة :

ـ كلاَّ بالطبع .. من يمكنه أن ينسى خبيرة الكمبيوتر الأولى ، فى المخابرات العلمية كلها ؟!

ابتسم (رمزى) ، وهو يضمّ زوجته إليه ، ويقول بهدوئه ورصانته المعهودين :

ـ لاتبالغ يا سيِّد (أمجد) ، وإلا أصبتها بالغرور ..

هتفت (نشوى) فى مرح :

ـ الغرور ؟! يبدو أنك لا تقرأ تقارير إدارة الأبحاث العلمية يا زوجى العزيز .. إنهم يقولون : إننى عبقرية ..

مال يطبع قبلة على وجنتها ، قائلاً :

ـ وهل أنكرت هذا أبدًا يا أميرتى ؟!

برزت (مشيرة) من الحجرة المجاورة، وهى تقول :

- يبدو أن عدوى الكلمات المنمّقة قد أصابتك من زوجى (أكرم) ..

صافحها (أمجد) ، قائلاً :

- سيّدة (مشيرة) ؟! كيف لم ألمحك فور دخولى ؟!

أجابته مبتسمة :

- أنا أوّل من وصل ، ولكننى كنت أتحدّث هاتفيًا مع (ياسر) ، مصوّر برنامجى الجديد ..

ضحك (أمجد) ، قائلاً :

- آه .. العمل يطاردنا دائمًا ..

سألته (سلوى) فى اهتمام :

- بمناسبة العمل ، هل علمت بأمر ذلك الانفجار ، الذى تم رصده ، فى البحر الأبيض ، منذ قليل ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

- لا أحد يدرى سببه حتى الآن .. الأقمار الصناعية الجيولوجية رصدته ، فى قاع البحر ، وكذلك سجلته إحدى غوّاصاتنا النووية الجديدة ، وهى (ب.ن ـ ١٠٣) ، ولكنها اتجهت إلى موقعه مباشرة ، ولم تجد شيئًا هناك ..

سألته (نشوى) فى اهتمام :

- هل يمكن أن تكون ظاهرة طبيعية ؟!

هزّ (أمجد) كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

هتفت (مشيرة) فى حماسة :

- أراهن أنكم تخفون شيئًا كالمعتاد ..

ابتسم السيّد (أمجد) ، والتفت إلى (نور) ، قائلاً :

- هل تعتقد أنت أيضًا هذا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى هدوء واثق :

- مطلقًا ..

ثم التفت إلى (مشيرة) ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

- لو أنه هناك أى غموض ، أو أى شىء يستحق الإخفاء ، لما كنا هنا ، نحتفل بعيد ميلاد (محمود) الصغير .. أليس كذلك ؟!

هتفت :

- هذا صحيح ..

سألها (أمجد) فى اهتمام :

- بالمناسبة .. أين زوجك ؟! إننى أتوق كثيرًا لرؤيته ..

أجابته (مشيرة) بابتسامة كبيرة :

- إنه الوحيد الذى لم يصل بعد ، ولكنه لن يتخلَّف حتمًا عن الحضور ، فهو يقتنص أية فرصة سانحة للقائك ..

ثم مالت نحوه ، مضيفة :

- فأنت مثله الأعلى ..

ابتسم (أمجد) ، وهو يقول :

- أتعشَّم أن يأتى ..

نعم ياسيِّد (أمجد) .. أنت والجميع تتمنون أن يأتى (أكرم) ..

هذا لأن مغامرته الباسلة قد أعادت الأمور لنصابها ..

مغامرته التى لن يعلم أحد بها قط ، فى هذا الزمن ..

ولكن السؤال سيظلّ مطروحًا ..

تُرى هل سيأتى (أكرم) إلى الحفل ؛ لينضمّ إلى رفاقه ، فى هذا الزمن الجديد ؟!

هل ؟!

من يدرى ؟!

* * *

[تمت بحمد الله]

قراصنة الزمن

- ما الذى يمكن أن يحدث ، عندما ينقل قراصنة الزمن حربهم ، من البحر إلى البر ؟!
- ما سر ذلك الشبح ، الذى يقود القراصنة ؟ وما هدفه الفعلى من كل هذا ؟!
- ترى هل ينتهى الأمر بانتصار (نور) ورفاقه ، أم تنحسم المعركة لصالح (قراصنة الزمن) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل المستقبل ..



العدد القادم : الثعابين



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

140

الثمن فى مصر ٢٥٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

